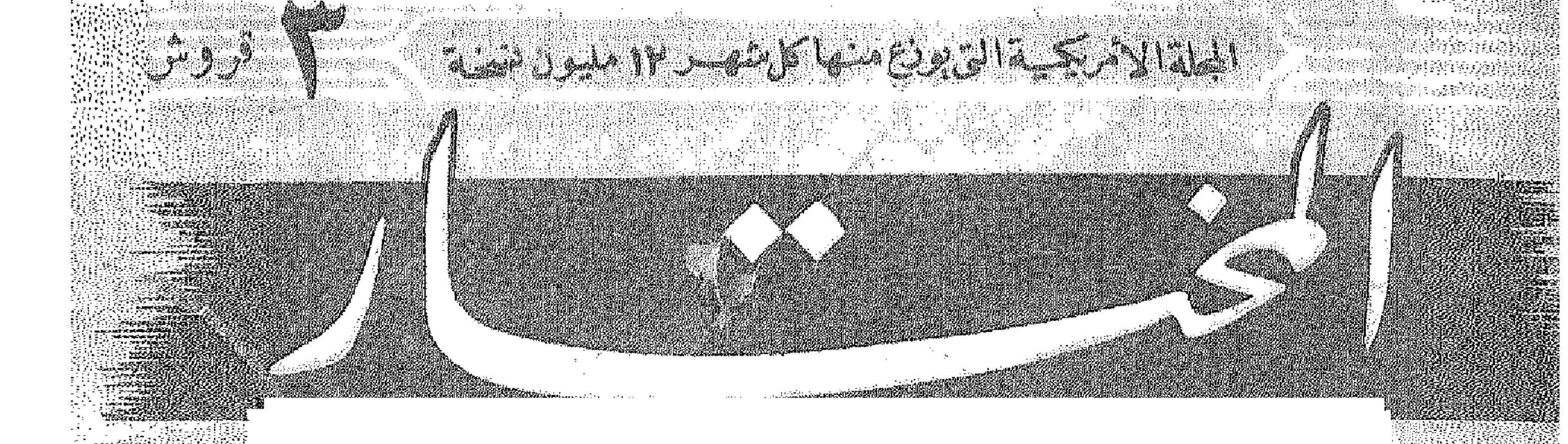


من مجلة
ريدرز دايجست
في كل مقالة لذة دائمة

أغسطس ١٩٤٤

يوزع من مجلة ريدرز دايجست اثنا عشر مليون نسخة تطبع فى خمس لغات . إن الطبعات الانجليزية تصدر فى الولايات المتحدة الأمريكية و بريطانيا ومصر والصين . والطبعة الأسبانية تباع فى ثمانية عشر بلداً من البلدان المتكلمة باللغة الأسبانية فى أمريكا اللاتينية . والطبعة البرتغالية تباع فى البرازيل والبرتغال . والسويدية فى السويد . وهذا هو العددُ الثانى عشر من الطبعة العربية . وقد وُزّعت نسخهُ فى مصر وفلسطين وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن وسائر الجزيرة . ويرجو المحررون أن تنال هذه المجلة رضاك . ويَسرُّهم أن يتلقوا ما يبدو لك من ملاحظة أو نقد أو اقتراح بتحسينها و إتقانها .

READER'S DIGEST

(Reg. U.S. Pat. Off. Marca Registrata)

تصدر شهرياً فى بليزانتفيل نيويورك ، بالولايات المتحدة الأمريكية — وتصدر طبعات انجليزية ، وأسبانية ، وبرتغالية ، وسويدية ، وعربيـة — وتصدر دار الطباعة الأمريكية للعميان بلويزفيل كنتكى طبعتين للعميان إحداها طبعة « براى » وأخرى على « أقراص مسجلة » .

قسم التحرير : رؤساء التحرير — ده ويت ولاس ، ليلى أتشيسون ولاس

سكرتير التحرير : كنيث و . باين ، مدير التحرير : الفريد س . داشيل

قسم الإدارة : المـدير العـــام — ا . ل . كول

الطبعة العربية : — التحرير والإدارة : ١٦ - شارع شامپليون بالقاهرة . تليفون : ٥٧٨٩٣

المدير العام ورئيس التحرير : فؤاد صروف

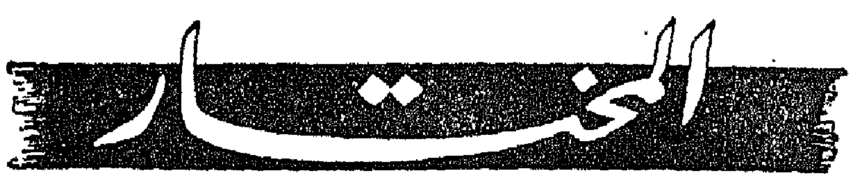
مصر والسودان — ثمن النسخة ٣ قروش صاغ — قيمة الاشتراك السنوى ٣٠ قرشاً صاغاً

فلسطين وشرق الأردن ٣٥ ملاً — العراق ٣٥ فلساً — سوريا ولبنان ٣٥ قرشاً

الاشتراك السنوى ما يعدل ٤٠ قرشاً مصرياً

الطبعات الدولية

المدير العام : باركلى أتشيسون — مدير الإدارة : فرد د . طمسون



من مجلة ريدرز دايجست

كتاب فيه لكل يوم مقالة محكمة الإيجاز باقية الأثر

السنة الاولى — المجلد ٢ العدد ١٢

الطبيب يحتاج إلى مساعدتك

كيف تكون مريضاً حصيفاً

ف . س . فيرناس

ملخصة عن مجلة "يور لايف"

يحتاج حسن الانتفاع بالطب الحديث إلى رجلين — طبيب حاذق، ومريض أريب ، فإن أقدر الأطباء يصبح مغلول اليدين ما لم يساهم المريض فى حل مشكلة الشفاء .

وأول ما ينبغى أن يعنى به المريض هو أن يهتدى إلى طبيب عائلة نطاسى، ثم يستمر معه . فإن طبيبك لا يستطيع أن يبذل لك أقصى ما يدخل فى وسعه من المعونة إلا بعد الخبرة الطويلة بخصائصك الفردية والجسمية والعقلية . أما « المرضى الطارئون » فإنهم يحرمون أنفسهم مزية العناية الطبية المفيدة .

ويجب عليك أن تكون مستعداً أن تفضى « بكل شىء » إلى طبيبك حين تستشيره ، وليس فى وسعك أن تقدم له المعلومات اللازمة إلا إذا كنت دقيق الملاحظة لنفسك — موضع الألم على وجه الدقة ، ومبلغ تكرره وشدته ، وماذا يحدثه ، وماذا يبدو أنه يخففه . أكنت تأكل بغير حساب ؟ أخبر الطبيب . وأخبره أيضاً بالدواء الذى لعلك تعاطيته — فقد يكون هذا الدواء قد حجب حقيقة حالك . مثال ذلك أن التشخيص الدقيق للحرارة صعب إذا فاتك أن تذكر للطبيب أنك تعاطيت

أخيراً جرعة من دواء مسكن لعله ستر الألم الذى يبحث عنه الطبيب .

ولا تستر مرضك خجلا ، فكثيراً ما يؤدى إخفاء المرضى لما سبق لهم أن أصيبوا به من الأمراض التناسلية إلى الهلاك . وليس طبيبك معنيا بالأحكام الأخلاقيـة ، وإنما همه كله أن يشفيك .

ومن الخطر التجاوز عن أمر مهم إذا كانت هناك جراحة يحتمل أن تجرى . هل من السهل رض جسمك ؟ إن هـذا يدل على حالة فى الدم ينبغى أن يقف عليها الجراح . وهل ينشطك المورفين بدلا من أن يسكنك ؟ هل أعضاء أسرتك يصابون بالرعاف الشديد ؟ إن معظمنا ينحرف عن الطبيعى من ناحية ما ، وقد يخفى هذا حتى على أحذق الأطباء عند الفحص .

والأطباء يحمدون ما تشير به الحكمة من المبادرة إلى دعوتهم ، فإن مما لا يغتفر أن تنتظر إلى الساعة الثالثة صباحاً إذا كنت قد أصبت بتشنج عضلى منذ وقت العشاء . وليست المسألة مسألة إشفاق على الطبيب أن تزعجه من نومه ، فقد يكون التأخير وبيلا ، وخاصة إذا تبين أن ما تظنه اضطراباً فى المعدة إنما هى انفجار فى الزائدة الدودية . والعدوى بجرثومة ستربتوكوكاس — فى الحلق أو حتى على أثر « خدش هين » — يجب المبادرة إلى علاجها . وإذا أهمل الفتق فقد يكون وخيم العاقبة . وكثيراً ما يحول دون العلاج الناجع للسرطان أن تهمل استشارة الطبيب فى أورام فى الثـدى أو الحالات غير الطبيعية فى المسالك التناسلية .

وكل ما يجدّ من المتاعب لك فى جسمك يتطلب العناية ، مثل النزف لأى سبب ، أو تتابع النفس وقصره ، أو طفح مجهـول العـلة ، أو جروح لا تلتئم ، أو أورام ملحوظة ، أو الاضطرابات المعدية المتكررة ، أو الإسهال أو الإمساك ، أو اضـطراب وزن الجسد بين الزيادة والنقص فجأة ، أو الصـداع الملح ، والوعكات ، واضـطراب الأعصـاب ، والإعياء . فإن هـذه كلها أعراض منذرة بأمراض خطيرة . فاصـنع شيئاً لعلاجها ولكن لا تصنعه بنفسك ، فإن الأدوية التى يتعاطاها المرء عرضـاً من تلقاء نفسه — كالمرهم للطفح مثلا ، أو حبة للبرد أو الصداع — كثيراً ما تـكون بمثابة إهمال إجرامى ، فإنك حين تتنـاول مسهلا من أجل ألم فى المعدة ، قد تتعرض لخطر التهاب البريتون وللموت .

ويستطيع أحياناً المصاب بمرض مزمن ، إذا كان يتتبع الأنباء الطبية فى مجلاتها الموثوق بها ، أن يعرض مقترحات نافعة له . وكل طبيب حاذق يعترف بأنه ما من إنسان

يسعه أن يساير ويتتبع أحدث التطورات الطبية جميعها . وقد حدث أخيراً أن اقترحت على طبيبي دواء للبثور المزمنة ، فكانت عجيبة الفعل . وأعرف رجلا لعله أنقذ أخته من الموت بالالتهاب الرئوى ، وذلك لأنه أطلع الطبيب على جريدة فيها وصف التجارب الأولى الناجحة فى استعمال السلفاپيريدين ، غير أنه ليس ثم شر من مريض يسمع بالاستحرار أو السلفانيلاميد ، فيطلب أن يستعمل ذلك لمناسبة ولغير مناسبة ، أو الذى يذهب بوصفات الدجاجلة إلى عيادة الطبيب ويسوءه أن ترفض .

وإذا كنت تشكو مرضاً يعاودك ، فإن فى مقدورك أن تساعد الطبيب بالاحتفاظ بنسخة من الوصفة التى أراحتك ، فقد تكون هى ذاتها ، أو بعد تعديل طفيف يراه ، هى التى تحتاج إليه لشفائك . ولكنه خطر أن تتعاطى وصفة قديمة دون أن تراجع طبيبك ، إذ لعل حالتك قد تغيرت ، وبعض العقاقير يكون تأثيرها المتجمع ضارا .

وإذا دعوت طبيباً ليعودك فعليك أن تعد العدة له ، مثل زجاجة ماء سخن ، أو كيس ثلج ، أو رشاشة ، أو حقنة شرجية . واعرف عنوان أقرب صيدلية ساهرة ورقم تليفونها ، فقد يحتاج الأمر إلى شىء منها فى ساعات الصباح الأولى .

وينبغى أن يتعلم كل تلميذ فى المدرسة كيف يصف أعراض الأمراض وصفاً مفهوماً بالتلفون ، فإن الطبيب الكثير الأعمال يسره أن يقف على بيانات مختصرة عن درجة الحرارة ، وحالة النبض ، أو الصداع ، أو الغثيان ، لأن هذا يساعده على معرفة مبلغ الحاجة إلى سيارة إسعاف تنقل المريض إلى المستشفى ، أو هل لا تدعو الضرورة إلى أكثر من المشورة الحسنة . فعليك قبل أن تدعو الطبيب بالتلفون أن تعد له البيانات اللازمة .

وليس أبعث على سخط الطبيب من أن يسمع من يقول له : « تعال حالا . فإنى أحس بحمى » . وأعون من ذلك على إقناع الطبيب بدواعى المبادرة أن تقول له مثلا « إن درجة حرارتى ٣٨٫٥ » . وإنه ليسر طبيبك أن يعلمك كيف تقيس درجة الحرارة .

ومن الغريب أن كثيرين من المرضى يعجزون عن تنفيذ أوامر الطبيب فى أمور هينة مثل مقدار الجرعة وأوقات تعاطيها . وقليل من التفكير يكفى ليتبين المريض أن لهذه الأوامر سبباً ، وأنها مهمة للمريض .

والطبيب الحاذق يقدر المريض الذى يعرف كيف يقترح بلباقة «استشارة» غيره وقد يتردد الطبيب نفسه فى أن يعرض على المريض أن يستشير سواه مخافة أن يزعجه ،

أو اجتناباً لتكليفه نفقات جديدة . وليس من التعريض بمهارته أن تقول له : « إنى لا أخطو إلى الشـفاء كما تحب يا دكتور ، أفليس هناك من تثق به ليساعدنا قليلا ؟ » ذلك أن الصدق هو قوام العـلاقة الرشيدة بين الطبيب والمريض .

على أن اقتراح الاستشارة شىء ، والجرى إلى الإخصائيين من تلقاء نفسك شىء آخر . ولنقل مثلا أنك تعانى الصداع ، وأنت تظن أنه راجع إلى شىء فى التجاويف العظمية ، ولـكن ذهابك إلى إخصائى فى الأنف والحنجرة قبل أن تستشير طبيبك ، مؤداه أنك تغفل هذه الحقيقة ، وهى أن الصداع قد يكون ناشئاً عن الغدة النخمية ، أو ارتفاع ضغط الدم ، أو أى سبب من عشرين سبباً آخر . وعليك أن تدع لطبيبك اختيـار الإخصائى الذى يحسن أن تستشيره . وكثيراً ما يستطيع أن يعفيك من تـكاليف ذلك بأن يعالج هو الحالة بنفسه .

والمريض الحصيف يتفاهم سلفاً وبجلاء على تكاليف العلاج ، ولا سيما إذا كان الأمر يستدعى جراحة أو علاجاً خاصا . ومما يساعد على حسن تدبير الأمر أن تـكون العلاقة وثيقة بين المريض وطبيب العائلة ، فإنه يعرف حالتك المالية ، وفى وسـعه أن يتحدث عنك مع الجراح دون أن يعرضك للخجل أو الارتبـاك ، وقد يتفق لك على تقسيط التـكاليف . وإذا كان الجراح الشهير لا يقبل الأجر الذى تستطيع أداءه له ، فقد يبعث بك طبيبك إلى جراح آخر أصـغر وأقل شهرة يعرف أنه يحسن أن يتولى الأمر ويكتفى بما فى طاقتك .

وأكثرنا يعرف أن الفحص الدورى للأسنان لازم ، ولـكننا نغفل ما هو أكثر أهمية ، وهو الفحص الطبى السنوى المنتظم ، ولا سيما متى اقتربنا من السن التى تفتر فيها الحيوية . وقد تبدو تكاليف فحص القلب والرئتين والأعصاب وتحليـل الدم والبول وغير ذلك جسيمة ، ولـكنها تأمين رخيص ضد أمراض تكاليفها أبهظ . وليست أمراض القلب والرئة والسكر إلا بعض الأدواء الوبيـلة التى يمكن وقفهـا أو شفاؤها ، إذا اكتشفت فى الوقت المناسب .

وليس فى وسع الطبيب أن يرغمك على شىء ، وما من قانون يفرض عليك أن تـكون مريضاً أريباً ، فإذا كنت لا تريد أن تعنى بنفسك . . . فـكل ما أقوله هو أنها جنازتك أنت .



قوة النار السائلة

هولمان هارفى . . . ملخصة عن مجلة « ذى اميريكان ليجيون »

تتخذ الولايات المتحدة مدفعاً تنحرف قذيفته حول زاوية . وقد تولى الجيش صنعه، وانتفع به مشاة البحرية انتفاعاً رائعاً عند نزولهم إلى البر، فكان له ذكر لاينسى على الشواطئ الملطخة بالدم فى نيوجورجيا وبوجانفيل وتراوا ورأس جلوستر وجزائر مارشال . وهو سلاح مخوف ـ هذا المدفع الأمريكى الجديد (م ١١) قاذف اللهب .

وقد حادثت رجلين من رجال التصوير من فيلق البحارة ، الذين نزلوا مع الفصائل الأولى على ساحل تراوا ، وشاهدوا هذا المدفع يطرد اليابانيين وهم يصيحون رعباً ، من مواقعهم المنيعة المدفونة إلى نصفها فى الأرض . وكان السلاحَ الوحيدالذى يكفل إخراجهم من بعض هذه المواقع ، فقد جربت قنابل البحرية من عيار ١٦ بوصة ، وقنابل الطائرات ، والمادة المتفجرة ت . ن . ت ، فلم تجدِ فتيلا .

وقد وصف لى المصوران ما تمّ فى الهجوم على موقع يابانى محصن ، بعد أن فجرت على جدرانه مقادير من المواد المتفجرة بغير جدوى :

أخذ رجلان من مشاة البحرية يزحفان بحذر نحو هذا المعقل المنخفض ، يستخفون بما تيسر لهم . وكان أحدهما يحمل مدفعاً مستطيلا غريب الشكل معقوف القناة ، تصلها أنابيب مرنة بثلاث أسطوانات معدنية مشدودة على ظهره ، ومن ورائه مساعده ، وهو متأهب لفتح صمامات الأسطوانات التى لا تنالها يدُ المدفعى ، أو ليحمل المدفع إن طرأ طارئ .

وكان فريق من إخوانهما يحمونهما، وهما يزحفان، بإطلاق النار على كوى المعقل اليابانى .

وأخيراً وصل قاذفا اللهب إلى نقطة معينة حددت من قبل تحديداً دقيقاً ، وهى قريبة من الجدار بعض القرب ، على جانب من أحد مداخل الموقع وخارج نطاق المدافع اليابانية حين تميل بها إلى أقصى حد ، فصار فى وسعهما أن يجثوا أو يقفا ، وهما غير معرّضين للخطر إلى حدّ ما .

وفتحت الصمامات وأعدّ المدفع ثم انبثق من فوهته لهيب كأنه عصا ، فصدم جوف المدخل صدمة عنيفة ثم انحرف ودخل فى قلب المعقل نفسه . فهـذا المدفع انحرفت قذيفته حول زاوية ، وكانت زاوية قائمة تقريباً .

وانتهى الأمر فى بضع ثوان ، وآثر بعض اليابانيين أن ينسفوا رؤوسهم بأيديهم على أن يواجهوا لفحة أخرى من هذه النار ، وفرّ غيرهم والنـــار مشتعلة فى ملابسهم والرصاص يتفجر فى أحزمتهم كالصواريخ . أما القلائل المسّلحون منهم فقد قتلتهم طلقات سريعة من هـذا المدفع ، فاحترقوا كالفراش فى اللهب .

وهذا المدفع سلاح مزدوج ، فهو أول قاذف لهب فى العالم يطلق وقوداً مكثفاً ، ثم يشعله ويقذفه بقوة عظيمة على الهدف ، ولكنه يستطيع كذلك أن يقـذف وقوداً سائلا كالمدفع م ١ الذى سبقه . ويختلف تأثير نوعى الوقود اختلافاً عظيما ، ولكل استعماله الحربى الخاص .

فالوقود السائل ينطلق من المدفع أمواجاً كثيفة متدافعة من اللهب والدخان ، فإذا ما قطعت ٥٠ قدماً أو ٦٠ ، انتشر الوقود وامتزج بالهواء ، فينفذ جميعه وتهمد ناره .

أما الوقود المكثف فينبعث من المدفع جدولا ثخيناً كالعمود ، وينقـذف فى خط مستقيم كالرصاص القصاص ، ويشتعل سطح الجدول عند فوهة المدفع ويلتهب التهاباً عنيفاً ، ولكن قلب الجدول لا يزال وقوداً غير مشتعل ، وهو يحترق رويداً رويداً أثناء انطلاق الجدول نحو الهدف . وحين يكون الهدف فى نطاق تأثير المدفع ، يلطمه هـذا الجدول من الوقود الكثيف اللزج المشتعل سطحه دون قلبه ، لطمة قوية ، وهو حين يرتد وينتشر ، يلصق كالغراء بكل ما يصيبه ، ويحترق إلى أن ينفد — وقد يستمر كذلك بضع دقائق . وفى الوسع توجيهه توجيهاً محكما إلى كوى صغيرة ، وإن كان هذا المدفع يطلق من الخاصرة ، وليس عليه ذبانة لتسديد الرماية .

ولم يزل هذا الوقود السائل بلهبه المنتشر الكثيف الدخان هو المفضّل فى تطهير مخابئ الأعداء وخنادقهم وأوكار رشاشاتهم ، فهو يلتف على مصاطب الدفاع ويهبط وينتشر شديد الحرارة فى كل ناحية . وفى الوسع توجيهه حتى يدخل من الأبواب والنوافذ والكوى ، أو استعماله ستاراً تتحرك من ورائه الفصائل التى همها تدمير المنشآت الحربية .

على أن للهب الوقود السائل حدوداً ظاهرة ، فهو : قصير المدى ، وهذا يقتضى أن يدنو المدفعى من العدو قبل إطلاق النار . وهو قصير الأمد ، والسيطرة عليه سطرة

محكمة حين تهب الرياح أمر شاق . ثم إن اللهب والدخان يشاهدان من مسافة أميال فى الليل أو النهار فيرمى العدو مكانهما بناره .

ومشاة البحرية يفضلون فى الهجوم على المعاقل ، المدفع المحشو بالوقود المكثف فهم يرونه أسلم عاقبة ، لأن مرماه أربعة أضعاف مرمى الوقود السائل ، وهو أخفى منه مكاناً ، وأشد مقاومة للرياح .

ويحمل وقود هذا المدفع فى خزانين مشدودين على متن المدفعى بين لوحى الظهر ، وبين الخزانين أسطوانة ثالثة فيها هواء مضغوط يرسل شيئاً فشيئاً فى خزانى الوقود من صنبور أوتوماتيكى ، فيقذف الوقود من المدفع قذفاً شديداً .

وعند فتحة القناة مشعل يأتيه غاز الإيدروجين من خزان رابع صغير مثبت على أسفل قناة المدفع ، ويشعل الإيدروجين بشرر كهربائى .

وليس فى الوسع ملء خزانى الوقود أثناء القتال ، فهو خطر عظيم ، فهما يملآن خلف خطوط القتال حيث تتخذ جميع وسائل الاحتياط . فإذا نفد الوقود، على قصر أمده ، فينبغى أن يستبدل به سواه . والمدفع يقذف ناره عادة فى سلسلة من الطلقات القصيرة لا يزيد أمد إحداها على ثانيتين ، فإذا أطلق إطلاقاً مستمرا نفد فى ١٥ ثانية وحسب .

يطلق المدفعى مدفعه بأن يضغط برسغه الأيسر لوح الكباس القائم فوق القناة فى وسطها ، على حين يقبض على قفا المدفع بيده اليمنى عند خاصرته . والقناة معقوفة قليلا إلى الأمام نحو فتحتها لتيسير التسديد .

وينتخب رجال هذه المدافع أدق انتخاب ، وعليهم أن يكونوا مدربين تدريباً فنيا على استعمال سلاحهم المعقد وصيانته ، ويجب أن يكونوا من الأشداء ليسهل عليهم حمل سلاحهم الذى يزن ٦٨ رطلا ، ثم يجب أن يكونوا مقاديم كالفدائيين ، لأن مهمتهم من أخطر أعمال القتال .

وظلت الخزانات المحمولة على الظهور يشى بحاملها ، فيراه العدو خطراً ينبغى أن يرد بأى ثمن . وهو حين يدب إلى هدفه يتعرض لخطر عظيم ، وقد يتمكن الجنود الذين يؤيدونه من إسكات البنادق المسددة إليه من معاقل العدو ، ولكن قنابل اليد قد ترمى عليه من كوى المعقل ، حتى ولو كان الرصاص منهمراً عليها كالوابل .

وقد استعمل الألمان قاذف اللهب فى الحرب العالمية الأولى ، فرد الحلفاء عليهم بقاذف من صنعهم . ولم يكن لهذا السلاح بعد ذلك شأن ما ، ولم يستعمل منه فى القتال إلا القليل ، فمداه القصير جعله غير صالح لحرب الخنادق .

على أن أسلوب الدفاع الذى أنشأه الألمان يختلف عن أسلوب الخنادق ، فهو قائم على تحصين منطقة عريضة بإنشاء مواقع كثيرة منيعة . وعسى أن يكون هذا المدفع جواباً لسؤال من يسأل : كيف يكون التغلب على هذا اللون من الدفاع بأقل خسارة مستطاعة ؟ وقد استعمل الألمان قواذف اللهب، فى اكتساحهم السريع للحصن البلجيكى « إيبن إيميل » ، إذ تقدم حاملوها إلى كوى الحصون تحت ستار من دخان القنابل.

على أن سلاحنا يفوق كل سلاح من نوعه استعمل فى قتالنا ، أما أن يستعمل فى الهجوم المنتظر على أوربا أولا يستعمل ، فلن يعلم ذلك إلا حين يبدأ الغزو .

هذه هى سيماء الحرب

● آرت تشن صينى أمريكى المولد ، وهو الآن طيار فى سلاح الطيران الصينى ، وقد التقى يوماً بثلاث مطاردات يابانية فاسقط إحداها ثم نفدت ذخيرته ، فنطح الثانيـة وهبط من طائرته بمظلة فسقط سالماً قرب حطامها ، فأخرج المدفع الرشاش السليم الباقى فيها ، وحمله ثمانية أميال إلى قاعدته حيث قابل قائده الجنرال كلير شنولت ، فعرض عليه المدفع وقال : « أتسمح لى بطائرة أخرى لهذا المدفع ؟ »

[روبرت هوتز فى كتاب : « مع الجنرال شنولت »]

● فى أثناء معركة بونا بغينية الجديدة ، أصيب أحد الجنود الأمريكيين فى قدمه فلم يعن بإنباء أحد بإصابته ، وظلع بضعة أيام إلى أحد مستشفيات الميدان والرصاصة التى اخترقت الحذاء والكعب مستقرة فى قدمه . فلما فحص الطبيب هذه المعجزة سأل الجندى : « ألم تألم لها ألماً شديداً ؟ » فقال : « لم يكن يشتد الألم إلا حين أقف ، فظللت أمشى » .

[ضابط الصف ى . ج . كان فى « انفنترى جورنال »]

● فى دار بإنجلترا حيث يستريح رجال القاذفات الأمريكية من «إعياء الأعصاب »،روى مدفعى إحدى القاذفات الرواية التالية : « فى المهمة الأولى التى خرجت فيها انفجرت قنبلة ورائى تماماً ، فرفعت ذراعى فإذا الدم يسيل من قفازى ، فقطعت دورة التيار الكهربائى الذى يدفئ ملابس الطيران ، فهبطت الحرارة إلى ما دون الصفر ، فوقف النزف ، وتمكنت من مواصلة إطلاق النار » . [كورى فورد وألاستير ماكبين فى « مجلة كوليرز»]

علموا أولادكم الحياة

ليس بالخبز وحده

تركت يوماً ما وحدي ، وأنا في الثانية عشرة من عمري ، لأعدّ طعام الغداء لأبي فصرفت وقتاً طويلا أعمل أشياء صغيرة كنت أعرف أنها تدخل السرور عليه ، مما اضطرني إلى التعجل في إعداد الطعام . كانت الزهور على المائدة منسقة بعناية فائقة ، أما المطبخ فكان أمره فوضى .

ووصل أبي وأنا ألقي مغبّة عجلتي حين وقعت صحفة السمك والبسلة من يدي وانتثر ما فيها على الأرض ، وكنت على شفا الجزع والبكاء ، فقد تحطمت كبريائي .

إلا أن أبي أدرك ما أنا فيه بنظرة واحدة وقال لي : « لا تراعي يا بنيتي ، سننظف هذا الخليط ونلتمس شيئاً آخر نأكله ، لقد فعلت ما هو أثمن من الطعام ، فإن زهرة (لا تنسني) خير من الطعام » .

وأعددنا شطائر بسيطة أكلناها على المائدة المزدانة بالزهور . ولقد علمني إطراؤه إيايَ في الوقت المناسب ، أن فعل تلك اللطائف زيادة على ما ينتظر ، يستحق ما يلقاه المرء في سبيلها من عناء بل قد يستحق ما يحدث من عثرات .

[دوروثي ماي أندرسون]

اسمعوا وعوا !

أراد زوجي ، وهو محام ناشئ ، أن يدرب أولاده على حسم ما ينشب بينهم من خلاف دون شجار ، وكانت طريقته ناجحة كل النجاح . فقد شرح لهم كيف تقدم القضايا إلى المحكمة : أن يكتب شخص الشكوى ويرد عليها آخر ، ثم يتلو ذلك مناقشة في الموضوع . واقترح عليهم أن يسوّوا ما قد يشجر بينهم من خلاف بهذه الطريقة .

وراقت الفكرة الأولاد . ولطالما تلقوا والدهم حين يعود ليلا وهم يصيحون : يا أبتاه إن لنا قضية هذه الليلة ، فكان والدهم يتيح الفرصة لكل منهم أن يقرأ شكاته ، وأن يسمع الرد عليها ، ويسأل بضعة أسئلة ، ثم يحكم في القضية . وكانت النتيجة موفقة حقاً ، فإن الاهتمام الشديد برفع القضية وإقامة الدعوى ، كان يحجب ما قد يتوهمونه من ظلم وقع عليهم . وفي ذلك تتبين الحكمة البالغة التي قصد إليها بتلك الطريقة ، فإن كل طفل حين يريد أن يحول غضبه إلى كلمات تخط على الورق ، يجد أن ليس ثمة شيء يمكن الكتابة عنه ، وإذا كان شيء من ذلك ، فهو من التفاهة بحيث يستحي أن ينبيء به والده .

[كاترين سيبرى]

إختبار المساء

كان أورفيـل فى الحادية عشرة فبينا جارة تزور أمه إذ أوقع أورفيـل زجاجة الحبر ، فأعول : « انظرى يا أماه ! ماذا أفعل ؟ ساعدينى ! أين أجد خرقة ؟ أليس من أحد يمسح الأرض ؟ انظرى إلى قميصى ! » .

واستمر فى شكاته حتى انصرفت الجارة ممتعضة فصبرت أمه على إصلاح ما أفسد ، ثم التفتت إليه قائلة فى سكون : « لقد عالجنا أمر الحبر إلا أن هناك أمراً أود أن أحدثك عنـه » وطفقت تبين له أن على المرء إذا ما ارتكب خطأ أن يصلحه بأقل ما يمكن من الضجيج ، وختمت حـديثها بقولها : « وسأتيح لك الفرصة قريبـاً أن تبرهن على أنك فهمت ما أعنى » .

وفى الأسبوع التالى كانوا يطلون غرفة المائدة ، وجلس أفراد الأسرة إلى مائدة فى الدور الأرضى ، وكانوا جميعاً يرتدون أخفر ملابسهم .

وجمد أورفيـل إذ جلس ، أيمكن أن يكون ما شعر به ماء على المقعد ؟ وخفض الجميع رؤوسهم يحمدون الله على نعمته ، ولما رفع أورفيل عينه نظر إلى أمه مبتسما وسألها فى أدب : « أيمكننى أن أترك المائدة ؟ » واستمروا فى غذائهم لا يعكر صفوهم شئ ، فقد جاز أورفيل الاختبار .

[مارجريت هولمز]

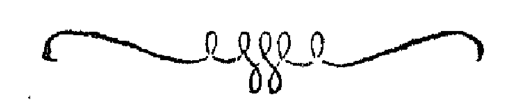
سجل هذه

كنا ثلاثة إخوة وبين كل منا وأخيه سنة واحـدة ، وكنا نكثر الشجار فقالت لنا أمنا يوماً : « لا تناموا على غضب يا بنىّ » . ووضعت سبورة صغيرة فى بهـو المنزل ، وشجعتنا على أن يخط أحدنا ما يمنعه التكبر أن يقوله لأخيه ، وحدث مرة أن تشاجر أندى ورايموند وأبى كلاهما كبراً أن يعتذر . ولـكن إذا أزف ميعاد النوم ذهب أحدهما إلى السبورة وكتب عليها : « إنى آسف » .

وقد كنا نشعر جميعاً بارتياح كبير بعد كتابة اعتذار أو مسح جملة على السبورة .

وكانت جملة: « إنى آسف ، فقد خرجت عن طورى » تعبر عن حب أحـدنا لأخيه واحترامه له ، وتشعرنا بصـلة القربى التى تربطنا جميعاً » .

[سرجنت رايموند فورر]





ملخصة عن مجلة « تريكولور » — حديث لاندريه جيرار نقله جورج كنت

إذا ما انقضّت الجنود الأمريكية والبريطانية مخترقة معاقل هتلر فى فرنسا فيومئذ يواجه جيش الاحتلال الألمانى هجوماً آخر تشنه عليه حركة المقاومة السرية بقواتها الجبارة. وهذه الحركة التى تتلفع اليوم بالصمت والتخفى تضم أكثر من مليون من الوطنيين الفرنسيين متأهبين جميعاً للجهاد .

ولقد عرفت حركة المقاومة السرية بما بلوت من تجارب رهيبة ، فقد كنت من بين منظميها وضباطها ولما يجفّ مداد هدنة سنة ١٩٤٠ . وهذه الحركة ، على نقيض الرأى السائد ، لا تتألف من مخربين فرادى ، ورماة ، وموزعى نشرات يعملون كيفما اتفق ، بل هى جيش ككل الجيوش ، يضم ذوى البراعة والبأس من جنود الجيش الفرنسى السابق وضباطه ، ويضم كذلك مدنيين نظموا فى وحدات هى : فرق الكوماندو ، والتخريب ، والإشارة ، والتجسس ، والأشغال الهندسية . وهؤلاء الجنود منبثون فى طول البلاد وعرضها ، ويدخل فى زمرتهم رجال من كافة الطبقات ومختلف العقائد السياسية .

بدأ تنظيم حركة المقاومة يوم كان آلاف من المدنيين وجنود الأمس يتعثرون سائرين فى السبل نحو الجنوب ، ومن ورائهم جيش الغزاة . لقد تشتت كثير من الأسر ، وخصصت الصحف أعمدة لإعلانات تنشد أنباء المفقودين ، وهاك مثلا منها : « مستعجل ! إذا كنت رأيت أخى شارل بتينى — وآخر أنبائه أنه كان يسير فى طريق شارتر — فأرجوك أن تكتب إلىّ بعنوان : صندوق رقم . . . . »

أخذ منظمو حركة المقاومة السرية يجيبون على هذه الإعلانات ، ويقولون فى ردودهم

« لبث أندريه جيرار سنتين يدير محطة الراديو الوطنى وهى محطة سرية فى فرنسا ، ثم عين بعد ذلك ضابط اتصال بين قوات حركة المقاومة السرية وقيادة الحلفاء العليا » .

من غير تورية : « لقد أصبحت محزوناً شديداً ، ولكن الحرب لم تزل ، فارفع يدك بتحية فرنسا ، وعليك أن ترسل صورة من هذا الخطاب إلى ثلاثة من أصدقائك ، وكن حلقة فى السلسلة التى ستحطم عنا سلاسلنا ... » .

نمت الفكرة وانتشرت ، واتصل منظمو الحركة بأصدقائهم جميعاً ينبئونهم بالخطة ويحذرونهم الأخطار ، ووجهوا إلى كل منهم السؤال التالى :

« هل لك صديق تثق به ؟ إذن فنبئه وأرشده » .

ومدّ كبار الضباط يدهم بالعون ، وكان المفروض — على الورق — أن العتاد الحربى الفرنسى قد سلم كله إلى الجيش الألمانى ، والحقيقة أن أطناناً من الذخيرة هربت وأودعت فى مخابئ ، ونهبت صرة بها عدة ملايين من الفرنكات ، وأخفيت ، ونهبت كذلك أشرطة مسجلة لأحاديث تلفونية ، ملؤها الزهو والخيلاء ، دارت بين الضباط الألمان وأعوانهم الفرنسيين أشباه كويسلنج ، وقد حفظت الأشرطة ليوم الحساب الذى سيعقب النصر .

وأنشأت حركة المقاومة حصوناً فى جبال فرنسا أسمتها «القلاع» ، وعززت الممرات والمسالك بأوكار الرشاشات والمدافع الكبيرة ، فأصبحت مواقعها منيعة بحيث يتيسر لرجل واحد يكمن فيها أن يصدّ عدواً مهولا ، وهذه هى فرنسا التى لم تقهر أبداً !

وفى مبدأ الأمر اتجه أهم جهد إلى تنظيم أعمال الانتقام من الألمان وتوحيدها ، إذ كان فاشياً قتل أوشاب من النازيين فى غير طائل . فقد حدث مثلا أن كانت فتاة من أسرة عريقة فقضى خطيبها نحبه برصاص الأعداء ، فاستدرجت إلى مخدعها ستة من الجنود الألمان واحداً بعد آخر ، تظل تطعنه بخنجرها حتى يموت . وهذا رجل تموت ابنته فى ربيعها الثامن وهى مشردة بين جموع الهاربين من العدو ، قد جعل دأبه أن يخرج كل ليلة فيصرع نازياً ، فقتل خمسة عشر حتى قبض عليه وأعدم . ودفن فلاح فى ناحية من حديقته ثمانية من الألمان ، خنقهم بثأر ابنة له قتلت ، وهكذا هلك مئات من الألمان ، ولكن اقتص لهم بقتل مئات من الفرنسيين .

وقد عبست حركة المقاومة السرية فى وجه هذا الانتقام الشخصى ، لأنه يعرقل تهيئة ضربات أجدى توجه إلى الأهداف العسكرية ، وقال ضابط فى هيئة أركان الحرب : « هذه عملية حسابية بسيطة : فإذا قتل الألمان واحداً أو أكثر من الفرنسيين مقابل كل ألمانى نقضى عليه ،

كنا نحن الخاسرين ، ونحن لا نجود أنفسنا بالخسارة ، إذ يجب أن نجعل كل عمل نعمله ربحاً » .

* * *

أقام منظمو الحركة فى مبدأ الأمر مركزهم الرئيسى فى قطرات النفق بباريس ، وأكبوا على العمل فى مركباتها وهى تجرى دورة فى إثر دورة ، ولما كشف الألمان حيلتهم اضطروا أن يدعوها ، وكثيراً ما كان المتآمرون يتنقلون من مكان إلى مكان ، ولهذا كانوا يجعلون وثائقهم فى قصاصات صغيرة من الورق ، وتتضمن كل وثيقة اسم مجند ، وما يحمله ، وأسماء خلطائه ، وهل يملك دراجة ، وكم رجل يتأتى له أن يؤوى ويطعم ، وما العمل الذى تطوع له. ورتب هذه القوائم كتبة مصارف يسهرون عليها الليل .

وأعدت سجلات لكل ناحية فى فرنسا ، وقائمة بأنفاق السكة الحديدية ، وبكل موضع يضطر فيه القطار إلى خفض سرعته ، وكل مصنع ، وكل حظيرة للسيارات ، وكل حوض لبناء السفن . وكانت الصحف السرية تصدر بادئ الأمر فى وريقة بخط دقيق ، ثم تدرجت إلى أربع صفحات فى حجم الكف ، تعدّها مطابع صغيرة مختارة فى غرف السطوح أو فى أقباء المنازل ، وقد ساعدت هذه الصحف على تنمية الآراء ، وإرشاد السكان ، ووصل عددها اليوم إلى أربعين صحيفة يوزع منها نحو نصف مليون نسخة .

وأوفدت حركة المقاومة أعوانها إلى أنحاء فرنسا للإنصات إلى مايقوله الناس ، ولتفنيد الدعاية الألمانية ولتجنيد عمال جُدُد . وكان لا بد من تدريب آلاف من الأنصار الذين ينضمون إلى الحركة ، فبعث إليهم مدربون ، فيهم من كان بالأمس محامياً أو مدرساً أو جنديا ، وجعل هؤلاء الرجال سفرهم تحت الليل ، مبتعدين عن الطرق العامة ليتجنبوا الحرس الألمان .

ولا يلقى المدربون درسهم على أكثر من رجلين فى وقت واحد ، وهم يعلمون طلبتهم كيف تدس القنابل المحرقة ، وكيف يوضع اللغم على السكة الحديدية لإخراج القطار عن قضبانه ، وكيف يخرب الإنتاج فى المصانع التى تعمل للألمان ، وكيف يخنق الرجل فلا يصيح صيحة واحدة ، وكيف يكتم دوى المسدسات ، وكيف تجمّع أجزاء البندقية السريعة ، وكيف تطلق .

ويمتحن المدربون شجاعة المجند فيكلفونه حمل مدفع سريع ، قد لُفّ بالورق فيبدو حزمة بريئة المظهر ، إلى بلد يبعد عدة أميال. وهذه المهمة تقتضى الذهاب إلى محطة

السكة الحديدية ، وتقديم الحزمة للشحن بعربة البضائع ، ثم تسلمها عنـد وصول القطار ، وتأديتها لمن أرسلت إليه ، وكل ذلك يجرى تحت أعين الشرطة . وكذلك يكلف المجنـدون قطع أسـلاك التلفون ، ووضع لغم على السكة الحديدية ، ولا يحكم المدربون بصلاح المجند للخدمة إلا بعد أن تجتاز شجاعته هذه الامتحانات الأولى .

* * *

ويختلف جيش حركة المقاومة عن أى جيش عهده العالم ، فالرياسة فيه للكفاية ، فترى قواداً سابقين يأتمرون بأمر ضباط كانوا فى رتبة اللازم الثانى ؛ وتشرف رياسة الجيش على عشرين وحدة إقليمية على رأسها ضباط تتألف منهم مراكز القيادة . وتغير هذه المراكز أماكنها كل مدة تتراوح بين ثمانية أيام وعشرة ، ويسبقها عامل مهمته أن يلتمس فى إحدى القرى ما يقرب من عشرة مساكن تقيم فيها مراكز القيادة وهى مطمئنة . وقد أصـدر الألمان أمراً بإعدام كل من يؤوى عضواً فى حركة المقاومة السرية ، ومع ذلك قلما يأبى أصحاب المساكن أن يضيفوا اللاجئين .

وفى الجيش فرقة خاصة للهجوم المفاجئ تسمى « الفرقة الحرة » وهى على غرار فرقة الكوماندو ، وتعرف أيضـاً باسم « فرقة الغوريلا » وذلك لأن أفرادها إذا اختبأوا بعد قيامهم بأحد الأعمال ، أطلقوا لحاهم توفيراً للصابون وشـفرات الحلاقة . وهم رجال أشداء مخاطرون ، وأكثرهم دون الأربعين ، وإن عملهم ليتطلب الثبات والشجاعة والاستخفاف بالموت .

أما المخربون ، فأكثرهم من الشيوخ والنساء والأحداث ، وإن كان عملهم لا يقل فى خطره عن عمـل السابقين ، فالموت ملاقيهم إذا قبض عليهم ، فالمكر والتخفى فى عملهم أهم من قوة العضل .

وكل عمـل من أعمالهم توضع له خطة يحرص فيها على العناية كل العناية بالتفاصيل ، فإذا كان الهدف مثلا مخزناً به أسلحة يدوية يحتاج إليها جيش المقاومة استكملت دراسة دقيقة عن عدد الحراس، وعن عاداتهم، وعن سكان المبانى المجاورة، وعن مداخل المخزن.

فإذا كان عدد الحراس ثمانية من الألمان مثلا ، اختار لهم ضابط القيادة سـتة عشر من الفرقة الحرة ، وأعد سيارتى نقل لحمل الأسلحة ، أما تخريب المخزن فيختار له أربعة من المختصين فى أعمال الهدم ويعلمهم بدقة ما يجب عليهم أن يفعلوه ، أما الزمن فعشر دقائق لرجال فرقة الغوريلا ، وأربعون دقيقة لرجال سيارتى النقل ، وعشر دقائق لفرقة الهدم .

وفى ليلة قد غاب قمرها يصل رجال الفرقة الحرة إلى المخزن وينطلق الرصاص من بنادق مكتومة الصوت ، ثم ضربات وشهقات . . لقد تم القسم الأول من المهمة وينصرف رجال الغوريلا . وأشخاص هؤلاء يجهلها رجال سيارتى النقل الذين جاؤوا بهما حينئذ وأوقفوهما على باب المخزن ، فإذا انتهوا من وسقهما انطلق أربعة رجال إلى داخل المخزن الفارغ ، ولا تمضى دقائق حتى تكون ألسنة اللهيب قد اندلعت من سقفه . وينصرف آخر من بقى من رجال حركة المقاومة على حين تكون ضجة سيارتى النقل تخف رويداً رويداً حتى تخفى على البعد .

وقد تنقضى ثلاثة أشهر على وضع خطة عمل ، مثل تحطيم محطة راديو باريس ، وهى أقوى محطات الإذاعة فى فرنسا . وقد سئلت لندن أن تحدد بالدقة مقدار ما يلزم لتحطيمها من المواد المتفجرة . وللإجابة على هذا السؤال أقام الإنجليز أنموذجاً مماثلا فى الحجم للمحطة ، ثم نسفوه . ووقع الاختيار على أربعة من فرقة الأحرار للقيام بتلك المهمة ، فبدأوا تحت إشراف مدربين من حركة المقاومة بتمثيل أدوارهم للتدرب عليها أكثر من مئة مرة . وفى اليوم الموعود تسلق الرجال الأسوار فى حذر وخفة ، وأشعلوا الألغام وفروا ، وبعد عشرين دقيقة انبعث دوى الانفجار ، ولم يقبض على هؤلاء الرجال أبداً .

وقد حدث مثل آخر من أمثلة دقة الخطة ونجاح التنفيذ بعد غزو الأمريكيين إفريقية ، إذ كان المظنون حينذاك أن جنوب فرنسا سيستهدف للغزو أيضاً ، فأصبح من المهم منع جنود المحور فى إيطاليا من دخول فرنسا ، وذلك بإتلاف السكك الحديدية التى تربط البلدين . فقامت جماعة تابعة لحركة المقاومة بوضع ألغام فى نفق متعرج تحطم منها قطار وتلوت عرباته فتعطل الخط عدة أيام . ونسفت جماعة أخرى صخرة على سفح جبل فانهال سيل من الحجارة هدم قنطرة مهمة للسكة الحديدية ، وقتلت جماعة ثالثة الحراس القائمين على قنطرة أخرى ثم نسفتها .

ولما بدأ النازى يرسلون قطارات مشحونة بالأغذية من فرنسا إلى ألمانيا ، عمل الكيميائيون التابعون لحركة المقاومة على استنباط وسائل لتسميم تلك الشحن ، وتسلل أعوانها إلى العربات وهى تعد فى أفنية محطة باريس ، وقاموا بتنفيذ الخطة ، وكان من أثرها أن مات مئات من الألمان ، فحاول النازيون إعداد العربات فى جهات أخرى من فرنسا ، ولكن كان لحركة المقاومة عيون فى كل محطة ، أغلبهم من موظفى السكة الحديدية ، واستمر تسميم الأغذية .

وقام المعمل الكيميائى الذى جهز السم باستنباط دهان أكال لاستعماله فى المصانع . وكان الألمان فى حرصهم على سلامة الإنتاج قد قسموه عدة أقسام ، فيقوم مصنع بإعداد هيكل السيارة ، ويتولى مصنع آخر إعداد المحرك وهكذا ، فإذا بالإنتاج يصل إلى غايته المرسومة فى كافة هـذه المصانع إلا مصنعاً واحداً ، ففى هذا المصنع يتولى أحد أفراد الجيش الخفى دهن بعض الأجزاء الرئيسية فى السيارة بهذا الدهان الأكال . ثم تخرج السيارة من المصنع فربما سارت ١٠٠ كيلومتر ثم إذا بها تقف لسبب خفى . وقد بلغ عدد السيارات التى اشتكت هـذه العلل الخفيـة ٩٠٪ مما صنعه مصنع واحد فى عشرة أشهر .

واتبع هذا العبث الرهيب فى عرقلة إنتاج الطائرات والبواخر، وكل المحركات التى تصنع فى فرنسا ، بل بلغ الأمر بأحد المصانع أنه لم يوفق قط إلى إنجاز صنع باخرة واحدة .

* * *

حارب الألمان حركة المقاومة السرية وجهاً لوجـه بالقبض على أفرادها وقتلهم وتعذيبهم ، كما حاربوها بالحيلة . والحيلة المحببة إلى الألمان أنهم إذا قبضوا على أحد أفراد جيش الحركة عذبوه حتى يشرف على الموت ، ثم تركوه ينزف دمه على إفريز الشارع ، رجاء أن يخف زملاؤه إلى مساعدته .

ومن أشق الأمور أن يغضى المرء عن زميل فى مثل هذه الحال ، ولكن لا بد مما ليس منه بد .

وقد دأب الألمان أيضاً على أن يستعينوا بجواسيس من النساء ، يرون أن الحب هو أول هم الفرنسى فى الحيـاة ، وأخذت فتيات فاتنات من الألمان يحسن الفرنسية ، يترددن على المقاهى والأندية الليلية ، ويسرن الهوينا فى الشوارع ، آملات أن يصدن رجالا يزلون فى الحديث فيفضون بمعلومات عن المؤامرات التى تدبر ضد النازى ، ولكنهن لم يفزن بطائل ، إذ سرعان ما فطنت لهن حركة المقاومة ، بل كان مثار العجب أن كثرت الحوادث التى نجح فيها الفرنسيون فأوقعوا الفتيات فى شباك حبهم . والحب إذا تحكم فى الجاسوسة قضى على نفعها . وأيضاً فقد طلبت وزارة الداخلية أن يخضع هؤلاء النسوة للاجراءات الكريهة التى تطبق على البغايا ، فما لبث الألمان أن عدلوا عن تلك الوسيلة .

* * *

وأولى المشاكل الخطيرة التى تعانيها حركة المقاومة هى : كيف تظل دائمة الصلة بمختلف وحداتها ، وكيف تبادل لندن الأخبار ، وأغلب هذه الأغراض يتم بمحطات سرية للراديو .

فإذا ما استعمل الألمان سيارات تحمل أجهزة لاقطة للاذاعة ، فعندئذ ربما تيسر لهم أن يحددوا على وجه التقريب موضع المنزل الذى فيه جهاز الإرسال ، ثم يرسلون رجلا بجهاز صغير له سماعتان يضعهما على أذنيه ، فيسير فى الشارع ذهاباً وإياباً حتى يستدل على المكان المطلوب ، فإذا فعل أحاطت بالمنزل حلقة من الجند وحطمت جهاز الإرسال وقتلت أصحابه ، فكان رد حركة المقاومة أن تقيم كميناً لسيارات الراديو النازية وتقتل راكبيها .

وكثيراً ما يستعان بالمشافهة فى نقل الأخبار ، فلا يحمل الرسول رسالة مكتوبة بل يحفظها عن ظهر قلب ، إلا أن يكون موضوع الرسالة تسليم ذخيرة ، فلا بد إذن من التوقيع خطاً . وتكتب هذه الرسائل عادة على ورق أرز ليسهل على الرسول مضغها وبلعها إذا قبض عليه .

وقد ظلت خزانة الأمتعة الخلفية فى سيارة أحد كبار موظفى حكومة فيشى ، تستخدم زمناً فى تبادل الرسائل بين مركزين رئيسيين فى باريس ، فكانت الرسائل تودع فى الخزانة والسيارة واقفة فى منعطف ، فإذا بلغت نهاية الطريق استخرجها عامل ميكانيكى من أصدقاء الحركة . واستخدمت أيضاً حركة المقاومة القطارات السريعة التى تسير باطراد واتخذتها وسيلة لنقل الرسائل بانتظام مرْضٍ ، وذلك بفضل عمال ميكانيكيين فى محطات نهاية الخطوط ، كما استخدمت سيارات النقل التابعة للجيش الألمانى .

وقد أصيب الشعب الفرنسى بانهيار جسمانى من جراء نقص الأغذية ، فإذا كسر عظم أحدهم صعب جبره ورمّ على فساد ، وطال أمده وعذابه . وقد تمضى أشهر طويلة حتى يلتئم جرح فى إصبع ، وقد تسودُّ الأسنان وتلتوى ثم تسقط . وكان من مكر الألمان أنهم إذا قبضوا على رجل فغروا فاه ، فإذا لمعت أسنانه بيضاً قوية علموا أنه رجل نزل فرنسا حديثاً ، فربما كان جاسوساً . وقد حدث أخيراً أن كان أحد أعوان حركة المقاومة يزور لندن ، فطلب من طبيبه أن يجعل أسنانه تبدو مشوهة ليضمن السلامة حين يعود إلى وطنه .

وقد برعت حركة المقاومة فى تنظيم سفر أعوانها ، فهى بصيرة بأن راكبي الدراجات هم لأمر ما أقل استثارة للريبة من الرَجْل ، كما أن الفتاة الحسناء تنجح حيث يخيب الرجل . واحتال أحد أعوان الحركة فقام بجولة واسعة فى أرجاء فرنسا مستقلا سيارة يملكها ويقودها صديق له من رجال الشرطة ، وكانت حيلتهما حيلة ساذجة ،

فقد كبل الشرطى معصمى صديقه بالأغلال ، وظن الحرس الألمان أنه سجين فلم يلقوا إليه بالا .

وكان كل وطنى يتاح له السفر إلى ألمانيا يعود إلى فرنسا وفى جعبته بعض الأخبار : فهذه محطة ألمانيـة ينام الرجل فيها آمناً ، وهـذا منزل يقطنه ألمان موالون ، وتلك مزرعة لا تردّ من يستطعمها . وبفضل الاسترشاد بهذه الأخبار الهينة تمكن أعوان حركة المقاومة من اجتياز الأراضى الألمانية إلى الروسيا . وكذلك كان إذا فرّ فى ألمانيا أسرى من الأمريكيين والبريطانيين أعانتهم تلك المعلومات على التسلل إلى فرنسا ، ومن ثم يوجهون سريعاً إلي أسبانيا ، أو يرسلون فى قوارب إلى إنجلترا .

وقد انضم أحد أعوان حركة المقاومة مختاراً إلى ركب من العمال الذين يسترقهم الألمان ويجمعونهم من فرنسا ، وذلك لكى يكتشف مصنعاً للغواصات أحيط مكانه بالكتمان ، فما كاد يصل إلى ألمانيا حتى فرّ من معتقله ، وأخذ يتجول فى أرجائها شهراً كاملا ، فكاد يهلك جوعاً حتى عثر على مكان المصنع . وكان هـذا المصنع يبنى غواصاته برمتها تحت سطح الأرض ، فحفظ الرجل مكان المصنع وكرّ عائداً إلى فرنسا مندسًّا تحت عربة قطار ، وبعدئذ قصدت المصنع قاذفات قنابل عالمة بموضعه تمام العلم ، فعطلته زمناً طويلا .

* * *

وحركة المقاومة كانت متأهبة تمام التأهب لغزو الحلفاء :— قطع مواصلات الألمان ، وتخريب مراكز قيادتهم الحربية ، ومنع وصول المؤن .

وقد عهـد إلى كثير من الرجال والنساء أن يقوموا بعمل واحد سهل كقص سلك تلفون أو وضع بضعة ألغام على شريط السكة الحديدية ، أو إشعال فتيل تنفجر منه قنبلة مُعـدة من قبل تحت وكر مدافع ألمانية . ودرّب عمال المطارات وحظائرها ليخلعوا رداء الاستكانة المصطنعة، ويستأسد كل منهم فى القيام بالمهمة الوحيدة الموكولة إليه ، مساعدة منهم فى عرقلة خطط السلاح الجوى الألمانى . أما الأعمال الدقيقة التى يضرب لتنفيذها موعد محدد كتحطيم سكة حديدية قد تجرى عليها قطارات الأمداد ، فقد عهد بتنفيذها إلي الفرقة الحرة وفرقة المخربين .

وقد دُبِّر الأمر حتى تنفذ هذه الأعمال تنفيذاً كاملا ، مهما كلفت من أرواح ، فإن جنود فرنسا الكامنين كانوا يتحرقون وهم ينتظرون ذلك اليوم الذى يتاح لهم فيه أن يشتركوا فى إبادة عدوهم الألمانى .

الخيال - أندر العقاقير

« وجهت مجلة ريدرز دايجست ، فى المجلات الطبية ، دعوة إلى الأطباء أن يوافوها بحوادث من تجاربهم توضح فائدة استعمال الخيال وفهم الطبائع البشرية فى التطبيب . وهذه نخبة من مئات الأجوبة التى تلقتها . وسينشر سواها فى المستقبل . والأسماء كلها مختلقة » .

أصيبت فرينة سيمور الحسناء بورم لمى خبيث فتاك فى عنقها ووجهها بعد زواجها منه بعامين . فلم نخبرها ولكنا رأينا فى عينيها أنها أدركت بطريقة ما أنها مشرفة على الموت .

وكان زوجها يهواها هوى شديداً ، وكان يود بجدع الأنف أن يجد طريقة ما لإسعادها فى أيامها الأخيرة . وعاد إلى المنزل ذات ليلة يحمل إليها تذكرتى سفر إلى أوربا بعد بضعة أشهر إبان الربيع . وتراكمت على فراشها نشرات السياحة البهيجة تدعوها للاستمتاع بشمس البحر الأبيض المشرقة وجماله الفاتن .

ومنذ ذلك اليوم أخذ زوجها يحدثها عن مفاتن رحلتهما المقبلة ، ويتذاكران معاً تفاصيلها ، ويقدران معاً أى المشاهد هما إلى رؤيته أشوق . فأخذ يعود إلى عينيها ريقهما كلما تطامنت شكوكها لحديثه العذب عن المستقبل ، وطفق الخياطون وصناع القبعات يفدون عليها ، فتتكوم الثياب والقبعات وما إليها فى حجرتها . ونسيت علتها وهما يعيشان فى أحلام شهر عسل جديد . فلما قضت نحبها قبيل الربيع كان الشطر السليم من وجهها أشرق ما كان بالسعادة والجمال .

ولم أر قط حباً تمخض عن عمل أعظم من عمل هذا الرجل . لقد تعلمتُ من سيطرته على نفسه سيطرة تفوق طاقة البشر ما لم أتعلم مثله فى دراستى الطبية : علمنى أن الوعود المجاملة المبهمة لا معنى لها ، وأن ما تراه العين وما تلمسه الأنامل هو وحده الذى يحمل اليقين إلى الروح ويؤجج فيها الشجاعة والأمل .

[روشستر — نيويورك]

كان بوبى الصغير فى الخامسة من عمره ولم يتكلم قط . وكان طبيعيا فى كل شىء إلا أنه كان يُرى كالمولع بتمثيل دور الأبكم .

وقال الطبيب : « دعى بوبى معى أسبوعاً ، وسأرى ما أستطيع أن أصنع له » .

ووضع الطفل فى المستشفى وقيل له إنه قد أتيح له من الماء ما يشاء ، أما الطعام فمحبوس عنه حتى يطلبه ، فلم يزد بوبى على

أن تجهم ، ذلك بأنه تعود من قبل أن يعامل بالتملق والملاطفة والوعيد .

ففي اليوم الأول فتنه محيطه الجديد فلم يبال بما ناله من الجوع . وفي اليوم الثاني بدأ يشعر بقلق ولا سيما حين يرى صحاف الطعام الشهي محمولة إلى المرضى الآخرين . وفي صبح اليوم الثالث ضاق ذرعه ، فما إن فتحت الممرضة بابه حتى سمعته يقول : «سحقاً لهذا .. طيب .. إيتني بطعام ! » .

[انديانوبوليس — إنديانا]

كثير من الناس يعاني من العلل ما يمكن رده إلى آفات عصبية يؤرثها الخيال النشيط ، فعندئذ يكون الإيحاء هو سبيل الشفاء .

ومن هؤلاء قسيس كنت أعالجه ، جاءني يوماً قابضاً على عنقه ، فكتب على سنادة الورق في مكتبي : « لقد انحبس صوتي ، فاصنع لي شيئاً من فضلك » وتبينت من فحصه أن حرارته ونبضه طبيعيان ، ولم أجد به أثراً لأية علة .

وكان يعتقد يقيناً أنه فقد صوته ، ولكنه كان يؤمن أني قادر على الطب له ، فاعتزمت أن أستغل إيمانه هذا لأشفيه .

وأنذرته أني قد أوذيه قليلا ، ثم أخذت أستعد لعمل « جراحة » له استعداداً هائلا ، وصففت أمامه صفاً من الآلات ذات المنظر المخوف . ثم أمرته أن يفتح فمه ، ففرقت بين فكيه بمكعم وتعمدت إيذاءه بأشد مما يطيق . ثم عمدت إلى هذه الآلات المزخرفة أتناولها مسرعاً بعضها تلو بعض ، فأجس لوزتيه تارة ، وأمس حنكه أخرى ، فتغثى نفسه . وتصبب العرق من وجهه ، فأزلت المكعم من فيه وقلت له : « الآن تستطيع أن تتكلم » فشكرني بصوت طبيعي ، وعيناه مغرورقتان بدموع المكروب واتاه الفرج.

وكل ما صنعته أني ألقيت في روعه وحياً أقوى مما تسلط عليه ، فارتد إليه صوته .

[اكرون — أوهايو]

شكا مريض الفواق (الزغطة) إثر الانتهاء من جراحة في بطنه . ودام الفواق أياماً ، وجرب طبيبه كل الأدوية الشائعة لعلاج هذه الحالة فلم تنجع ، واستمر الفواق .

وتذكر الطبيب أن هذا المريض معروف بالتقتير ، فوصف له دواء أقل من الأدوية السابقة شيوعاً . وما إن شرب المريض أول جرعة منه حتى سأل عن مفردات الدواء . فقيل له إن أهمها المسك . فقال للطبيب : « أليس هو تلك المادة النفيسة الغالية التي يصنعون منها العطور ؟ » فأجابه الطبيب :

« نعم ! وإن الجرعة منها لتساوى ثلاثين ريالا ! » فكف الفواق فى الحال !
[سان فرنسسكو — كاليفورنيا]

أدى الخضوع لطائفة من العلل الخيالية بإحدى مريضاتى الغنيات إلى العزوف عن أن تستغل حياتها أو مالها فى أى عمل منتج ، وجعلت وكدها الجرى وراء كل جديد من الأدوية والأطباء ، ولكن ما من شىء وصف لها وبدا لها أنه مفيد .

فلما كانت بباريس فى إجازة عرضت نفسها على أستاذ فى الطب معروف ، وطفقت تعدد له ما ينتابها من شتى الأمراض . ففحصها بعناية ، ثم أمرها أن تذهب فى الأسبوع التالى إلى مكان معين تجد فيه « علاجها » المطلوب .

ولما وصلت السيدة المسنة إلى موعدها ، أدهشها أن وجدته مستشفى يديره الطبيب لعلاج الفقراء . ورغب إليها الطبيب أن تصحبه فى دورته بالمستشفى ، وأخذ ينتقل بها من حجرة إلى حجرة تكدس فى كل منها مرضى مدنفون ، كثير منهم أشرف على الموت ، بين رجال ونساء وأطفال فى أدوار مختلفة من الضنى والسقم الشديد . وقبل أن يوفى بها على نهاية دورته بين هذه الحجرات بوقت طويل ، غمر الخجل وجهها ، فلما خرجت من المستشفى خلفت فيه الأثرة التى استغرقت روحها ، ولم تعد إلى التداوى أبداً .
[تشارلستون — ساوث كارولينا]

كثيراً ما يقضى الطفل الحديث المولد معظم ليله باكيا ، وما به من سوء ، ولكن الأم يضيق صدرها بعد منتصف الليل فتدعو الطبيب بالتلفون أن يأتى فى الحال .

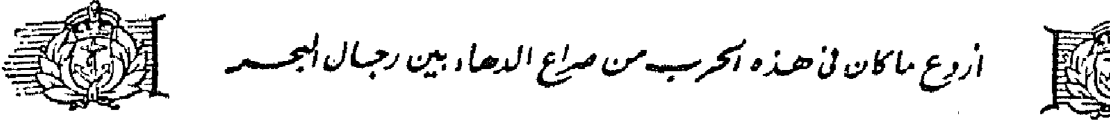
وقد سألت طبيباً مشهوراً من أطباء الأطفال عما يفعل فى مثل هذه الأحوال ، فقال :

« الأمر بسيط . أسأل أى نوع من الصابون يستعملونه فى المنزل . وأيا نوع أجده أسألهم أن يستعملوا سواه ، وذلك يستغرق وقتاً . ثم أسأل الأب أن ينحت من هذه القطعة قلماً طوله بوصتان وقطره ثمن بوصة . هل حاولت ذلك قط ؟ وينكسر القلم منه دائماً نصفين فى أوائل محاولاته . فإذا دان له الأمر فى النهاية ، طلبت منهم أن يضعوا القلم فى مكانه المناسب ، ثم ينتظروه حتى يخرج . وإنه لأمر مضحك كما ترى ، ولكن مثل هذه الأقلام من الصابون تستقر حيث هى ساعات . ثم أقول لهم : « إذا خرج القلم ولما ينم الطفل ، فأخطرونى بالتلفون لآتى فى الحال ! » » .

ثم أضاف : « ومنذ استعملت هذه الطريقة لم أتلق هذا الطلب الثانى قط » .
[باركلى — كاليفورنيا]

كيف أغرقت " الشارنهورست "





أروع ما كان فى هذه الحرب من صراع الدهاء بين رجال البحر

س . س . فورستر . . . ملخصة عن « سترادى ايفننج بوست »

كان النازى على علم بتلك القافلة التى ربما تشق طريقها إلى مرمنسك حول أقصى نقطة فى شمال النرويج ، وربما كانوا قد أنفذوا البارجة شارنهورست فى جوف الليل إلى تلك المنطقة القطبية عساها تقع على شىء فيها ، ولكنها خرجت على كل حال من مرساها فى خليج نرويجى ، وقد عقد لواؤها للأميرال باى .

توفرت لهذه البارجة — وحمولتها ٢٦٫٠٠٠ طن — جميع المقومات المطلوبة للاغارة على قافلة . فقد وضع تصميمها لتكون لسرعتها ٢٩ عقدة ، فهى أسرع من أية بارجة بريطانية ، ومدافعها الكبيرة تسعة من عيار إحدى عشرة بوصة ، فهى تبذّ أى طراد بريطانى ، ومدافعها الثانوية تتيح لها إذا ما توسطت قافلة ما أن تمعن فى إغراق سفنها كما يمعن الثعلب فى قتل الفراخ إذا ما تسلل إلى حظيرة الدجاج .

خرجت شارنهورست مساء يوم عيد الميلاد فى الوقت الملائم تماماً ، وقد أخذ الفجر يرسل ضياء شاحباً على مياه البحر المظلمة فى تلك الأصقاع الشمالية ، فالتقت بالقافلة ، وكانت حمولة سفنها قرابة نصف مليون طن ، وكان فى مكنة الشارنهورست أن تنزل بها من الضرر فى الساعة التالية ما يستطيعه أسطول الغواصات كله فى مدى ستة أشهر .

كانت القافلة البريطانية متجهة شرقاً على ١٥٠ ميلا شمال الرأس الشمالى ، وكان يحرسها من خطر الغواصات حلقة من سفن الكورفيت والمدمرات والسفن الحربية الصغيرة ، وكان للأميرال بيرنت — قائد الأسطول الحارس — ثلاثة طرادات هى بلفاست ونورفوك وشفيلد ، فعين لها مكاناً إلى الجنوب الشرقى من القافلة ، ومن هذه الناحية أقبلت بارجة الأميرال باى .

وتراءت الدارعة والسفن الحربية

س . س . فورستر أحد عظماء الكتاب البحريين . ولد فى القاهرة ونشأ فى لندن ، ودرس الطب ثم زاول الكتابة ، وقد كتب نحو عشرين رواية تاريخية وبحرية ، وكان حيناً ما مراسلا للتايمز . وقد بنى مقاله عن الشارنهورست على سجلات الأميرالية البريطانية

البريطانية ، على مسافة ستة أميال . وكان فى السفن البريطانيــة تلك العين الساهرة التى تحملها كل سفينة من سفن الأمم المتحدة — وهى عين تخترق حجب الظلماء، فترى فى ليل الأصقاع المتجمدة ومن خلال الضباب وعواصف الثلج — فكانت تسهر على سلامتها ، فأنذرت أول نذير ، وأخــذت تبين مكان ذلك الدخيل الذى لا يكاد يشك فى أنه عدو ، وتنبئ بوجهته . وكانت المدافع تسدد وفقاً لإرشادها ، وضــباط المدفعية ينتظرون اللحظة المناسـبة لقذف نارهم . واستدارت القافلة بناء على أوامر القائد ، على حين انطلقت الطرادات الثلاثة إلى ملاقاة العــدو .

وكان فى وسع مدافع شارنهورست الجانبية أن تقذف من القنابل ما يزيد وزنه على ما تقذفه الطرادات الثلاثة مجتمعة ، وإن طراداً تصيبه قذيفة مدفع قطره ١١ بوصة ولا يدمر ، لطراد مجدود ، على حين تذود دروع شارنهورست السميكة قنابل الطرادات عن أحشائهــا ، إلا ما أصابها عن كثب . فالصراع المقبل لا تعادل فيه ، ومع ذلك فقد اندفعت الطرادات الثلاثة نحو شارنهورست .

وفى نور ذلك الصــباح — والشمس لا ترتفع فى ليل القطب فوق الأفق طيــلة النهار — كنت ترى زبد الماء الذى يشقه مقــدم شارنهورست المسرعة ، وإن غابت عن ناظــريك أجزاؤها العليــا المربدّة . وأطلق مدفع من الجانب البريطــانى ، فارتسمت فى السماء قوس ساطعة من الضوء الأبيض ، قبل أن تنفجر القنبلة المنيرة فوق البارجة ، فأضاءت البحر حولهــا فى دائرة قطرها ميل ، وحين كان هذا النور متهادياً فى الفضاء معلقاً بهابطته ، أطلقت الطرادات نيرانها .

وصفرت القنــابل فى انطلاقها . ورأى ضابط المراقبــة فى الطراد نورفوك بمنظاره وميضاً باهراً أخضر على هيكل شارنهورست ساعة وقعت القنــابل عليها . وكانت مدافع نورفوك من عيــار ٨ بوصــات ، ومدافع الطرادات الأخرى من عيــار ٦ بوصات ، فمن المحتمــل أن تكون شارنهورست قد أصيبت .

واستدارت الدارعة مسرعة فأخطأتهــا القنابل التالية ، ثم مرقت من الدائرة المنيرة حولها واختفت فى سُدْفة الفجر . ولقــد قضى الأميرال باى نحبه ، فلن تعرف الدوافع التى حدت به إلى الفرار ، وليس من المحتمل أن يبلغ هيّــابٌ رعديدٌ مرتبة إمارة البحر فى الأسطول الألمــانى . ولعل باى كان ينفذ خطة وضعها من قبل . فالقافلة هى هدفه ، وقد عرف الآن أين كانت القوة الرئيســية

التى تحرسها ، ففى وسعه أن يقدر فى شىء من الدقة أين سفن القافلة ، فليبتعد متلفعاً بالظلام ثم ليسدد إليها ناره .

وكان على أمير البحر بيرنت — على الطراد بلفاست — أن يحزر ما ينويه باى ، وأين يهاجم القافلة ؟ ومتى ؟ ففى طاقة بارجة سرعتها ٣٠ عقدة أن تدور حول القافلة فى ساعة ، وقد تهجم عليها من أية ناحيـة ، وتغرق منها فى ١٠ دقائق سفناً كثيرة . فعلى بيرنت وهو واقف فى المربأ العالى المكشوف على ظهر البارجة بلفاست ، ورشاش الماء يتطاير من حواليه وهى تمخر عباب البحر الزاخر بأقصى سرعتها — أن يقدر ويحكم التقدير ، ففي الخطأ خطر عظيم .

وفى منتصف الساعة الواحدة ، أى بعد ثلاث ساعات من اللقاء الأول فى الجنوب الشرقى ، عادت شارنهورست إلى الظهور فى الشمال الشرقى ، فألفت بيرنت وطراداته أمامها . فبيرنت قد أحكم التقدير ، أما ماجال فى خاطر باى حين لاح له شبح هـــذه الطرادات الثـلاثة العنيدة ، على حين كانت جميع الاحتمالات تشير إلى وجودها على بعد عشرين ميلا ، فيمكن أن نستشفه من خلال ما فعــل فى تلك اللحظة . فقــد أطلقت شـارنهورست على غرة عدة مدافع دفعـة واحـدة ، فانفجرت قنـابلها على مؤخرة الطراد نورفوك ، ثم أدبر باى مسرعاً إلى قاعدته .

لم يكن باى يشك فى أن بيرنت قد أرسل منذ ثلاث ساعات إشـارات لاسلـكية إلى الأميرالية البريطانية وإلى الأسطول البريطانى الرئيسى ينبئهما بخبره ، ولم يكن يشك فى أن البريطانيين لن يتوانوا عن إرسال السفن والطائرات للهجوم على بارجة عظيمة مثل شارنهورست .

بل إن الخطر كان أعظم مما يتصور ، فعلى نحو ١٥٠ ميلا فى الجنوب الغربى منــه كانت قوة بحرية تسير مسرعة لتقطع عليه خط الرجعة — وهى قوة تستطيع أن تجعل سفينته ركاماً من حديد — وكانت مؤلفة من البارجة ديوك أوف يورك والطراد جاميكا المرافق لهـــا وأربع مدمرات لحراستها ، وكان لواؤها معقوداً للأميرال السير بروس فريزر قائد أسطول الجزر البريطانية .

ويندر من يعلم كم مرة نصبت البحرية البريطانية مثل هذا الفخ ، وكم مرة خرجت قوة مؤلفة من بوارج وسفن أخرى تشق طريقها إلى روسيا فى خط مواز لخط سير القافلة وعلى مسافة غير يسيرة منها ، عسى أن تلتقي بقوة نازية بحرية تخرج من النرويج . وهذا أول جزاء جوزى به العزم والمثابرة .

كانت البارجة ديوك أوف يورك على نحو

مئتى ميل حين تلقت إشارة بيرنت الأولى ، وكانت شارنهورست تفوقها سرعة بضع عقد فى الساعة ، فعلى فريزر أن يضمن قطع الطريق بينها وبين قاعدتها ، فإن تعقبها وحسبُ شئ مقضى عليه بالخيبة من أول الأمر ، فاتجه إلى أقرب نقطة إليه تقع على خط مستقيم بين آخر مكان ظهرت فيه شارنهورست وقاعدتها .

ولما أرسل بيرنت إشارته الثانية ، بعد أن عادت شارنهورست إلى الظهور . عرف فريزر مكانها بدقة ، فهى لم تزل على ١٥٠ ميلا .

وآن الأوان لبيرنت أن يأتى بفريدة أخرى . كانت شارنهورست بعد أن أصابت نورفوك قد اتجهت جنوباً ، فبادر بيرنت يقتفى أثرها ، إذ كان يجب أن يحاط فريزر علماً بمسيرها ، فعلى بيرنت أن يظل متصلا بها . بيد أن الاتصال ببارجة مدافعها من عيار ١١ بوصة أمر يسهل طلبه ويشق تنفيذه ، فإن فى طاقة تلك المدافع أن تصيب هدفاً وراء الأفق ، ولا يحتاج الأمر إلا إلى عدة طلقات دفعة واحدة تقع على أحد طرادات بيرنت لتغرقه .

وبعد ظهر ذلك اليوم الذى ساده القلق والانتظار لم يأت فريزر شيئاً يكشف عن مكانه ، فإن همسة واحدة من جهاز الراديو على سفينته تكفى لتدل شارنهورست على وجود قوة بريطانية أخرى فى جنوبها . على أن الشكوك تبددت فجأة فى منتصف الساعة الخامسة ، إذ قطعت ديوك أوف يورك صمتها اللاسلكى بأمر من فريزر إلى بيرنت أن : « أضئ مكان العدو بقنبلة منيرة » ، وإذ ذاك أيقنوا أن فريزر كان على رمية منهم ، وان ضباط الملاحة على بارجته أحكموا التوجيه إلى طريدتهم ، وقد حسبوا حساباً دقيقاً لسرعة بارجتهم ، وسرعة تيارات البحر والرياح ، واستدلوا على مكان شارنهورست من بيانات بيرنت .

لقد خيم الظلام ، وشارنهورست على يسار فريزر ، والطراد بلفاست على ثمانية أميال يجدّ فى أثرها ، وانطلقت من أحد مدافع بلفاست قنبلة من نار بيضاء تعالت فى الفضاء الأسود ، وانفجرت عالية فأضاءت الظلمات بنورها الوهاج .

فى وسط ذلك الفيض من النور لاحت شارنهورست ، ورأى المراقبون وضباط المدفعية فى أسطول فريزر أجزاءها العليا بارزة للعيان مرتسمة على صفحة الأفق البعيد وصبت خمسة مدافع من عيار ١٤ بوصة نيرانها فى دوى صاخب منقطع النظير ، وقذفت ثلاثة أطنان ونصف طن من حمم الصلب والمواد المتفجرة على هدفها ، وظلت

القنابل تهدر فى الجو عشرين ثانية ، وتمرت فى مسيرها المقوّس فوق إحدى المدمرات المرافقة للبارجة ديوك أوف يورك ، فسمعها مَن على المدمرة ، كأنها قطُر سريعة تنهب الأرض نهباً .

ووقعت القنابل قاب قوسين أو أدنى من شارنهورست ، فاستطار الماء أعمدة ذهبت فى الجو مئتى قدم ، وسجلت الطلقة التالية بعد نصف دقيقة إصابة مباشرة .

فأدار باى دارعته نحو اليسار ، وانطلق بها إلى الشرق مسرعاً يبتغى الأمان فى الظلام المخيم ، فاندفعت فى أعقابها البـارجة ديوك أوف يورك . وأصيبت شارنهورست مرة بعد مرة ، بيد أن إصابتها لم تكن من الخطر بحيث تخفض سرعتها من فورها . وقبيـل منتصف الساعة السابعة كانت شارنهورست خارج مرمى المدافع ، محطمة مهشمة تضطرم فيها النيران ، ولـكنها آمنة — إلى حين — مدافع ديوك أوف يورك .

ولم تكد مدافع ديوك أوف يورك تسكت عن دمدمتها حتى التمع فى الأفق البعيد ضوء نيران المدافع من جديد . كانت المـدمرات الأربع المرافقة للبارجة ديوك أوف يورك قد أدركت بسرعتها المتفوقة البارجة شارنهورست فهجمت اثنتان من اليمين واثنتان من اليسار لتسد طريق النجاة على باى قبل فوات الوقت .

وأطلقت شارنهورست نيران مدافعهـا الثانوية عليهـا ، فـكان دفاعها يسـتوقف النظر ، فها هى ذى شعلة من اللهب الأحمر البرتقالى الخارج من فوهات مدافعها ، ومن هذه النواة المتأججة ينطلق عدد عديد من خطوط الرصاص القصّـاص . على أنه من الصعب وقف مدمرات مندفعة بسرعة ٤٠ عقـدة . وكانت شارنهورست إلى ذلك قد أصيبت إصابات بالغـة ، فقد لحقت بمدافعها ونظام مواصـلاتها أضرار لا ريب فيهـا ، فـكانت نيرانهـا غير محكمة ، فلم تصب من المدمرات المطاردة إلا واحـدة . وأغذّت المـدمرات فى هجومها فلم تطلق طرابيـدها سدًى من عشرة آلاف ياردة ولا من ستة آلاف ياردة ، وهى أقل مسـافة يجب أن تكون بين مدمرة وبارجة تقذف النـار ، بل اقتربت إلى مسافة ألفى ياردة منها أو أقل ، وسدّدت طرابيدها إليها ، ثم انثنت مبتعدة عن البارجة التى حان حينها .

أصاب شارنهورست عدد من الطرابيد إصابات مباشرة ، ولـكنها ظلت عائمـة على الرغم منها ، وظلت مدافعها تصب ناراً قوية كانت تخطىء الهدف فى أكثر الأحيان ، ولـكن كان لها فى النفس وقع مهيب .

ونقصت سرعـة شارنهورست ، فدنت البـارجة ديوك أوف يورك إلى المرمى مرة

أخرى، وشرعت مدافعها من عيار ١٤ بوصة تدكها دكا . وكذلك دنا الطراد جاميكا المرافق لديوك أوف يورك إلى مسافة قريبة جدا من شارنهورست ، وفى الوقت نفسه وصلت إلى ساحة المعركة طرادات بيرنت الثلاثة وأربع مدمرات من المراكب الحارسة للقافلة . وفى الظلام الدامس أطبق على شارنهورست ما لا يقل عن ثمانى مدمرات وأربعة طرادات وبارجة كبيرة . وحينئذ حان الوقت لليد العليا المدبرة أن تتولى الأمر ، فصدرت أوامر الأميرال فريزر بلغة واضحة : « أفسحوا ميدان الهدف إلا من سفن الطربيد ومدمرة واحدة بنور كشاف » .

فانحرفت جميع السفن ما عدا اثنتين ، ووجهت مدمرة أنوارها الكاشفة إلى حطام شارنهورست ، وكأنها رماح مشرعة من النور الأبيض الناصع تنفذ فى الظلماء ، واقترب الطراد جاميكا للقضاء عليها ، واستدار نحوها وقذف عدداً من الطرابيد دفعة واحدة ؛ فانفجرت انفجاراً مريعاً حين أصابت الهدف .

وحين انقشع الدخان بدت شارنهورست آخر مرة مائلة على جنبها ، ولم تزل نيران ذخيرتها تندلع من جوفها ، ثم أطبق عليها الدخان مرة أخرى وغابت فى قرار اليم ، على حين هرعت الطرادات البريطانية إلى التقاط الناجين . على أن تلك النيران كانت قد أحرقت أكثر من ألف رجل .

ومن الصعب نقد الخطة الفنية النازية ، على أن الحقيقة الثابتة ، هى أن البارجة شارنهورست خرجت فحطمت . وسيذكر البحرى النازى خلال الشهور القادمة ، إذا ما صدرت إليه الأوامر بالخروج إلى عرض البحر، جرافسبى وبسمرك وشارنهورست فيخرج على كرهٍ لا يعزِّز كفايته فى الكفاح .

منطق براميل البيرة

دخل أحدهم مشرب بيرة ، وحين انتهى مما يريد شربه التفت إلى مدير المشرب سائلا : — كم برميل من البيرة تبيع فى الأسبوع ؟ — خمسة وثلاثين برميلا — فقال : أستطيع أن أدلك على طريقة تمكنك من بيع سبعين برميلا . فقال المدير دهشاً : وما هى ؟ فقال الرجل : إملأ الأكواب !

جاك ماينر صديق البط الحميم

جون بيرنت تيجرت . . . ملخصة عن مجلة « ستردى ايفننج بوست »

ذات مساء ومنذ عهد قريب ، كان قناص هندى قمىء يدعى يوستو مونتيرو يدفع زورقاً له من صنع يده فى نهر مجدالينا فى جمهورية كولمبيا ، وإذا خمس بطات من النمرشير ينهضن طائرات ، فبادر مونتيرو ورفع بندقيته وأطلقها ، فسقطت إحداهن ، وفى ساقها حلقة فضية نقش عليها : « اكتب إلى جاك ماينر ، كنجسفيل ، أونتاريو ، كندا . وليراقب بعضنا بعضاً للتحريض على المحبة وفعل الخيرات (عب) ، أى الرسالة إلى العبرانيين ، ١٠ : ٢٤ » .

ولم يكن مونتيرو يعرف اللغة الإنجليزية فسارع يستشير محامياً فى برّانكيلا ، فعرفه أن الحلقة قد وضعها رجل يعيش على ثلاثة آلاف ميل ، ويشتغل بأمرين معاً : دراسة هجرة الطير ، وإذاعة المتون الإنجيلية .

قال المحامى : « اتبعنى ، ولنكتب إلى جاك ماينر هذا » .

كان كتابهما كتاباً من ثلاثين ألف كتاب وصلته منذ سنة ١٩٠٩ يوم حفر لأول مرة عنوانه على قطعة صغيرة من المعدن ، وطوق بها ساق بطة سوداء اسمها « كاتى » . وفى سنة ١٩١٠ قتل « كاتى » قناص بالقرب من أندرسون بولاية كارولينا الجنوبية وكذلك صار ماينر « الرائد الأول » لتطويق الطيور فى أمريكا الشمالية .

وقد يكون ماينر ، وهو فى الثامنة بعد السبعين ، أوسع الناس معرفة بالطيور القواطع . فقد لاحظ وهو فى بيته المتواضع بمقربة من كنجسفيل ، أن جدول ضيوفه من ذوات الجناح قد جعل يزداد ، من بطة واحدة هائمة على وجهها ، إلى خمسين ألف ينتظر أن يجئن كل حول . وقد جازته الطير ، كفاء ما قدم إليها من قوت ورعاية ، فزودته بمعلومات عن عاداتهن جعلته محاضراً مبرزاً ، ومؤلف كتب عديدة ، ومن أشهر رجال كندا المعروفين . وفى العام الماضى أهدى إليه الملك جورج وسام الإمبراطورية البريطانية ، جزاء كتابه فى الدجاج القواطع (أى المهاجر) .

إن ماينر عاشر عشرة أبناء ولدوا لأبوين فقيرين ، وبدأ حياته قناصاً يبيع

لذائذ الطير البرى « لذوى الثراء على الضفة الأخرى من النهر فى ديترويت » . ولما مهر فى إغراء الإوز والبط على الاقتراب من مرمى البندقيـة ، حمله حب الاستطلاع على أن يعرف كيف تعيش من موسم إلى موسم ، وإلى أين تطير ، وكيف تتزاوج فى الغالب وما مدى عمرها . ولم يزل ماينر حتى اليوم ، وقد طوق أكثر من ١٠٠٠٠٠ طـير ، مولعاً بهذا العمل .

يبكر جاك وأحـد أبنائه سحَـراً إلى المصيدة حيث تصاد الطيور لتطويقها ، وتمتد هذه المصيدة بطول بحـيرة ماينر الصغيرة ، وتتألف من إطار بسـيط صنعه بنفسه من أنابيب الماء مكسوة بالسلك . وقد جعلت فى الأصل لصيد الإوز ، إذ كانوا قد طردوا البـط شيئاً فشيئاً إلى أماكن أخرى من أرض ماينر . وقد صنع جانبا المصيـدة متحركين على مفصلات فيرتفعان وينخفضان ، وتتم الحيلة بأن تحبس فى الشرك عنـدما يكون أكبر عـدد من الطيور مشغولا بالغذاء تحت الإطار .

وأول ما صنع جاك هذه المصيدة ، اتخذ دمى على هيئة الطـير ليغرر بالطيور البرية . أما الآن فقد كثر الإوز حتى غطى سطح البحيرة فلم يصبح التغرير معضلة ، ولـكن أن تدأب كل صباح على جمع ثلاثمائة طائر كلها صائح صاخب لتوضع فى غرائر خشنة ، لتفحص ، ثم تطـوق ، أمر يتطلب رجلاً لا تفتر همته .

يقول جاك : « ويأتى بعد ذلك ألطف عمل نزاوله . فأنحدر أنا وأمى إلى المستودع حيث نقص الأطواق ، ونضع عليها كلمات من الإنجيل » . فيضعان عليها كل يوم من أيام الموسم عبارات مختلفة ، هى عندهم تاريخ لـكل صيد .

ثم يقول : « خطرت ببالى فـكرة وضع عبارات من الإنجيل يوماً ما بعد الظهر ، وكانت أمى تقرأ تقويماً اشترته من عذراء تخدم جيش الخلاص . فمضيت أفكر فى بعثاتهم التبشيرية فى أنحاء الدنيا ، ثم فى طيورى وفى الأماكن الغريبـة التى تطير إليها ، فاقتنعت بأنه من الممكن أن تصبح من المبشرين ، وأن تكون زاداً للجسم والروح معاً » .

عندما تعد الأطواق الألومينية ، وعرضها بوصة ، تفحص الطيور بعناية ، لما عسى أن يكون بهـا من جراح أو أطواق أخرى وضعها ماينر ؛ وأكثر من عشرين فى المئة من زوار ماينر ضيوف عائدة . أما كيف تستطيع إوزة تطير من خليج هدسون فى شمالى كندا ثلاثة آلاف ميل إلى لويزيانا ، أن تهتدى سنة بعد سنة إلى بحيرة مساحتها فدانان ، فأمر لم يستطع أحـد حتى ماينر

نفسه أن يقطع فيه بحكم . يقول : « كل ما أستطيع أن أقول هو أنى لم أقع على إنسان بارع براعة إوزة كندية » .

إذا حمل طائر طوقاً من أطواق ماينر خمس سنوات ، استبدل الطوق ، وبهذا يستطيع جاك أن يحدد بالدقة عمر الطيور. وأسن بطة صيدت فى « غرب فرجينيا » بلغت من العمر ٢٣ سـنة . وبلغت إوزة كندية من الكبرعتيا ، إذ عمرت ٢٩ سنة.

وبعـد أن يتم تطويق الطيور ، تفض مسز ماينر البريد اليومى ، إذ تصل أكداس من الرسائل كل يوم . فطبيب فى سـوث دا كوتا ، وتاجر فراء فى لبرادور ، وفلاح فى تنيسى — قد يرسلون أطواق جاك ماينر، سائلين عما يعلم عن طيورهم ، فيكتب ابنه « مانلى » لكل منهم كتاباً شخصيا .

ويستطيع جاك ، من الثـلاثين ألف طوق التى ردت إليه ، ومن دراسة السنين الطوال ، أن يتتبع مسالك الهجرة بدقة . وعنـده مصورة جغرافيـة كبيرة لأمريكا الشماليـة ، تدل كل علامة وضعت فى بقعة منها ، على المكان الذى قتلت فيه إوزة أو بطة تحمـل أحد أطواقه . وتشير هـذه العلامات إلى طريقين واسعين محـدودين للطيران فى المحيط الأطلسى تعبرها الطيور عاماً بعد عام .

يقول جاك : « الإوز فى طيرانه أصدق من البط ، فإنه يطير من هنا : إما رأساً إلى شـاطئ كارولينا الشماليـة ، وإما إلى لويزيانا عن طريق إلينوى. وغالباً ما يتوقف رسم الطريق الذى تتبعه على من تلتقى به هنا . فقد بلوت بعض أسر يهبطن أربع سنوات أو خمساً متتالية ، فى طريقهن إلى لويزيانا ، فيتفق أن تعقد الأم الكبيرة صداقة مع بعض أسراب من كارولينا الشمالية ، وقبل أن تدرك أنت ذلك ، تأخذ الأب والأفراخ وينهضن جميعاً نحو ذلك الاتجاه . وأياً كان الطريق الذى تتبعه ، فإنها تلاحظ اتجاه الريح ، وتعدل طيرانها بحيث تضرب الريح ذيولها فتساعدها على الطيران . ولم أر قط إوزة مهاجرة تسـتقبل بوجهها الرياح الشديدة . وهى تجد فى طيرانهـا بمعـدل ٥٠ ميلا فى الساعة ، ولها جلد عجيب . وقد تطـير بعض الأسر من هنـا إلى جزيرة «بافن» — وهى مسافة تربى على ١٦٠٠ ميل — بدون توقف » .

سل جاك كيف يعرف أنها تطير بغـير توقف ، فيجيبك ابنـه مانلى : « لدينـا آلاف من الأطواق ردت إلينا من منطقة خليج هدسون . ثم لم يصلنا من المنطقـة الواقعة بين هـذه الرحاب وكنجسفيل غير سـتة أطواق . وقد دلت الكتب المرسلة

معها على أن هـذه الطير قد قتلت بطلقة سددت إلى سرب كبير من الإوز وهو فى طيرانه » .

وبينما تجد أن بحيرته الصغيرة تكاد تغص بزوارها الآن ، فإن محلة جاك لم تكن دائماً مشهورة كل هذه الشهرة . فقد ظل ينزل بها البط سنوات عديدة ، حتى فكر فى سنة ١٩٠٤ ، أن يجتذب بعض الإوز ، فوضع فى البحيرة سبع إوزات أليفات ليكنّ بمثابة الدمى ، وأذاع فى جيرانه فخوراً أن الإوز سيهبط يوماً ما، ولكن لم يهبط إوز ما. وترقبها أربع سنوات طوال ، حتى إذا جاء يوم من إبريل سنة ١٩٠٨ هبطت إحدى عشرة إوزة كندية مؤيدة قوله . فأطعمها، وبعد ثلاث أسابيع تابعت طيرانها وعدن فى السنة التالية ومعهن خمس عشر إوزة أخريات . وفى السنة التالية هبط عليه أكثر من أربعمائة ، ومن يومئذ يزداد عددهن .

واليـوم ، بمساعدة الحكومة الكندية وجماعة أصدقاء الصيادين ، يقف جاك الأربعمائة فدان التى جعلها حرماً للطير، على إنتاج الحنطة التى يعون بها زائراته من ذوات الجناح . ولقد وقفت معه يوماً أرى الطيور تتناول طعامها فسألته : أيهما أحب إليك : البط أم الإوز ؟ فقال :

« عجباً ! أحبهما جميعاً ، ولكن البط مولع باللهو ، فإن ذكوره لا تكاد تنتهى من التقرب من فتاة حتى تنظر إلى أخرى . وذلك على عكس الإوز ، وبخاصة إوز كندا ، فإنه يلزم الوقار ، ويحتمل التبعات، ولا يقاتل إلا والقتال ضربة لازب ، فإذا قسر على خوض المعركة ، فإن غضبه عنيف أليم . ولا يوجد رب أسرة أحق من إوز كندا . فإنه لا يتخذ أكثر من صاحبة واحـدة طوال حياته ، ويستميت دفاعاً عنها وعن صغارها » .

قال جاك : « من أرقّ الشخصيات التى بلوتها إوزة كندى . فقد خرج بعض الصبيان يصطادون ذات يوم ، وأطلقوا النار على أسرة عدتها خمس إوزات ، فقتلوا ثلاثاً ، وكسروا جناح ذكر منها ، وفرت واحدة . فسألتهم أن يمنحونى ذلك الذكر المكسور الجناح ، وجهـدت حتى ربطت الشرايين المتهتكة ، وبترت جزءا من جناحه . ولما وضعته فى الخارج ثانيـة ، رأيت إوزّة آخر يحوم حول البيت ، وهو يصيح كأن قلبـه يكاد ينفطر . فلما اتجه المريض نحو البركة حيث كان بها ما لا يقل عن ألف من الإوز تصخب وتصيح ، رفع رأسه مرسلا صوتاً ضعيفاً ، فهبط إليـه الإوزة الحائم ، ومنذ ذلك الحين لم يفارق ذلك الزائر أخاه الكسيح لحظة واحدة . نعم ، إنه لم يطر ثانية ونسى حرياته التى تغمره بها

هذه القارة الرحيبة، ليعيش مختاراً في الأسر».

أما عمل جاك في جبر العظام فقد نجح، حتى إنه يدير الآن مستشفى للطير. ولقد عمد إلى لوح كان يستعمل لكي الملابس وجعله مائدة لإجراء العمليات، فيضع الجبائر على السوق المهشومة، ويصلح الأجنحة المهيضة، ويستخرج رصاص البنادق. وعنده في العادة أربعون أو خمسون مريضاً تحت العلاج، أو في طور النقاهة. ويلوح أن الطيور تدرك معنى «المستشفى»، فمع كل صباح تقريباً يجد جاك، خلال فصل الهجرة، ثلاث إوزات أو أربعاً من حجيجه مصابات، وهن يحاولن دخول فناء المستشفى. وهذه ظاهرة تقنع بأن الإوز تحسن بعض الإحسان أن تتكلم وتتفاهم، ذلك بأن قليلا من هذا الإوز من دخل ذلك الفِناءَ من قبل.

ومنذ قريب عود أحد أصدقاء ماينر إوَزَّة كبيراً على أن يتبعه ماشياً أكثر من خمسة أميال إلى باب المستشفى. وحدث مرتين أن طار إوزتان في غير موسم الهجرة طلباً للعلاج. وكان أحدهما مجروحاً جرحاً شديداً في صدره، فسقط من الجو ميتا على مقربة من الروشن الخلفي في بيت ماينر، ذلك بأنه وصل بعد فوات وقته.

وحين يطوف ماينر في أرضه، وجيوبه مفعمة بالحب لطيوره، يرى أنه قد حقق حلم حياته. ولكن لا يزال له أمل واحد ينشده، هو أن يخصص لملجاءِ طيره في كنجسفيل هبة، حتى تظل بعد موته البيت العالمي لذوات الجناح

لقد أسست وزارة الداخلية في الولايات المتحدة سلسلة من الملاجئ على غرار محلة ماينر، من حدود كندا إلى الخليج (مكسكر). ويقول ماينر: «إن الملاجئ أوفى بالوقاية من نظام حماية الصيد، وينبغي أن يكون لنا مصدر غزير للصيد في هذه القارة أعواماً طوالا».

بعد الحرب

أما وقد استقرت الحال في جزيرة وادى الكنار، فإن الوقت متسع للبحث في أغراض الحرب. وقد قال لي نفر غير قليل من الجنود، بلهجة اليقين، إنهم يقاتلون لكي يستوثقوا، حين يعقد الصلح، من منح اليابانيين جزيرة وادى الكنار، وإرغامهم على سكناها.

[أيرا ولفرت في: «ذى أمريكان مركيورى»]

احتدم الجدال حول السياسة الخارجية الأمريكية. وهذه حقائق — بعضها ينشر للمرة الأولى — تساعد على تفهم تلك السياسة



ضوء على سياسة وزارة الخارجية الأمريكية

كنجز برى سميث

مراسل شركة الأنباء الدولية فى وشنطن

لم تزل وزارة الخارجية فى عهد رئاسة روزفلت موضوعاً لكثير من الجدال العنيف، فزعم النقاد أن إدارة الوزير كوردل هل للشئون الأمريكية الخارجية قد أفضت إلى إخفاق محزن، وقال المدافعون عنها: إن وزارة الخارجية ضحية لفئة من الكتاب المتحمسين، الذين يرون أنه ينبغى للولايات المتحدة أن تتولى إصلاح العالم.

ولقد يكون فى وسع المؤرخ المحايد، فى المستقبل، أن يدلى برأى واضح، بعد أن يكون مر الزمان قد لطف من حدة هذه السنين. أما اليوم فلا بد لنا من أن نحكم على وزارة الخارجية بالنتائج التى نبصرها بأنفسنا.

وأهم المسائل فى سياسة أمريكا الخارجية التى ثار حولها الجدال: سياسة أمريكا الخاصة بشئون أوربا قبل الحرب، والعلاقات مع اليابان، والسياسة الخاصة بالفرنسيين، وموقفها من الأسبان، والسياسة الخاصة بأمريكا اللاتينية، ووضع الخطط لما بعد الحرب.

اتهمت وزارة الخارجية بأنها لم تبذل إلا مجهوداً ضئيلا لمنع الحرب، التى قد دنا وقوعها فى أوربا. ومع ذلك فإن أول عمل قام به هل، حين عين وزيراً للخارجية سنة ١٩٣٣، أنه وضع برنامجاً واسع النطاق للتجارة الدولية، من شأنه أن يقضى على تلك الحرب الاقتصادية التى كانت دائرة يومئذ بين أمم العالم. بادر هل — وهو الذى ظل يدعو طول حياته للتجارة الحرة — فقام ينادى متحمساً بأن تتاح للجميع فرص متكافئة فى التجارة. وقد أنذر مراراً بأن الحرب واقعة لا محالة إذا لم تكف كل أمة عن إقامة الحواجز التجارية فى طريق أخواتها. فلما رفض أدولف هتلر أن يعاون فى الأمر، ألغت أمريكا اتفاقها التجارى مع ألمانيا، فكان هذا العمل خطوة من الخطوات التى انتهت بقطع كل صلة بالنازيين

وكذلك هوجمت وزارة الخارجية لأنها لم تقم بفرض العقوبات على إيطاليا ، يوم غزا موسوليني أرض الحبشة سنة ١٩٣٥ ، وما وقف هل موقفه هذا إلا لأن الشعب الأمريكي لم يكن يريد أن تتورط الولايات المتحدة في أمر الحرب الأوربية . ومضت وزارة الخارجية في سياسة الحياد الدقيق ، فأيدت الاتجاه إلى منع الأسلحة عن كل من إيطاليا وإثيوبيا ، واتبعت سياسة مماثلة لهذه في الحرب الأهلية الإسبانية .

أما أن يكون هذا الموقف خطأ أو صواباً فذلك أمر قابل للمناقشة . والمحاولة التي قامت بها دول المحور لفتح العالم ، كان من الجائز أن تقتل في مهدها ، لو أن الدول — التي أصبحت فيما بعد الأمم المتحدة — استطاعت أن تشترك في عمل حاسم للقضاء على العدوان . ولكن ماذا كان يكون موقف الكنجرس والشعب الأمريكي لو أن وزارة الدولة اجترأت فأقحمت الولايات المتحدة في سياسة ترمي إلى تحدى كل من ألمانيا وإيطاليا في أسبانيا سنة ١٩٣٦ ؟ لقد اتهم الرئيس روزفلت والوزير هل بأنهما من تجار الحرب ، يوم قاما يحذران الأمة من خطر الدكتاتوريات وحسب .

فإذا كان «هل» مخطئاً عند ما حاول أن يتجنب التورط في جرائر حرب إسبانيا الأهلية ، فكذلك كانت الكثرة العظمى من الشعب الأمريكي . وكانت المغالطة السائدة بين الناس في ذلك الوقت مؤداها أننا نستطيع أن نظل بعيدين عن الحرب إذا لزمنا خاصة شئوننا . ووظيفة وزارة الخارجية في إدارة الشئون الخارجية هي أن تعبر عن إرادة الشعب الأمريكي ، ولم يزد «هل» على أن قام بهذا الواجب .

واتهمت وزارة الخارجية بأنها لم تتخذ موقفاً قويا سنة ١٩٣٨ حيال اتفاق التهدئة الذي باعت فيه بريطانيا وفرنسا جمهورية تشكوسلوفاكيا بيعاً رخيصاً ، لكي تكسبا الوقت اللازم للتسلح لحرب ألمانيا . ولكن من نحن حتى نقول لبريطانيا وفرنسا — وهما في حالة ضعف محزن — أن تجازفا بشن الحرب على قوة ألمانيا الحربية العظيمة يومئذ ؟ وهل كان في وسع وزارة الخارجية عندئذ أن تؤكد لهما أن الولايات المتحدة ستشاركهما في الحرب لكبح جماح هتلر ؟ إن الشعب الأمريكي لم يكن معارضاً للحروب « الخارجية » فحسب ، بل إن الجيش الأمريكي نفسه كان يومئذ في حالة يرثى لها من قلة العدد والعدة .

وتهمة أخرى نسبت إلى وزارة الخارجية ، هي أنها عجزت عن أن تدرك أن الحرب آتية . والحقيقة أن وزارة الخارجية ، قبل

وقوع الحرب ببضع سنين ، كانت تأتيها من ممثلينا السياسيين ، النذر بخطر وقوع حرب كبيرة لا فى أوربا وحدها ، بل وفى الشرق الأقصى أيضاً . ففى سنة ١٩٣٢ — أى قبل مهاجمة اليابان لبيرل هاربور بتسع سنين — أبلغ يوسف جرو ، سفير الولايات المتحدة فى طوكيو أن « أداة الحرب اليابانية قد صنعت للحرب ، وأن شعورها متجه إلى الحرب ، وأنها ترحب بالحرب » .

وفى سنة ١٩٣٣ ذكر جورج مسرسميث — وهو يومئذ قنصل أمريكا العام فى برلين — أن الرجال الذين يسيرون دفة الحكومة الألمانية قوم : « ذوو نفوس مريضة ، وأن الأمة الألمانية قد ولت وجهها شطر أهداف لابد أن تخلق مواقف مخوفة على السلم العالمى » . وعاد السفير جرو مرة أخرى فأرسل من طوكيو ينذر بأن موقف اليابان خال تماما من التمويه والمخادعة ، فرجال الجيش والجمهور اليابانى ، كلاهما مستعد للقتال ، ويفضل الحرب على الخضوع لأى تأثير — أدبى أو غير أدبى — آت من قبل الدول الغربية .

وقد أحيط الشعب الأمريكى علماً بنذر الخطر هذه . فقد ألقى الوزير « هل » خطاباً فى وشنطن فى يوم ٥ مايو سنة ١٩٣٥ ، أنذر فيه بأن روحاً حربية قد أخذت تنمو فى الخارج ، وأنها قد تفضى بسهولة إلى الحرب . وأن « من الخطأ ومن الإجرام أن تظل الدول المتمدنة زمناً طويلا بعد اليوم دون أن تتنبه إلى هذه النزعات الخطرة الموجودة فى الوقت الحاضر » . وبعد ذلك بشهر قال فى خطبة ألقاها فى وليمسبرج بفرجينيا : « إن هنالك أسباباً تبعث على أشد القلق » .

وفى النصف الأول من سنة ١٩٣٥ ذكر مسرسميث فى تقاريره — وقد أصبح وزير أمريكا فى النمسا — أن هتلر مستول على أوكرانيا ولا بد ، وأن من الراجح أن هناك اتفاقاً ، إن لم يكن تحالفاً ، بين ألمانيا واليابان . وقبل أن يلم العالم بخبر هذا التحالف ، كان هل وأصحابه قد حزروا وجوده ، ورسموا خطتهم طبقاً لذلك . وقد حدث مرة فى اجتماع خاص مع مندوبى الصحف أن سأله بعضهم ، هل كان هنالك تفاهم سرى بين ألمانيا وإيطاليا واليابان . فقال هل : « لست أعلم شيئاً على اليقين ، ولكنى كلما جذبت ذنب أحدهم ، عوى صاحباه » .

وبعد أن شبت الحرب فى أوربا ، كرر هل النذير بالخطر الذى يهدد الولايات المتحدة ، ففى أغسطس سنة ١٩٤٠ قال : « ليس على أمتنا خطر أكبر من أن نفرض أن تيار الفتح والغزو لن يبلغ ، بحال من الأحوال ، أى جزء حيوى من شق

العالم الذى نعيش فيه » . وبعد ذلك بثمانية أشهر دعا الشعب الأمريكى أن ينهض بكل قوته « لكى يضطلع بالعبء الضخم فى تزويد الأمة بأكمل عدة تلزمها للدفاع عن نفسها » . أما تحذيره بعد ذلك لرجال وزاراتنا وللسفير البريطانى بأن اليابان « قد تتحرك فجأة ، وبكل ضرب من ضروب المباغتة » ، فهى من المعلومات التى يعرفها جميع الناس .

وقد قال هل حديثاً كلمة يفسر بها قلة اكتراث الشعب الأمريكى لأقواله : « لئن كانت هذه النذر المتتابعة لم تنجح فى التأثير فى طائفة من قومنا ، فإن هذا الإخفاق يرجع إلى أن عدداً كبيراً جداً من شعبنا كان يومئذ مؤمناً أشد الإيمان بأن هذه البلاد لا يتهددها ، ولا يمكن أن يتهددها ، خطر محقق من الحروب الخارجية ، وأن الأمة إذا أرادت أن تظل بعيدة عن الحرب فما عليها إلا أن تظل فى بلادها ، وأن تعنى بخاصة شئونها » .

غير أن وزارة الخارجية بوجه عام كانت مؤمنة بأن الحرب مع المحور آتية لا مفر منها ، وكان الهدف الأول الذى ترمى إليه الوزارة هو اكتساب الوقت ، حتى تتمكن الدولة من أن تتسلح ، وحتى ينتبه الشعب إلى الخطر الداهم . وكانت شحنات البترول والحديد المستعمل التى أرسلت إلى اليابان — وقد كانت موضوع نقد كثير — جزءاً من تلك السياسة . وقد حذرنا سفيرنا جرو بأن رجال الحرب فى اليابان قد هددوا بشن الحرب ، إذا نحن منعنا عنهم تلك الشحن ، وقد صدقت الحوادث قوله .

وقد تعرضت وزارة الخارجية للانتقاد اللاذع جهاراً على سياستها نحو الحكومة الفرنسية فى فيشى بعد انهيار فرنسا . ومع هذا فإن الوقائع تثبت الآن أن تلك السياسة كانت من أعظم الانتصارات ، التى أحرزتها أمريكا فى أثناء هذا النزاع الدولى .

ما حقيقة الموقف يوم سلمت فرنسا ؟ كانت بريطانيا واقفة وحدها تحول بين ألمانيا وبين السيطرة على المحيط الأطلسى والبحر المتوسط . وفى ساعة ذعر خشيت بريطانيا أن يقع الأسطول الفرنسى فى أيدى الألمان ، فبادرت تهاجمه فى وهران ، وبهذا العمل أثارت الكراهية فى نفوس الفرنسيين . فلم يكن بد من أن تأخذ أمريكا على عاتقها منع الأسطول الفرنسى ، والقواعد البحرية والجوية من الوقوع فى قبضة الألمان .

ولم يكن لدى الولايات المتحدة ما تقدمه لفرنسا المهزومة سوى الثقة بما بيننا من روابط الصداقة المتوارثة . فتقرر إرسال

الأميرال ليهى لكى يحرض المرشال هنرى بيتان على الثبات ، واتخاذ موقف حازم أمام مطالبة الألمان بالأسطول الفرنسى والقواعد الإفريقية . ونجح ليهى فى مهمته ، ولو قد أخفق لاستطاع هتلر أن يسيطر على طريق المحيط الأطلسى الجنوبى ، المؤدى إلى شق الكرة الغربى ، ولما كان من المستطاع إنزال الجنود الأمريكيين فى شمال إفريقية فى نوفمبر سنة ١٩٤٢

وفى أثناء هذه المدة الحرجة تعرضت وزارة الخارجية لضغط شديد ، لكى تقطع صلتها بحكومة بيتان ، والجنرال ديجول يطالب بالاعتراف بهيئة فرنسا المحاربة حكومة مؤقتة لفرنسا . ولم يكن فى وسع وزارة الخارجية أن تعترف بحكومتين فرنسيتين فى وقت واحد . والتمس رئيس الوزارة البريطانية ونستن تشرشل من الولايات المتحدة أن تمضى فى سياستها ، ففعلت .

ولقد أشيع عن وزارة الخارجية أنها ، هى وحدها ، التى أبت أن تعترف بنظام ديجول حكومة مؤقتة لفرنسا ، مع أن النص الكامل ، الذى لم ينشر إلى الآن ، للرسالة التى وجهتها الحكومة البريطانية إلى ديجول فى نوفمبر سنة ١٩٤٠ كان كما يأتى :

« إن حكومة صاحب الجلالة مستعدة لأن تعترف بأن اللجنة القومية لفرنسا الحرة تمثل جميع الفرنسيين الأحرار الذين انضموا إلى حركة فرنسا الحرة لتأييد قضية الحلفاء فى حيثما وجدوا ، وأن تتصل باللجنة فى جميع المسائل التى تتطلب التعاون مع حركة فرنسا الحرة ، ومع الأقطار التى انضوت تحت لواء فرنسا الحرة . ولابد لى (المستر إيدن) وأنا أبلغكم هذا أن أذكر أنه يجب أن يكون بيناً لكم أن حكومة صاحب الجلالة لم تتخذ أى وجهة نظر خاصة فى الشئون الدستورية والقانونية المختلفة المتعلقة بهذا الأمر . ومع أن حكومة صاحب الجلالة سعيدة بأن يكون لها ممثلوها لدى الفرنسيين الأحرار ، فإنها لا تستطيع أن يكون لها ممثل دبلوماسى لديكم ، أو أن تقبل ممثلا دبلوماسياً من قبلكم ، لأن هذا معناه الاعتراف بكم دولة ذات سيادة » .

وبرغم هذا الموقف الذى وقفته الحكومة البريطانية ، كان اللوم كله يوجه إلى وزارة الخارجية فى الولايات المتحدة ، بأنها هى العامل الأول فى عجز ديجول عن الحصول على الاعتراف بحكومته .

وحين كان تشرشل فى وشنطن فى شهر مايو من العام الماضى ، بحث موضوع العلاقات الأمريكية البريطانية مع الفرنسيين الأحرار بحثاً شاملا . وبعد عودته إلى لندن وزعت على الصحف مذكرة تشرح موقف

إنجلترا حيال الفرنسيين الأحرار . وجاء في هـذه المذكرة أن ديجول فيما يبدو نزعات دكتاتورية ، وأنه يحاول أن يحدث الشقاق بين بريطانيا وأمريكا ، وأنه حيثما ذهب ترك وراءه روح البغض للإنجليز ، وأنه قد أثار الاضطراب على البريطانيين في سوريا ، أي أنه يسعى لتزكية الوطنية الفرنسية على حساب الحلفاء وسمعتهم . وقـد أوصيت الصحافة البريطانية أن لا تسمح للفرنسيين المحاربين بأن ينقضوا الروابط التي تصـل بريطانيا والولايات المتحـدة ، وكانت نتيجة هـذا الإجراء أن أصبح ديجول بالتـدريج أدنى إلى روح التعاون ، أما اليوم فقـد تحسنت علاقاتنا به تحسناً كبيراً .

وحـكومة وشنطن لا تود التخلص من ديجول ، برغم كل دعاية تذيع خلاف هذا ، فقـد أصبح اسمه في فرنسا رمزاً لمقاومة الألمـان . وإذا أراد الشعب الفرنسي أن يختار ديجول زعيما له بعد الحرب ، فذلك من خاصة شئونه ، ولـكن وزارة الخارجية لا تريد أن ترى الشعب الفرنسي يلقي التبعة على الولايات المتحدة ، لأنهـا فرضت عليه ديجول أو أي شخص آخر ، بل تريد أن يكون الشعب الفرنسي حراً يختار من يشاء .

وتعرضت وزارة الخارجية إلى نقد عنيف كل العنف ، من أجل السياسة التي اتبعتها مع إسبانيا التي يتزعمها فرانكو ، حتى ذهب بعض النقاد إلى أن في وزارة الخارجية عصبةً من الرجعيين الذين يميلون إلى الفاشية ، وقد اجتهـدوا في تدعيم حكومة فرانكو المتداعية ، باتباع سياسة الملاينة والمصانعة .

نعم إن وزارة الخارجية لم تحاول إكراه إسـبانيا على دخول الحرب مع الحلفاء ، وصحيح أيضاً أننا بذلنا المساعدة المادية لتلك الدولة . ولـكن لماذا ؟ . . لقد كانت سياسة وزارة الخارجية مبنية على إرشادات حربية صادرة من هيئة أركان الحرب ، وهي تمثل السياسة الحربية المشتركة لـكل من بريطانيا وأمريكا كما قررها رؤساء القيادة العسكرية المتحدة ، وأقرها كل من الرئيس روزفلت ومسـتر ونستن تشرشل . فالقيادة العليـا أرادت أن تظل إسبانيا بعيدة عن الحرب ، وأن لا تنضم إلى أحد المعسكرين .

فكان على وزارة الخارجية واجب مزدوج وهو أن تبقى إسبانيـا بعيدة عن الحرب ، وأن تمنعها من مساعدة ألمـانيا النازية . وقد اسـتطاعت حتى اليوم أن تبلغ غرضها الأول ، كما قطعت مرحلة كـبيرة في سبيل تحقيق الهدف الثاني .

ولو قد حاولت الولايات المتحدة إسقاط حكومة فرانكو ، وإقامة حكومة جمهورية تميل إلى الحلفاء ، لدخلها الألمـان غازين ،

والقيادة العليا الأمريكية والبريطانية ليست راغبة فى إقحام شبه جزيرة إيبريا فى دائرة الأعمال الحربية .

أما الغرض الذى ننشده من المتاجرة مع إسبانيا ، فهو أن نستبقى فى تلك الدولة روح الاعتماد على الولايات المتحدة وبريطانيا . واليوم أصبح معظم تجارة إسبانيا مع أمريكا وإنجلترا ، بعد أن كان مع ألمانيا وغيرها من دول أوربا . ولو قد منع الإسبان من المتاجرة معنا ومع البريطانيين لانصرفوا عنا إلى الألمان . ومع هذا فإننا لم نعط إسبانيا شيئاً من غير مقابل ؛ وقد استطعنا بإقدامنا على الشراء ، أن نمنع ألمانيا من إحراز موادحربية ضرورية لها من إسبانيا .

وبعد ، فلنلق نظرة على بعض النتائج الملموسة المترتبة على سياسة المصانعة المزعومة التى اتبعتها وزارة الخارجية مع إسبانيا . ومع أن بعض الامتيازات العظيمة الخطر التى أمكن الحصول عليها من فرانكو لا يمكن إفشاء خبرها الآن لأسباب تتصل بالأمن ، فإن من الممكن الآن أن نذكر للمرة الأولى مثالا ينطوى على مساعدة حربية قيمة . فحين كانت معركة تونس تدور رحاها ، عاونت حكومة إسبانيا الولايات المتحدة بأن سمحت أن ينقل إلى شمال إفريقية ٢٠٫٠٠٠ فرنسى فى سن الجندية ، هربوا من فرنسا لاجئين إلى إسبانيا ، والقانون الإسبانى يعد دخول هؤلاء الفرنسيين مخالفا لأحكامه ، ويقضى باعتقالهم ، ولكن إسبانيا بادرت بتسليمهم إلى السلطات الأمريكية فانضم أكثرهم إلى صفوف الفرنسيين المحاربين .

وبتأثير الإنجليز والأمريكيين ، عزل فرانكو عن وزارة الخارجية صهره سرانو سونير ، زعيم الحزب الإسبانى الذى يميل إلى المحور . واستطاعت أمريكا — بمنع شحن البترول عن إسبانيا — أن تضطر فرانكو إلى أن يخفض ما كان يصدره إلى ألمانيا من معدن الولفرام ، وهو عنصر مهم فى صناعة الأصناف الجيدة من الفولاذ . كذلك سلم فرانكو إلى الحلفاء ست سفن إيطالية كانت محجوزة فى المياه الإسبانية ، وأمر بإقصاء رجال التمثيل السياسى فى طنجه فى مراكش الإسبانية ، وكانت من قبل مركزاً لنشاط التجسس النازى . ولم يعمل فرانكو هذه الأشياء كلها لأنه يعطف على الولايات المتحدة وبريطانيا ، بل عملها تحت ضغط السياسة الأمريكية البريطانية . وهى نتيجة مدهشة تأتى من قبل رجال المصانعة المزعومة فى وزارة الخارجية .

ولننظر الآن فى سياسة وزارة الدولة فى أمريكا اللاتينية : قبل نشوب هذه الحرب

كانت الخطوط الجوية التى يسيطر عليها الألمان والطليان تغطى قارة أمريكا الجنوبيــة ، وكان أكثر جيوشها قد دربه ضباط ألمان ، وفى كل من الأرجنتين والبرازيل وشـيلى جاليات كبيرة العدد من الألمان والطليان . فكانت أمريكا الجنوبيـة أرضاً طيبة لإنشاء « جبهة ثانية » ضد الولايات المتحدة .

وكان من الضرورى استمالة جمهوريات أمريكا اللاتينية ، وتطهير القارة الجنوبيـة من وكلاء المحـور . وقد تكلم عضو مجلس الشيوخ الأمريكى كنث ماك كار حديثـاً ، مستشهداً بالمعلومات التى استقاها من وزارة الخارجية، فقال لزملائه أعضاء مجلس الشيوخ فى الولايات المتحـدة : « إن اليابان كانت تتوقع أن تنزل جيوشها على السواحل الغربية على حين ينزل الألمان والطليان على السواحل الشرقيــة فى أمريكا الجنوبية » . ثم قال : « إنهم لم يفعلوا ، ولن يفعلوا » ولكن لماذا ؟ لأن الحكومة الأمريكية استطاعت أن تحصل على مؤازرة أمريكا اللاتينية كلها ضد العدو ، وأن تحصل على قواعد حربية عظيمة الخطر فى معظم أقطار أمريكا اللاتينية .

نعم ، قد وقعت أخطاء ، وكان إسراف وتبذير ، ولكن النتائج السياسية تبعث على الرضى التام .

أما الخطط التى رسمتهـا وزارة الخارجية لإنشاء نظام عالمى جديد بعد هذه الحرب ، فقــد قيل إن الوزارة أخفقت فى الحصول على ما ينبغى من الاحترام للحريات الأربع . ولكن يجب أن نذكر بأن ليس الهــدف الأول الذى يرمى إليه هل بعـد الحرب هو الكمال العاجل فى الشئون العالمية ، بل السلم الدائم المبنى على التعاون الدولى .

وقـد أدرك هـل أن اتحاد السوفيات من أعظم دول العالم اليوم ، وأن معاونتــه ضرورية للمحافظة على السلام . ولقد كانت المسألة ذات الخطر الأكبر قبل مؤتمر موسكو هى : هل تقبل روسـيا على التعاون ؟ أو ترى ستالين سيمضى فى طريقه ، متبعاً سياسة الثورة العالمية ضد الرأسمالية ؟ وفى موسكو نجح هل فى حمل ستالين على أن يعد بالتعاون وأمكنه أن يحمل بريطانيا وروسيا والصين على قبول تلك المبادىء الأمريكية التى تصلح — إذا طبقت بأمانة — أن تكون أساساً لنظام عالمى أجمل وأحسن .

إن العُقاب الأمريكى الحازم الهرم ، الذى يشرف على سير الأمور فى وزارة الخارجية ، قد لا يمتــد به العمر حتى يرى مبادئه كلها تطبق بكل أمانة فى هذا العالم ، ولكنه قد أدار دفة السياسة الخارجيــة الأمريكية ، ووجهها نحــو طريق سـيذكره الخلف بالحمد والثناء .

خطر لمهندس بريطانى يوماً ما خاطر . . . فإذا —

الهواء جدار يصد البحر

كانت ناقلة الزيت الغبراء التى تمخر البحر هدفاً ميسوراً ، فلم تنقض ثوان معدودات حتى شقت ثلاثة طرابيد جنبها المصنوع من الصلب .

وعلى مسافة أقل من مئة ذراع طفت غواصة ، فراقب قائدها السفينة المصابة ، وقد بدأت تفقد استواءها ، فجميع هذه الناقلات سواء ، يقضى عليها طربيد واحد ، وهذه قد أصابتها ثلاثة . وسمع ربان الناقلة قائد الغواصة الألمانية يأمر رجاله بالغوص .

على أن هذه الناقلة لم يقض عليها . ففى هيكلها ثلاث فجوات فاغرة ، تتسع لمرور سيارة نقل ، ولكنها تمكنت بقوة محركاتها من أن تعبر المحيط الأطلسى مجتازة ١١٠٠ ميل إلى ثغر أمريكى .

ومن سخرية الأقدار ، أن القوة التى أنقذت الناقلة هذا الإنقاذ العجيب ، كانت هى نفس القوة التى دفعت الطرابيد إليها . فالهواء المضغوط فى جهاز يدعى « جهاز نلسن » ، يتيح لناقلات الزيت المكشوفة للخطر ، وسيلة تدفع بها عن نفسها هجوم الغواصات ، بعد أن كانت أهدافاً ميسرة لها

وهذا الجهاز ، الذى يستعمل اليوم فى الناقلات البريطانية والأمريكية ، وليد فكر مهندس بريطانى ، فى الثالثة والخمسين يدعى وليم لن نلسن ، قضى عشرين سنة فى غرف المحركات فى ناقلات الزيت . وقد لقيتُ نلسن ، منذ عهد قريب فى لندن ، فإذا هو رجل ربعة أحمر الوجه ، عيناه براقتان كعينى طائر ، يروعك منه نشاط لا يفتر . قال : « أول ما يهمنى أن تدركه أن هذا الجهاز ليس اختراعاً ، بل هو تطبيق ، وما أنا إلا مهندس » .

فلما تمّ ذلك ، وضع نموذجاً لناقلة زيت على مائدة بينى وبينه ، وما الناقلة إلا بضع صفائح ، لحمت إحداها بالأخرى من أطرافها ، فحين يملأ الزيت حجر الناقلة المحكمة الإقفال ، يغوص هيكلها فى الماء ، ولكنها تظل طافية ، لأن فى الحجرات ، كما فى سائر السفينة ، مقداراً من الهواء والزيت . فإذا أصابها طربيد ، اندفع الماء من الفجوة ، فيحل محل الهواء ، فيختل توازنها وتنقلب . وكذلك غرقت معظم ناقلات الزيت

وقد بدأ نلسن يصارع المشكلة منذ بدأت الغواصات الألمانية هجومها الشرس على الناقلات ، ثم دعى فى أحد الأيام للمشورة فى إنقاذ سفينة ، وكانت ناقلة قد صدمت لغما مغنطيسيا ، فغاصت إلى نصفها واستقرت على سيف البحر . وكان يحاذيها زورقان يشدّانها ، يتصاعد من دفتيهما نفث متقطع تخرجه محركاتها التى تضغط الهواء .

فما كاد نلسن يسمع هذا النفث الذى تحدثه ضاغطات الهواء ، حتى أدرك حل المشكلة . فلو كان ثمة وسيلة لدفع الهواء فى الحجرة المثقوبة من ناقلة أصابها طربيد ، والاحتفاظ بقدر واف من قوة ضغطه ، لصار فى الوسع أن يدفع الماء عن الحجرة ، ويصير الهواء المضغوط جداراً واقياً يصدّ البحر عنها .

واستقل نلسن أول قطار إلى لندن ، وأكبّ على أوراقه ، فرسم فى حجرة المحرك ، فى الناقلة المرسومة على ورقه الأزرق ، ضاغطاً للهواء ، يشبه كل الشبه الجهاز الذى يستعمله بناة الطرق لتحريك المثقب الهوائى . ويستمد جهاز الناقلة قوته مما فيها من محركات ديزل . ولما كانت إصابة محركات الناقلة بما يشلها أمراً محتملا ، أقام على دكة السفينة فى مقدمها ضاغطاً آخر للهواء يحركه محرك صغير ذو أربع أسطوانات ، ومدّ أنبوباً من المعدن يدفع فيه الهواء من أى الضاغطين شاء . وعلى مسافات مختلفة من هذا الأنبوب ، أنشأ فتحات يسهل وصلها بأنابيب من المطاط ، ووصل هذا الأنبوب ، بكل حجرة من حجرات الزيت فى الناقلة . فإذا أصاب الناقلة طربيد ، تيسر للبحارة أن يبادروا فيصلوا بأنابيب المطاط بين الأنبوب المعدنى وحجرة الزيت المصابة ، وكذلك يقيم ضاغط الهواء جداراً يصدّ البحر عن جوفها .

وكذلك صار لناقلة نلسن المرسومة على الورق ، أمل فى مقاومة فعل الطربيد — ولكن كيف تواجه الأخطار الأخرى ، كخطر النار مثلا ؟ فالسفينة التى يصيبها طربيد ، كثيراً ما تتعطل خراطيمها التى تمتص الماء لاستخدامه فى مكافحة النار . وإذن فلماذا لا تستعمل أجهزة ضغط الهواء لتحريك مضخات هوائية متنقلة ؟ وعلى ذلك رسم نلسن ، تفاصيل تصميم لمضخات خفيفة تتحرك بالهواء المضغوط ، يطيق الرجل أن يحملها على كتفه ، فإذا قذف خرطوم المضخة إلى البحر ، امتصت الماء ، وصبته على النار بمعدل نصف طن فى الدقيقة .

على أن كفاح نار الزيت يحتاج غالباً إلى مواد كيميائية ، فصنع لمضخاته فتحات أخرى ترش منها رغوة « البيرين » على النار .

وقد استغرق إنجاز جهاز نلسن سبعة

أشهر من التصميم المحكم، وتم أخيراً صنعه.

وفي أغسطس ١٩٤٢ نشرت الصحف قصة الناقلة أوهايو، التي استطاعت، بعد أن قذفت بالطربيد، وقنابل الطائرات المنقضة، أن تصل إلى مالطة بحمل من الوقود كانت مالطة في أشد الحاجة إليه. وجاءت تقارير أخرى عن حوادث لا تكاد تصدق، فقد أصيبت ناقلة بالطربيد في مقدمها، فاندفق البنزين غزيراً من مستودعاتها، حتى إن الغواصة حين طفت دانية منها لم تجرؤ على قذفها بالقنابل خشية التهاب البنزين. فلما دفع الهواء المضغوط في المستودعات، ظلت السفينة طافية، وظلعت إلى المرفأ.

وقد استعمل ربابين السفن جهاز نلسن لأغراض كثيرة أخرى لم تخطر ببال نلسن. فقد حدث مرة أن تعطلت عجلة تسيير السفينة لانقطاع القوة المحركة، فعمد رئيس المهندسين إلى وصل أنابيب البخار بجهاز نلسن فحلت المشكلة، وتمكن بحارة الناقلة نفسها من الظفر بطعام ساخن حين استعملوا الهواء المضغوط لدفع زيت الوقود في الفرن.

ولا يستغرق تركيب جهاز نلسن في معظم الناقلات أكثر من ٤٨ ساعة، ولا يقتضي إلا نفقة يسيرة. وقد حسب خبراء الملاحة، أن إنقاذ ناقلة واحدة، عوّض نفقة تركيب أجهزة نلسن هذه في جميع الناقلات البريطانية علاوةً على إنقاذ الأرواح.

ولم يسجل نلسن جهازه هذا بل أباحه للأمم المتحدة، ولم ينل من الجزاء إلا خمسين جنيهاً منحته إياها جمعية الفنون الملكية، فوهبها لهيئة إعانة بحارة الأسطول التجاري.

قال نلسن: « لست رجلا تقوده عاطفته. ولكنني قضيت عشرين سنة في البحر مع رجال الناقلات، وإنني لمعجب بهم إعجاباً لا يحدّ، فإذا ما أنقذت حياة رجل واحد منهم، رأيتني قد جوزيت الجزاء الأوفى ».

وحين نزلت من مكتبه، تذكرت أن الشهور التي أكب خلالها على تصميم جهازه، كانت شهور الفترة التي بلغت فيها الحرب الجوية الخاطفة على لندن ذروتها، فسألت عامل المصعد عن هذا فقال: « لقد ظل مقيما في هذه البناية ليل نهار، ينام على سرير صغير، ولا يؤوب إلى بيته إلا في نهاية كل أسبوع، ويومئذ يتأبط رسومه الثمينة ويأخذها معه. وقد ظل مكبا على عمله أثناء الحرب الجوية الخاطفة، والمباني تنهار من حولنا، والألمان يلقون قنابلهم أمام عتبة بابنا. إنه لرجل ممتاز في قدرته على حصر فكره — هذا هو مستر نلسن ياسيدي ».

وقد علمت بعد ذلك أمراً آخر، فقد كان لنلسن ولد في ناقلة، أغرقها طربيد في رحلتها الأولى.

هناك شيء ما يبعث على الاطمئنان فى أفق العالم بعد الحرب

ماذا يرى رجال العمل فى المستقبل

و . م . كبلنجر . . . ملخصة عن مجلة « كوزموبليتان »

كيف تكون الحياة بعد الحرب ؟ قد تقول ، إن استشفاف المستقبل ، والتفكير فيه ، والتدبير له ، عبث ، ولكن فريقاً كبيراً من الرجال العمليين ، يعنون الآن بوضع خطط عملية للمستقبل . وأنا أعرف هؤلاء الرجال ، فهم رجال أعمال ، وموظفو حكومة ، وزعماء عمال ، ومفكرون شأنهم التفكير والبحث ، وليسوا من أصحاب الرؤى والأحلام ، بل هم من أهل هذه الدنيا ، ويرون أن إعداد الخطط للمستقبل أمر عملي .

إن عملي يقتضيني أن أعرف ما يفكر فيه هؤلاء الرجال ، وأن أتبين القوى المعقدة ، وأقرر الاتجاهات العامة ، لإرشاد العمليين من الناس . وإنني لأتبين تبيناً واضحاً ما يبعث على الأمل والثقة فى صورة الحياة بعد الحرب .

فالاتجاه منصرف إلى الأخذ بالأساليب المحافظة فى التفكير والعمل ، أى إلى إقدام الفرد ، والعمل المستقل ، والاحتفاظ بما نسميه الرأسمالية . وهذا يعنى أن الاتجاه فى الولايات المتحدة ، منصرف عن تعزيز السيطرة الحكومية ، وعن إدارة الاقتصاد القومي إدارة سياسية من مكتب مركزى . كان الاتجاه خلال السنوات العشر الأخيرة ، إلى اليسار ، ولكننا نشارف الآن نهايته .

والرأى العام يجرى فى أساليب ، وهو فى أسلوبه الجديد يقيم وزناً كبيراً للباعث الخاص على العمل ، فقد عاد الناس فكشفوا أن الكسب الخاص ليس خيراً فى ذاته وحسب ، بل هو خير كذلك لأنه يغرى الناس ببذل الجهد وبالافتنان والبراعة ، فيزداد إنتاجهم ، وذلك خير لهم وللآخرين .

وفى وسعك أن تتبين فى الانتخابات هذا التحول فى التفكير ، فتسمع « الأحرار » يبحثون فائدة تشجيع « الأعمال الخاصة » ، ويتذاكرون العبرة المستفادة من الإنتاج الحربي ، ومؤداها أنك إذا شئت أن تنجز أعمالا فى سرعة وعلى نطاق واسع ، فاعهد بها إلى المنشآت الخاصة . وهم يشيرون فى حديثهم إلى انهيار السيطرة الحكومية العالية على الاقتصاد ، ويعترفون بأنه ليس فى وسع جماعة من كبار الموظفين ، أن تعنى بتفصيلات

أعمال تمتد إلى أساس الاقتصاد القومى ، وتشمل جميع أرجاء البلاد . وعامة الناس أنفسهم يتحدثون بمثل هذا ، فثمة ظاهرة متأصلة ، ولا بد أن تؤثر فى خطط كل حكومة تقوم بعد الحرب مهما يكن لونها الحزبى .

على أن هذا الاتجاه لن يفضى إلى رجعية متطرفة ، فطائفة كبيرة من إصلاحات « التوزيع الجديد » ، ستبقى ويدخلها التحسين . والروح التى تسود الفترة التى تعقب الحرب ، لن تميل إلى النكوص بل إلى التريث ، وستمهد لإصلاحات أخرى تحقق بسرعة معتدلة ، بدلا من الاندفاع المضطرب فى العهد الماضى .

وستمضى الحكومة فى تنظيم الأعمال الخاصة ، ولا ريب فى أنها ستمولها تمويلا واسع النطاق فى المراحل الأولى من الانتقال إلى السلام . على أن روح الحكومة فى التنظيم والتمويل ستختلف ، وسيكون نهجها وسطاً يعزز من شأن الجهد الخاص والنشاط المحلى .

من المحتمل أن تنتهى الحرب سنة ١٩٤٥ . فهزيمة ألمانيا منتظرة فى سنة ١٩٤٤ ، ويعقبها قهر اليابان فى سنة ١٩٤٥ ، ولكن التحول ، فى الاقتصاد وعادات العيش والعمل ، من شدائد الحرب إلى مطالب السلام المألوفة سيتم رويداً رويداً ، على خلاف ما حدث سنة ١٩١٨ . فالفجر سيسفر وئيداً ولن ينبلج فجأة .

وتسريح الجنود من القوات المسلحة ، بالتدريج ، سيستغرق سنة على الأقل ، بل أكثر من سنة . فالرجال الذين لهم أعمال تنتظر عودتهم هم أول من يسرح ، على أن الجيش والأسطول ، وقد أصبحا أكبر كثيراً مما كانا قبل الحرب ، سيحتفظان بالذين ليس لهم ما يدفعهم إلى ترك الخدمة . وسيعود كثيرون إلى أعمالهم القديمة ، على حين يكون آخرون قد انبعثت فيهم مطامع جديدة وأحلام جديدة ، أو كسبوا ألواناً جديدة من القدرة والبراعة . ولا ينتظر أن يتوفر العمل لكل فرد ، ولكن من المحتمل أن يكون معدل العمل عالياً .

ومن المتوقع حدوث هبوط عابر فى الأعمال ، ربما دام ستة أشهر بعد نهاية الحرب ، ويرجع ذلك إلى ما يقتضيه التحول من الحرب إلى السلم ، من ضرورات ملاءمة الحال الجديدة ، ولكنه لن يكون أصيلا ولا خطيراً . وسيتعطل خلق كثير عن العمل فترة ما ، ولكنهم سيمنحون تعويضاً عن تعطلهم ، وستتفق الحكومة مع أصحاب الأعمال على المضى فى صرف المرتبات لعدد من الناس ، حتى يتم التحول . وستكون المنشآت الخاصة ، متأهبة للانتقال ، متى

عولجت ضرورات التحول من إنتاج الحرب إلى إنتاج السلام ، وهذا كفيل بعلاج الضائقة خلال السنة الأولى من السلام .

ثم تجتاز الولايات المتحدة ما بين خمس سنوات إلى عشر ، فترة تتسم بنشاط عظيم ، فيكثر طلب الأشياء التى حرمها الناس أثناء الحرب .

فقد يبلغ طلب المنازل الجديدة مبلغ مليون منزل كل سنة سنين كثيرة ، وكذلك السيارات ، والثلاجات ، والأدوات الكهربائية ، وأثاث المنازل ، وأحدث ما يصنع من معدات السكك الحديد ، والسلع المستهلكة من كل نوع .

وستنشط حركة البناء ، فيمتد العمران إلى المناطق المجاورة للمدن ، وتشق طرق جديدة ، وتتسع صناعة توليد الكهربائية لازدياد الحاجة إلى طاقتها المحركة .

وستسفر التطورات العلمية التى بعثتها الحرب عن معجزات تأتى تدريجاً لا دفعة واحدة ، كالعجائن الكيميائية ، واستعمال الزجاج فى وجوه جديدة ، والمطاط الصناعى وأجهزة الراديو المتقنة ، والتحكم فى ذبذباتها ، والبنزين الفائق القوة لتحريك محركات أصغر وأقوى من محركات اليوم ، وفلزات خفيفة تصنع منها سيارات وأدوات شتى أخرى أخف مما يماثلها اليوم ، ومنازل مجهزة للبناء . وسيخلق تجميد الطعام صناعة جديدة يمتد رواقها ، وتغدو الأطعمة المجففة تنافس الأطعمة المحفوظة ، والحرير الصناعى يبارى الحرير الطبيعى ، ويتسع نطاق النقل الجوى ، ويملك كثيرون طائراتهم الخاصة ، وستظل السيارات خلال سنتين أو ثلاث على ما هى عليه الآن ، ثم تدخل عليها وجوه من الإتقان العظيم . وستحسن حال الفلاحين لأنه يتعين على الولايات المتحدة أن تنهض بعبء إطعام العالم خلال سنتين بعد نهاية الحرب ، وسيزداد ما يستعمل من محصولات الحقول فى الصناعة . ولا ريب فى حدوث حركة تتجه بالناس إلى العودة إلى الزراعة .

وسيسفر الاتجاه العالمى فى نظام النقد عن ارتفاع جميع الأسعار ٤٠ أو ٥٠ فى المئة عن مستواها السابق لنشوب الحرب ، ولكن من المحتمل أن يضبط عنان التضخم فى أمريكا ، فلا يترك حبله على الغارب .

وستكون أجور العمال أعلى مما كانت ، ويكثر المنضمون إلى نقاباتهم . وستظل هذه النقابات عظيمة السطوة فى المسائل السياسية ، ولكن الإصلاح سيتناول كثيراً من أساليبها ، وسيكون بعض هذا الإصلاح اختيارياً وبعضه وفقاً لقواعد تضعها الحكومة ، وسيعظم شأن المساومة المشتركة ، وتطبقها صناعات كاملة .

وسوف يتسع نطاق الخدمات الصحية العامة، وتتوافر وسائل العلاج فى المستشفيات، ويزداد عدد الناس الذين يقفون أنفسهم على الخدمة الاجتماعية .

ولا بد أن تبقى الضرائب عالية سنين كثيرة ، بصرف النظر عن الحزب الذى يلى الحكم، لكى تحتمل الحكومة ديناً أهليا يزيد على ٢٥٠ ألف مليون من الدولارات، ولكن لا تكاد الحرب تنتهى حتى تخفض بعض الضرائب على الأعمال التجارية ، لتشجيع الانتعاش فى الأعمال الخاصة ، ولتهيئة أعمال للملايين من الناس ، وستخفض ضرائب الاستهلاك لتعزيز الأسواق الكبيرة المحلية .

وستقبض الحكومات على مقاليد جانب كبير من التجارة العالمية وتوجهها وتمولها ، زمناً طويلا بعد الحرب . وما حبس من أكداس المواد الخام فى بلاد شتى بتأثير الحرب، سيتسرب رويداً رويداً إلى الأسواق لتظل بمنجاة من أن يدب إليها التراخى . وسيزداد الطلب على الملاحة فى بحار الأرض .

وسيشعر الناس بحافز قوى إلى الإقدام على العمل قصد الإثراء ، والحافز إلى الإثراء يحفز بألف طريقة إلى صنع أشياء كثيرة تفيد الناس . فرجال الأعمال يوجهون أفكارهم منذ الآن إلى الإنتاج الوافر والربح اليسير على الوحدة الواحدة من منتجاتهم ، ونياتهم معقودة على أن يجنوا كسباً كبيراً عن طريق توسيع نطاق الإنتاج ، وإحكام التوزيع ، وتوفير المال فى أيدى الشعب ، وزيادة قدرته على الشراء ، ورفع مستوى معيشته .

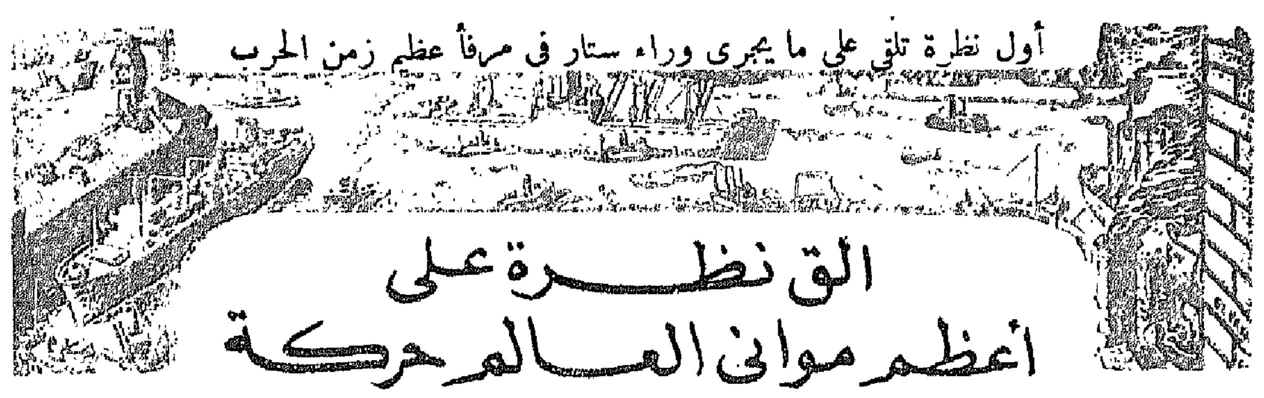
وليس ثمة ريب فى أن العالم بعد الحرب سيكون ، من الناحية المادية ، أصلح للحياة منه قبلها ، وفى الوسع أن يكون أصلح كذلك ، من الناحية الروحية . . . إن حصرنا الفكر ووجهنا العمل ، ورسمنا الخطط لذلك .

إيجاز

فى مساء يوم صدر فى صباحه كتاب جديد لفكتور هوجو ، لم يسع المؤلف الشهير أن يتغلب على رغبته الشديدة فى السؤال عن سير البيع ، فرسم على بطاقة : « ؟ » وأرسلها إلى ناشر مؤلفاته .

فجاءه رد الناشر : « ! »

[و . أورتون توسان]



دون هوارتون . . . ملخصة عن صحيفة « وشنطن بوست »

قليل من الناس من يعلم شيئاً عن العمل الحربى الكبير الذى يتم فى ميناء نيويورك فى سكينة ، فإن نصيبها من السفن أعظم من نصيب أى ميناء آخر فى تاريخ العالم . ومن أحواض نيويورك يشحن أكبر مقدار من المواد التى تغادر أمريكا لمحاربة ألمانيا ، ومنها يخرج نحو ستين فى المئة من مجموع ما تنقله البواخر الأمريكية فى محيطات الأرض .

ومدير ميناء نيويورك هو الكومودور فريدريك رينيكه ، وهو مديد القامة طوله ست أقدام وثلاث بوصات . وقد كان قبل من أبطال الأكاديمية البحرية الأمريكية فى كرة القدم والملاكمة ، وكان فى الحرب الماضية قائد مدمرة . ولما قدم مدينة نيويورك فى سنة ١٩٣٩ كان مكتب مدير الميناء غرفة واحدة ، فكان هو الذى أنشأ هيئة قوامها ١١٠٠ رجل ، تدير أكبر أعمال النقل البحرى فى العالم .

وهذه « الهيئة » تفتش كل سفينة تدخل الميناء ، وتستنطق ربّان كل مركب لجمع الحقائق عن مركبه ، وتقرر أية السفن يجب أن تنتظم فى قافلة ، وأية السفن تستطيع أن تمخر البحر منفردة ، وتوجه القوافل البحرية كما توجه قطرات السكك الحديدية ، فتعين عدد ما يتجه منها إلى إنجلترا أو شمال إفريقية أو غيرها . ولم يقع انفجار ما فى ميناء نيويورك حتى الآن ، ولا وقع فيه تصادم خطير بين السفن . وفى خلال مدة تزيد على سنتين لم تتأخر عن ميعاد سفرها أكثر من ٢٤ ساعة ، سوى خمس قوافل .

وفى « قسم الحركة » فى مكتب مدير الميناء ، بيان مفصل عن كل سفينة وعن مكانها ومرساها ، ويعتمد فى ذلك على خريطة كبيرة منشورة على جدار ، ولو رسمت إحدى خرائط المحيط الهادىء بمقياسها لكان عرضها ميلين تقريباً .

وعلى جدران مكتب المدير أيضاً خرائط فيها رموز تدل على مركز كل قافلة فى المحيط الأطلسى ، وأخرى تدل على مواقع الغواصات

الألمانية ، فتبين مواقعها اليوم وأمس وأول من أمس ، بألوان مختلفة . وكثيراً ما يجب تحويل القوافل لا للنجاة من الغواصات وحسب ، بل لتجنيب سفن القوافل صدم غيرها من السفن كذلك . ولم تغرق غواصات الأعداء سوى تسع وخمسين سفينة فقط من مائة ألف سفينة خرجت من ميناء نيويورك فى السنة الماضية ، أما ناقلات الجنود فلم تغرق ولم تعطب منها سفينة واحدة قبل وصولها إلى مقصدها . وفيما بين أول يوليه وآخر نوفمبر من السنة الماضية ، لم تغرق الغواصات سفينة واحدة من جميع سفن القوافل التى برحت ميناء نيويورك .

كانت أكبر قافلة خرجت من نيويورك هى القافلة التى توجهت إلى شمال إفريقية ، وكانت مؤلفة من ثمانين سفينة وصلت جميعها سالمة إلى الموانئ التى تقصدها . وكانت أكبر قافلة توجهت إلى إنجلترا تشمل مثل هذا العدد من السفن تقريباً ، فوصلت جميعها سالمة ما عدا واحدة . وأكبر خسارة نكبت بها القوافل كانت اثنتى عشرة سفينة من ستين سفينة ، وذلك فى الربيع الماضى .

وتنظيم القافلة على الوجه الصحيح يقلل فرص مهاجمتها أو إنزال الخسارة بها . وفى إحدى غرف مكتب مدير الميناء مائدة من السنديان قد رسم عليها خط سير ألف قافلة تقريباً ، فهنا تحول السفن وحدات تتحرك جماعات جماعات وتشق عباب أشد البحار خطراً من غوائل الغواصات ، وأفتكها ضباباً وعواصف . وحول المائدة ثلاثة من ضباط البحرية يغيّرون ويبدلون مواقع بطاقات صغيرة تمثل كل منها سفينة من سفن قافلة كبيرة تنظم لتسييرها إلى إنجلترا . وساعة التنظيم ساعة خطيرة يرتبط بها مصير ألوف من الناس ، ومقادير كبيرة من العتاد الحربى . على أن علامات القلق لا تبدو على وجوه أولئك الضباط ، وهم ينقلون البطاقات التى ترمز إلى السفن من مكان إلى مكان — هذه سفينة يعيّن لها مكان أبعد عن الخطر ، وتلك تحتل مكاناً على الجناح المكشوف .

وتختلف سرعة السفن من عشر عقد فى الساعة إلى سبع عشرة عقدة ، وحمولتها من ١٥٠٠ طن إلى ١٦٠٠٠ طن ، ويحمل بعضها طائرات ، وبعضها يحمل سلعاً مشحونة ، وأخرى بنزين الأوكتين أو المفرقعات . ومن الربابين من عبر البحار بسفينته ثلاثين مرة أو أربعين ، فيغلب أن توضع سفينته فى مقدمة صفوف القافلة ، ويجعل غيرها على الجناحين . ولما كانت السفن لا تتجه جميعها إلى ميناء واحد كان لابد من تعيين موضع كل منها حتى تستطيع الانفصال عن القافلة دون أن تبطئ فى سيرها . أما ناقلات

الزيت فيكون موضعها بحيث تستطيع السفن التى تحرس القافلة أن تأخذ منها حاجتها من الوقود . وينبغى أن يتم تنظيم سفن القافلة على وجه يجعلها أقل ماتكون تعرضاً لخطر العدو .

وهنالك غرفة أخرى أخذت تمتلىء بربابين السفن ، نصفهم يرتدى الملابس المدنية والنصف الآخر يرتدى بزة السفن التجارية الإنجليزية أو الأمريكية ، وعلى وجوههم جميعاً سيماء رجال البحر ، فيعطى كل منهم عند الباب غلافاً برتقالى اللون فيجلس مواجهاً لوحاً قد رسمت عليه مواقع سفن القافلة . ثم يخرج من الغلاف بطاقة تبين له موقع سفينته فى القافلة ، فيقابل البطاقة على الرسم الذى على اللوح ، ثم يراجع جدول المواعيد ليعلم على وجه التحقيق الميعاد الذى يجب أن ترفع فيه سفينته المرساة ، وتجتاز مدخل الميناء إلى الممر الذى كسحت منه الألغام .

وإذ ذاك ينهض الكوماندر كلارك — ضابط حركة القوافل التابع لإدارة الميناء — ويقول فى إيجاز : « أسعد الله مساءكم أيها السادة . هذا اجتماع خاص بسير القوافل التى سرعتها عشر عقد فى الساعة . هل يستطيع كل منكم أن يجعل معدل سرعته عشر عقد ؟ وهل منكم من لم تسافر سفينته فى قافلة من قبل ؟ ومن منكم من لم يقلع قط من ميناء نيويورك ؟ » ثم يشرع بعد ذلك فى رسم خروج السفن من الميناء خطوة خطوة ، مبيناً أشكال الرايات التى يجب أن ترفعها السفينة ، وأين تنفصل عن الدليل ، وكيف تغير مواقعها فيما بعد حتى تنتظم قافلة.

ثم يحدثهم عن الغلاف الذى قد أعطى لكل منهم ، وفيه الإرشادات الخاصة بخط سيره ، وهى معلومات سرية لا يجوز له أن يطلع عليها إلا بعد أن تنفصل سفينته عن دليل الميناء . وهذه الإرشادات تفصل كل موقف يحتمل أن يطرأ عليهم فى البحر ، فتبين مواقع القافلة فى اليومين الأولين بعد مغادرة نيويورك ، وما تفعل إذا تأخرت عن سائر القافلة ، وفى أى خط تسير حتى تعود فتنضم إليها ، ومتى تخرج عن الصمت فتخاطب غيرها بالراديو ، وكيف تقدم تقاريرها بالراديو

ثم ينهض قائد القافلة ، وهو بريطانى أحمر الوجه ، على عينيه نظارة سوداء الإطار ، ذو شارب أبيض صغير ، فيخاطبهم بكل إيجاز ، ويذكرهم بأن سبق القافلة مضر كالتأخر عنها ، ويحدثهم عما يجب عمله عند الطوارىء ، وعن استعمال نفير الضباب ، وعن الإرشادات الخاصة بالغواصات ، وموضوعات أخرى كثيرة .

ويليه قائد السفن الحربيـة التى تتولى حراسـة القافلة فيقول بلهجة تشف عن الحزم : « يجب أن تظـلوا متقاربين إذ لا نستطيع حراسة السفن التى تتأخر عن القافلة ، ولتكن أنواركم مطفأة . وسأنذركم مرة واحـدة بوجوب إطفائهـا ، فإذا لم تطفئوها أطفأتها بإطلاق النار عليها » .

أما القافلة فعليها أن تخرج فى الساعة السابعة والدقيقة العاشرة من صباح اليوم التالى . ففى الساعة الثالثة والنصف صباحاً يشرع أحد الضباط فى استقصاء الحالة الجوية ، فإذا كانت مما تتعذر معها الرؤية عن بعد ألف ذراع ، أو كانت سرعة الريح أكثر من أربعين عقدة فى الساعة ، خاطب القائد الكوماندر كلارك بالتلفون ليرى رأيه فى تأجيل سفر القافلة .

وكثيراً ما تطرأ الطوارئ فى الليـل ، فقد ترسـل إحدى السفن الكبيرة إشارة بالراديو أنها ستصل قبل ميعادها ، وفى هذه الحالة يتعين على ضابط النوبة أن يقرر هل تتقـدم القافلة أو تتأخر ، أو قد تتعطل سفينة شحن ، وهى على بعد ٢٥٠ ميلا من نيويورك ، فيجيء ضابط زورق قاطر فى فى الساعة الثانيـة والنصف ويسـتعلم : ما الأوامر « لقطر » تلك السفينة ؟ أو قد ترسل إحدى ناقلات الزيت إشارة تقول : إن بطانة أحد صهاريجها قد تلفت ، ولا تستطيع استبدالها ، فيبحث ضابط النوبة بين السفن المماثلة لها فى الميناء ، أو يرسل إشارة تلفونيـة إلى نورفوك أو فيلادلفيا فيجد البطانة فى مستودع بمكان ما ، فيستأجر طائرة لتجيء بها ويرسل سيارة ليؤتى بها من المطار . وقد حدث مرة أن أبى نوتية إحدى السفن البريطانية ، وكانوا من أهالى جزر الهند الشرقية ، مغادرة الميناء بغير عنزة حلوب ، فقضى مدير الميناء بعد ظهر اليوم وهزيعاً من الليل ، حتى عثر على ضالته .

فإذا جاءت ليلة وكان الجو صحواً ، وليس ثمة أثر لطوارئ تتوقع ، خرجت قافلة مجموع حمولة سفنها نصف مليون طن فى رحلة محفوفة بالأخطار . فيعتلى اللفتنانت كوماندر جون ولتون (وهو ربان الميناء ، وقد قضى ثلاثاً وأربعين سـنة فى البحر) زورقاً قاطراً ويسير به فى الظـلام نحو الخليج . ويتبين مصباحه الكشاف السفينة التى يجب أن تخرج من بوابة الميناء أولا ، فيربطها من مقدمها ويوجهها . وهى موسوقة بمواد متفجرة (ومثل هذه السفينة توصف « بالسفن الحامية ») . ثم يتجه الزورق القاطر إلى بواخر الشحن الكبيرة وناقلات الزيت ، وقد غاص أكثرها فى الماء ، وبواخر الشـحن مثقلة ظهورها بسيارات النقـل

وسيارات « جيب » والطائرات ، وزوارق النزول إلى البر . ومعظم هذه البواخر لا يحتاج إلى معونة ، ولكن « ولتون » متأهب لبذل كل عون إن مست الحاجة ، وهو يصيح بصوته الجهير في البوق المضخم : « أمستعد أنت يا ربان للإقلاع في الميعاد ؟ » فيجيبه : « مستعد ! » فيقول : « إذن فارفعوا علم القافلة ! » .

ثم يضع علامة أمام اسم كل سفينة في الكشف الذي بيده ، وتشرع القافلة في الاتجاه نحو الخليج عند الفجر ، ويتتبعها قسم الاستعلامات التابع لمدير الميناء بالراديو ، فيلاحظ الوقت الذي تمر فيه كل سفينة أمام منارة « أمبروز » . وأخيراً يرسل إشارة بالراديو إلى مدير القافلة قائلا : « أقلعت جميع السفن ، واجتازت آخر سفينة بوابة الميناء رقم ١١٠٣ » .

ومع هذا كله فقد تسمع ، وأنت في أحد ملاهي برودواي على مئات من الأمتار من مكتب مدير الميناء ، بعض زائري نيويورك وسكانها يقولون : « ليس لنيويورك شأن في الحرب » .

انتخب الأبطال

١ — ما أكبر حيوان يعيش على سطح الأرض الآن ؟

٢ — ما أكبر حيوان عاش على سطح الأرض إطلاقاً ؟

٣ — ما أكبر طائر في العالم ؟

٤ — ما أطول حية في العالم ؟

٥ — أي طائر يفوق جميع الطيور في مدى ما بين طرفي جناحيه ؟

٦ — أي الحيوانات أطولها عمراً ؟

٧ — أي الثدييات أطولها عمراً ؟

٨ — أي حيوان من ذوات الأربع أسرعها عدواً ؟

٩ — أي الحيوانات — بعد الإنسان — أذكاها ؟

١٠ — أي حيوان له أثمن فرو ؟

١١ — أي حيوان جزة صوفه أجود جزة صوف في العالم ؟

١٢ — أي حيوان أعظمها نفعاً للناس ؟

[الأجوبة الصحيحة على صفحة ٧٩]



بيرنت بالتشن وكورى فورد
ملخصة عن مجلة « كوليرز »

هذه قصة الحرب فى جرينلند « جزيرة الأرض الخضراء » ، تلك الحرب القصية الخفية التى دارت فى غبش الظلام فى شمال الدائرة القطبية الشمالية. وكان أبطالها جنوداً متطوعين من رجال المطارات راحوا يعملون فى جو درجة حرارته خمسون تحت الصفر ، أو يقضون الشتاء كله فى محطات جوية نائية مدفونة تحت ثماني عشرة قدماً من الجليد .

كانت حرباً فى سبيل أرصاد الجو. فمن تلك الجزيرة المتجمدة فى دائرة القطب الشمالى تهب الرياح والتيارات التى تدفع العواصف إلى إنجلترا والقارة الأوربية . ولا غرو فإن جرينلند هى مفتاح جو الغد فى أوربا ، وكل غارة من غارات القنابل نشنها على ألمانيا تتوقف على إذاعاتنا البعيدة المدى من القطب الشمالى. وربما كان توقيت الغزو ، بل نجاحه نفسه، راجعاً إلى أننا نحن — لا النازيون — الذين نسيطر اليوم على جرينلند .

لقد كانت لأمريكا مصلحة حيوية فى تلك الجزيرة المغمورة فإن أقصر طريق جوى إلى أوربا يمر بطرفها الجنوبى . وجرينلند هى المحطة الطبيعية فى طريق نقل الطائرات إلى بريطانيا . وقد استطعنا هذه المرة أن نصل إليها قبل سوانا . ففى صيف سنة ١٩٤١، قبل الهجوم اليابانى على بيرل هاربور بشهور ، أبحرت تحت إمرتى بعثة من الولايات المتحدة

بيرنت بالتشن من طيارى العالم البارزين ، وهو أيضاً خبير ضليع في أساليب الحياة في المناطق القطبية . وقد ظل سنتين كبير الأدلاء في بعثة ولكنز إلى القطب الجنوبي ، وقاد طائرة (بيرد) فوق القطب الجنوبي ، ورأس عدة بعثات للانقاذ في منطقة القطب الشمالى ، وتولى نقل الذهب بالجو في كندا ، وأخيراً استقر به القرار مديراً لشركة الخطوط الجوية النرويجية فى أوربا . فلما غزا النازيون بلاد النرويج عاد إلى الخدمة العاملة مع سلاح الطيران الملكى البريطانى أولاً ثم كولونيلا في القوات الجوية بالجيش الأمريكي .

قد أمرت بإنشاء قاعدة جوية على الساحل الغربى من جرينلند — وهى أبعـد قاعدة جوية أمريكية فى العالم من قبل الشمال .

كان رجال البعثة جميعاً من المتطوعين ، وكانوا نخبة ممتازة من قوات الجيش الجوية النظاميين ، ومنهم كثيرون من ألاباما أو تنيسى أو تكساس ، لم يروا الجليـد قط ، فكانت جبال الثلج تبعث الدهشة فى نفوسهم.

بل إن مساحة جرينلنـد كانت مفاجأة دهش لها معظمهم . وأذكر أن أحـد المتطوعين المخلصين من أهل بروكلين راهن بمرتب شهر على أن مسـاحتها لا تزيد على مساحة لونج أيلند (قرب نيويورك) ! هذا على أن مساحة جرينلند تبلغ نحو نصف الولايات المتحدة . وشكلها كالحوض القليل الغور ، تمتـد حول ساحلها كله سلسلة من الجبـال ، تنحدر تدريجاً إلى داخلها . وفى جوف هذه الجبال المحدقة بها طبقة واسعة من الثلج ، تكسو الجـزيرة بأكملها ، إلا خطة ضيقة على طول الشاطئ .

ولم تزل جرينلنـد مستعمرة دنمركية ، خاضعة فى إدارتها للمفوضية الدنمركية الحرة فى وشنطـن ، وهى التى منحت الولايات المتحـدة الإذن بإنشاء القواعد ، وتمهيـد منازل الطـائرات . ولا يزيد عـدد سكان الجزيرة على ٣٠ ألفاً ، يعيش معظمهم على الساحل الجنوبى الغربى .

وقد كانت مهمة إنشاء القاعدة ، فى مثل هذه الأرض التى تكاد تكون غير مأهولة ، معضـلة هائلة . فلم تكن ثم قرية واحدة ، ولا قرية من قرى الإسكيمو على مسافة مئة ميل من المنطقة التى كنا نقصـد إليها ، ولم يكن مستطاعاً أن نحصل على معدات أو مؤن من مكان أقرب من الولايات المتحـدة ، فكان علينا أن نحمـل معنا كل شئ حتى خلال الأسنان ! ولهذا حملت سفينتنا ، مع الجرارات والمسالف والكراكات ، مكتبة كاملة ، ومجموعة منـوعة من الألعـاب والمعمّيات ، وكرات القـدم ، وقفـازات الملاكمة ، بل حملت أيضاً مجموعة من أشجار عيد الميلاد الصناعية . ولا عجب فقد كنت أدرك معنى الظلام الشامل ٢٤ ساعة .

وصلت بنا البـاخرة إلى منحنى طويل ضيق من الأرض ، فارسينا فى خليج ضحل ، ثم حدقت صامتاً فى المبانى المنشأة من الطين، والشاطئ الذى تكسوه الحصباء،والسفوح الجبليـة الجرد . وقد كتب علينا أن نقضى السنتين التاليتين فى هذه البقعـة الجرداء .

وقضينا الخريف كله فى إقامة معسكر وإنشاء مطـار فى ذلك الفضاء المتجمد ، فلم يأت ديسمبر حتى كنا قد هيأنا مكاناً صالحاً لاستعمال أول طائرة .

ولا أظن رجالنا قد أدركوا تمام الإدراك عزلتنا المطلقة إلا بعد أن أبحرت آخر سفينة إلى الولايات المتحدة، ولم يعد منتظراً أن نرى سفينة أخرى حتى يحل الصيف التالى . وإذا هم فى وحدتهم ، ذرٌّ دقيق أسود على بساط الجمد الأبيض. لقد سمعوا للمرة الأولى صوت السكون ! وكانت ظلمة الشتاء تقترب رويداً رويداً، وميزان الحرارة يهبط يوماً بعد يوم، وراح الرجال يقاومون تيار الذعر المتصاعد . لم يكونوا يتصورون أن يزداد الجو برداً على برده،فهم سيموتون حتما إذا اشتدت وطأته. ومع ذلك ظل مقياس الحرارة ينخفض بضعة خطوط كل صباح ، وبدأت الظلال تمتد ، وأخذ السكون يخيم عليهم ويضيق عليهم الخناق .

ولهــذا البرد الساكن القــارس طبيعة مروعة ، فما هو إلا أن تخطو خارج الباب حتى يتجمد معطف الخنـادق الذى تلبسه ، ويصبح صلباً كقطعة الخشب ، قبل أن تتمكن من إغلاق البـاب . وإنك لتحس بوجهك يتولاه الذبول فى ثوان معدودات ؛ وكأنه قد اكتوى بلهيب النـيران . وإن نقطة واحدة بيضاء على جبهتك تـكفل لك أسـبوعا كاملا من الآلام ، وإن نفساً واحداً عميقاً لتقشعر له رئتـاك ، بل إن قليلا من الثلج يتسرب إلى مقـدم حذائك من الداخل قد يفضى إلى بتر أصبعين من أصابع قدمك، بل ربما بترت قدمك كلها .

وقد أصدرت فيما يتعلق بالمظهر الشخصى أمراً واحـداً : « احلقوا اللحى » ! فإنه وإن لم تكن ثم ضرورة للحلاقة كل يوم فى هـذا الفضاء القطبى ، إلا أن إذابة الجليد المتجمد على لحية طويلة قد يكون أشد ألماً .

وقد تغيرت حاسة التـذوق أو كادت ، فقد كان الرجال يلتهمون بشهية أنواعاً من الطعام لم يكونوا يحلمون بأكلها يوماً من الأيام ، ككبد الحوت والبطارخ ولحم عجل البحر ، والرنة ، والطيور البرية ، والأرنب القطبى . وتعلموا كيف يطبخون السمك على طريقة أهل الشمال ، بتقطيعه وسلقه فى ماء البحر . ووافقهم هـذا الغذاء ، فزاد وزنهم بمتوسط عشرين رطلا فى العام الأول.

وأناخ علينا الشـتاء بكلكله ، فلم تكن الشمس فى وقت الظهيرة إلا ضوءا أحمر . حتى إذا أقبل الظلام تفاقم خطر القنوط ، وكان ردّ ذلك بالرياضة ، حتى إذا ما أخذ منك التعب مأخذه استطعت أن تنام . وأنشأنا فصولا لتعليم الانزلاق على الثلج ، وكان الرجال فى بعض الأحيـان يفسحون حلقة فى الثلج ، ثم يعرضون مباريات غريبة فى الملاكمة ، إذ يتناوش الملاكمون فى ارتباك باحذيتهم الثقيـلة وملابسهم . فإذا أرغمتنا

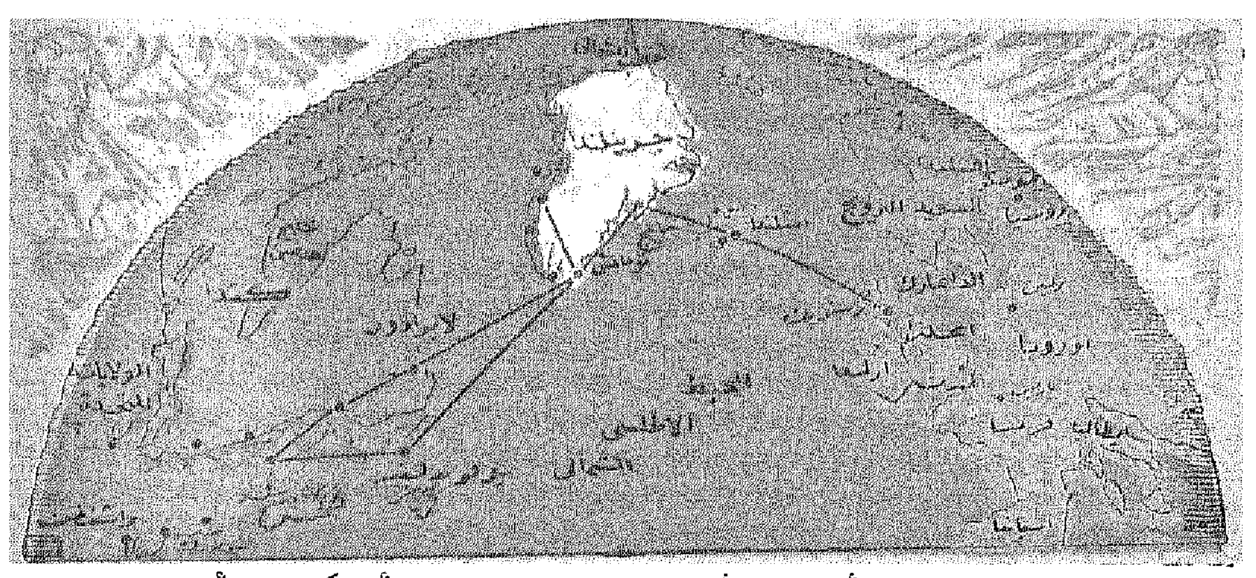
العواصف على الاستكنان ، أنشأنا استعراضات فكاهيــة موسـيقية خفيفة مرتجلة فى قاعة الاجتماع . وقد كانت النـكات قديمـة ، والموسـيقى نشازاً ، ولـكنى أتمنى فى بعض الأحيان لو أن بعض المواطنين فى أمريكا كان بين الواقفين المتزاحمين حول البيـان ، يرفعون أصواتهم عالية منسجمة لتطغى على نقر ، المطروقع البرَد ، وصخب الرياح التى لا تـكاد تسكن أو تستريح ، فلربما تضاءلت فى أعينهم قيمـة الإضرابات أو الضرائب ، أو زيادة نصيبهم من الزبد ، أو انتخابات الخريف القادم — إذا هم واجهوا الوحدة والبرد والظلام .

* * *

وجاء الربيع ، فأخـذ الجو يطيب ، وأخـذت أسراب القاذفات الثقيـلة تزداد ويشتد هديرها فوق رءوسنا ، متجهـة إلى جبهات القتـال . وأخذت القـاذفات المتوسطة والطائرات المقاتلة تهبط إلى المطار لتستوفى حاجتهـا ، وكان علينا أن نواصل عملنا ليلا ونهاراً .

ولم يغب عنا طوال ذلك الصيف احتمال هجوم العـدو ، إذ كانت طائرات الحراسة النـازية الطويلة المدى دائمـة الرقابة على جرينلنــد ، وقد حلقت غير مرة فوق قاعدتنا ذاتها .

وخشينا أن يكون الألمان قد وطدوا أقدامهم فى أحـد الأماكن على السـاحل الشرقى ، فقـد حدث ذات يوم أن ضلت مجموعة مؤلفـة من طائرتين من طراز



تبين هذه الخريطة أحدث وأقصر الطرق الجوية من أمريكا إلى أوربا وتظهر كيف صارت جرينلند حلقة حيوية فى سلسلة النصر

ب ـ ١٧ وأربع من طراز ب ـ ٣٨ فى وسط ضباب كثيف ، فأرسلت إشارة رمزية تطلب فيها تقريراً جويا عن أحد المطارات الثانوية ، فجاءها الرد ، بالرمز أيضاً ، بأن هذا المطار يعج بالماء ، والرؤية فيه متعذرة ، ولكن هناك مطاراً آخر قِبَلَ الشمال مستعد لاستقبالهم . فاتجهوا شمالا ، غير أن الحالة الجوية ازدادت سوءا ، فاضطروا أخيراً إلى الهبوط ، وسقطت الطائرات على طبقات الثلج المتراكمة فى الجزيرة .

ولما راجعنا تقاريرنا الجوية فيما بعد على التقارير التى تلقاها الطيارون ، تبين لنا أن التقارير عن المطارين الثانويين كانت معكوسة عمداً ، وأن الطائرات دفعت دفعاً إلى طريق الكارثة ، بسبب معلومات باطلة أذيعت من محطة سرية ألمانية .

* * *

ولعل أفتك الأسلحة جميعاً فى منطقة القطب الشمالى هو البريق ، فإن السماء والثلج الأبيض والجليد تمتزج حتى تصير بريقاً شاملا ، وعندئذ يختفى الأفق ويضيع تقدير المرء فى ذلك البياض الناصع الغريب . فإذا اعتدلت فى موقفك على حين غرة ترنحت وسقطت على ظهرك ، لأنك لا تستطيع أن تدرك متى تكون معتدلا فى وقفتك . وفى هذه الحال لا يستطيع الطيار أن يقدر المسافة بينه وبين الأرض ، وربما حاول أن يمس الأرض وهو على ارتفاع خمسين قدماً فى الجو ، وقد ينقض بطائرته باقصى سرعة فى قلب الجليد !

وقد كان هذا البريق المروع سبباً فى الكارثة التى نزلت بالقلعة الطائرة التى كان يقودها الملازم مونتفرد ، من كاليفورنيا ، فى ٨ نوفمبر سنة ١٩٤٢ ، وجرت على أثرها أطول أعمال الإنقاذ وأخطرها فى تاريخ المناطق الشمالية . ولم يكن أحد الذين اشتركوا فى تلك الأعمال رائداً متمرساً من رواد المناطق القطبية ، بل كانوا فتية أمريكيين لم يروا تلك المناطق قط ، وقد كانوا منذ بضعة أشهر طلاباً أو عمالا أو موظفين فى بنوك المدن الصغيرة ـ أو بعبارة أخرى كانوا فتية ككل الفتية الأغرار ، ولكنهم خلقوا من طينة الأبطال !

اصطدمت القلعة الطائرة بالأرض القطبية صدمة مفاجئة هائلة ، وقد كان مونتفرد يقودها فى لحظة على ارتفاع منخفض ، وفى اللحظة التالية كانت الطائرة تبدو وكأنها جامدة لا تتحرك فى الهواء ، ثم انزلقت على بطنها مسافة مئتى ياردة ، ثم وقفها احتكاك شديد ، وانشق برج مدفعيتها شطرين .

وكانت قطع الجليد الجافة تحتك بجوانب

الطائرة المعدنيـــة محدثة صوتاً ظاهراً ، فمر بخاطر مونتفرد فى لحظة ذهوله أن الطائرة تحـترق ، وسرعان ما قفز من مكانه إلى الخارج ، فوجد أحد ملاحى الطائرة وهو الجاويش (سبينا) ملقى على الأرض مكسور الذراع ، ووجد آخر اسمه (بست) مصاباً فى الوجه بجراحات شديدة ، لأنه اخـترق أنف الطـائرة الزجاجى حين سـقوطها . وكذلك أصيب الآخرون بصنوف من الجراح والخدوش .

وبادر مونتفرد ، ومعـه ملاحه الجوى المـلازم أوهارا ، فحملا سبينا إلى مؤخرة البرج المحطم ، فتسرب من جراء هذه العجلة بعض الجليد إلى حذاء أوهارا ، فلم يتلبث حتى يزيله ، فكان ذلك إهمالا كلفه ثمنــاً غالياً . وعمد بقية رجال الطائرة إلى إنقاذ مااستطاعوا من المؤونة والأغطية المتناثرة فى الجليد، وغطوا كسر البرج بقطعة من المشمع الكثيف ، ثم لبثوا ينتظرون تحسن الجو .

وانتهت العاصفة بعـد ثلاثة أيام ، فازداد حرج مركزهم وضوحاً ، وتبينوا أنهم محوطون من كل جانب بهوّات عميقـة ، بحيث يتعـذر على أية طـائرة أن تهبط على مقربة منهم ، وربمـا كان عسيراً أن يصل إليهم أحد سيراً على الأقدام .

ورأى أوهـارا وزميله الطيار المـلازم سبنسر ، فى محاولة يائسـة ، أن يضربا فى عرض الجليـد لعلهما يصلان إلى الساحل ، ولم يسيرا إلا مسـافة قصيرة ، وأوهـارا فى المقدمة ، حتى سمع سبنسر يغمغم قائلا :

— لا أظن هذا الثلج شديد الـ . . . .

وانقطعت الجملة فجأة ، ولم يبق فى المكان الذى كان يقف فيـه سبنسر سوى فجوة فاغرة .

وراح أوهـارا ، فى حرص وحـذر ، يزحف على يديه وركبتيه إلى حافة الفجوة ، فلم يستطع أن يرى لأول وهلة سوى ظلمة مفزعة ، ثم تبين بالتـدريج جوانب الثلج الزرقاء المخضرة ، وعلى غور نحو منه بدم قطعة من الثلج مستعرضة فى حلق الفجوة، وقد حالت هذه القطعة بالمعجزة دون تردى سبنسر فى قعر الهوة ، فاسـتقر فوقها ملقى على بطنه ، محدّقاً إلى عالم الذهول ! .

وصاح أوهارا يطلب النجدة ، فهرول إليه ملاحو الطائرة المحطمة يعدون،وسرعان ما صنعوا حبلا من خيوط المظلات الواقية ، وأدلوا به إلى سبنسر ، فاستطاع فى أناة — لأن قطعـة الثلج المستعرضة كانت تهـدده بالانزلاق كلما تحرك — أن يربطـه حول وسطه،وراحوا يجذبونه إلى السطح بوصة بوصـة حتى أخرجوه ، ثم عدلوا عن كل محاولة فى ارتياد طبقات الجليد .

فلما عادوا إلى الطائرة ذكر أوهارا لأول مرة أن ساقيه قد فقدتا القدرة على الإحساس ، وأسفر الفحص العاجل عن تحقيق أسوأ مخاوفه ، فقد كلتا قدميه .

وكان رجال الطائرة ، منذ سقوطها ، يحاولون أبداً إصلاح آلة الراديو المحطمة ، واستطاع الكوربورال هاورث إذابة الثلج من حولها بنور الإشارات ، واستطاع آخر الأمر أن يذيع مكان وجودهم على وجه التقريب . وكان جهاز الاستقبال معطلا، فلم يكن لهم سبيل إلى معرفة مصير رسالتهم وهل تلقاها أحد أو لا ، ولم يكن لهم إلا الانتظار .

وفى ٢٤ نوفمبر عرفنا أن موقع القلعة المحطمة فى منطقة لا سبيل إلى بلوغها على بعد نحو ٤٠ ميلا من خليج كومانش ، فألقينا إليها بالمؤونة ، ولكن الرياح العاصفة جرفت المظلات ، فكانت تخرج عن متناول رجال الطائرة وتهبط خلف المهاوى السحيقة على نحو يثير الحنق ، ولم يظفروا إلا بالمؤونة التى ألقيناها إليهم بالمظلات .

وأصدرنا تعليماتنا إليهم بالبقاء حيث هم ، وأخبرنا سفينة خفر السواحل « نورثلاند » بمكانهم ، فاتجهت بأقصى سرعتها إلى خليج كومانش . وفى الوقت ذاته غادر محطتنا الإضافيــة للأرصاد الجوية فى كومانش ، اللازم ماكس ديمارست والسرجنت تيتلى ، ومعهما زلاجتان من ذوات المحركات ، وفرقتان من الكلاب . وكان عليهما أن يسلكا طرقاً متعرجة حول الفجوات العميقة ، فيتقدم اللازم ديمارست منزلقاً بالعصى ليختبر الأرض ، ومن ورائه السرجنت تيتلى يأتى بالزلاجتين واحدة إثر أخرى .

وقامت طائرة بريةمائية من طراز جرومان بقيادة اللازم بريتشارد ، واستطاعت أن تهبط موفقة فى واد ملىء بالجليد قرب الطائرة ب — ١٧ . ثم حلقنا نحن فوق الجرومان ، وألقينا إلى اللازم بريتشارد أحذية للجليد وبعض الحبال ، فوصل إلى الطيارين المحاصرين فى ٢٨ نوفمبر . ولما كان متعذراً على أوهارا وسبينا أن يعودا معه إلى الطائرة سيراً على الأقدام ، رؤى إمدادهما بالإسعافات الطبية ، وصحب بريتشارد معه رجلين آخرين من الجرحى الذين يستطيعون المشى ، ونقلهما بالطائرة إلى خليج كومانش .

وفى ساعة متأخرة من تلك الليلة ، استطاع ديمارست وتيتلى أن يجلبا الزلاجتين إلى حافة المنطقة ذات الفجوات ، حيث تجثم الطائرة ب — ١٧ ، وأتما بقية المسافة مستعينين بضوء البطاريات . وقد وجدا رجال الطائرة فى أحسن حالة معنوية ، وقد

خيل إليهم أن محنتهم قد انقضت . وأقبـل ديمارست على سـبينا فأبدل ضماد ذراعه المكسورة ، وعالج بقية الأعضاء التى أصابها الزمهرير فى أجسـام الطيارين ، ثم قفـل راجعاً هو وتيتلى ليجلبا الزلاجتين إلى الطـائرة .

وبينما كان الطيارون يلوحون لهما فى لهفة وهما ييممان شـطر الفجوة الأخـيرة ، رأوا ديمارسـت وهو يدير زلاجته لتتجه الوجهة الصحيحة ، وإذا بالجليد ينهـار من تحته بلا إنذار ، وإذا الزلاجة وقائدها يهويان إلى أعماق الهوة ، وشاهد الطيارون الذين هزتهم الصدمة ذيل الزلاجة المحطمة فى قاع الهوة ، ولـكنهم لم يروا لديمـارست أثراً قط .

وعاد الملازم بريتشارد بعد ظهر ذلك اليوم فى طائرته الجرومان ، وقد أوشـك الجو أن يعود إلى رداءته ، فانقلب راجعاً من فوره ومعه عضوان آخران من رجال الطـائرة ب ـــ ١٧ . ولـكنه اصطدم فى أطباق الضباب بأحد الجبـال فقتل الرجال الثلاثة .

وتلقى الملازم مونتفرد وبقيـة رجال الطائرة ذلك فى صمت وذهول . ثم هبت عاصفة أرغمتهم على أن يستكنوا سـبعة أيام أخر . ولما ثارت هـذه العاصفة اسـتقل الـكابتن تيرنر ، وهو أحـد رجال قيادة طائرات النقل ، طائرة من طراز ب ـــ ١٧ وألقى إليهم مؤونتهم من الطعام والدواء .

وفى السابع من ديسمبر بلغت قدما أوهارا مبلغاً من السوء حتى رؤى أن يحاول تيتلى أن يخرجه من الطـائرة بالزلاجة ، ووضع أوهارا على راحته فى مضجعه بالزلاجة ، وتقدم الملازم سبنسر لابساً حـذاء الجليد ليختبر الأرض خوفاً من الفجوات ، وتبعه ويدل ، وهو مهنـدس مساعد ، سـيراً على قدميه .

وعلى مسيرة ميلين من الحطـام وقفوا يصلحون الزلاجة ، وجاء ويدل إلى جانب أوهارا يحادثه . وعلى حين غرة سمع أوهارا صيحة من ويدل ، وأحس بيدى ويدل فى قفازهما تتعلقان بسرير الزلاجة ثم تنحدران فوق قدميه وقد خارت قواه ، واندفع تيتلى إلى الزلاجة ، وأسرع فأزاحها عن الجليد المتفتت فى اللحظة الأخيرة ، وانحنوا ينظرون فى الهوة حيث غاص ويدل ، ولـكنهم لم يجدوا بها أثراً من آثار الحياة .

وبعد قليل أخـذت الزلاجة تتعطل ، فقد تجمد زيت المحرك وكسر أنبـوبة من أنابيب البنزين . وتراكم الجليد فى تلك الليلة عالياً حول خيمتهم ، فلما كان الصباح كانت الزلاجة قد دفنت بأكملها فى الجليد .

وعندئذ هيأوا لأوهارا غاية ما يستطيعون من أسباب الراحة، وجثموا فى قعر جحرهم ينتظرون. وطال انتظارهم أسبوعاً بعد أسبوع، وجاءت عواصف الشتاء فجعلت جهود الإنقاذ مستحيلة، وإن كان الكابتن تيرنر قد ألقى إليهم بالطعام.

وفى أوائل فبراير بدأت حدة العواصف الدائمة تهدأ بعض الشىء، واستطعت أن أهبط بإحدى طائرات الأسطول من طراز كاتالينا على فضاء الجليد قريباً من معسكر الزلاجة، فوجدت وزن أوهارا قد نقص أكثر من مئة رطل، ولكن كلا الرجلين الآخرين، بفضل مؤونة الكابتن تيرنر، قد زاد نحو عشرين رطلا.

ولم تنته متاعبنا حتى بعد أن نقلناها إلى ظهر الطائرة، فقد أدرنا المحركات ولكن الطائرة ظلت فى مكانها جامدة لا تتحرك. وذلك أن قشرتها المعدنية لصقت بالثلج المتجمد، من البرد القارس. فجعلنا رجلين على كلا جانبيها، وأمرنا اثنين آخرين أن يجريا ذهاباً وإياباً فوق الجناحين حتى تتأرجح الطائرة إلى أن خلصناها من قبضة الثلج وأدرنا المحركات. ولكنها لم تلبث أن تجمدت مرة أخرى، حين وقفناها لننقل عمالها إلى ظهرها.

عندئذ رأينا أن نتحرك بها متمهلين فى دائرة كبيرة وسط الجليد، وكلما مررنا بالعمال قفز أحدهم تلو الآخر متعلقاً بسلم معدنى يتدلى من الباب المؤدى إلى برج المدفعية، وراح من كان فى الطائرة من العمال يجذبون كل قادم جديد، ويجرونه جراً إلى ظهرها. فلما أتمت الطائرة دورتها بلا توقف، استجمعنا سرعتنا واعتلينا متن الجو عائدين إلى قاعدتنا سالمين.

واستغرقنا شهراً آخر فى إنقاذ الثلاثة الذين بقوا فى حطام طائرة ب — ١٧، مستعينين بالطائرة والزلاجة التى تجرها الكلاب، بعد أن عاشوا فى عراء الجليد أربعة أشهر ونصف شهر تضنى بقسوتها.

ولما بلغنا محطة الأرصاد الجوية على الشاطىء كان الكولونيل ويمسات، قائد قاعدة جرينلند ينتظرنا برسالة عاجلة، مؤداها أن العدو استطاع أن يثبت أقدامه على الشاطىء الشرقى عند جزيرة سابين، وأن جماعة من الألمان هاجموا إسكيمونايس واستولوا عليها، وهى محطة نائية تابعة لحرس الزلاجات فى جرينلند. وقد أمرنا بضربهم بالقنابل وإجلائهم.

وكان حرس الزلاجات الجرينلندية مؤلفاً من صيادين دنمركيين ونرويجيين يأجرهم الجيش الأمريكى ليكونوا حرساً حربياً نظامياً للشاطىء الشرقى من جرينلند.

وحدث فى شهر مارس أن التقت طائفة ألمانيةمن الحراس، يقودها ملازم يدعى ريتر، بثلاثة رجال من حرس الزلاجات ، ولم يسمع سائق الزلاجة الأولى إيلى كنودسن لأمر الألمان إياهم بالوقوف ، فأطلقوا عليه الرصاص وقتلوه ، وأخذوا الاثنين الآخرين أسيرين إلى سابين .

وهناك أصدر ريتر قراراً غريباً ، هو إطلاق سراح أحد الأسيرين الدنمركين — وكم كانت دهشته ! — على أن يعود إلى داره ، وأن يكون الأسير الآخر دليله وقائده . ومضى ريتر بمفرده ليتفقد محطة أرصاد جوية وجدت فى خليج ما كنزى ، ولكنهما لم يكادا يختفيان عن الأنظار حتى نزع الدنمركى القوى سلاح الملازم الألمانى وأخذه أسيراً . ثم انطلقا معاً فى سفر عجيب مسافة ٣٥٠ ميلا نحو الجنوب إلى سكورزبى ساوند، حيث مركز قيادة حرس الزلاجات ، وهكذا عاشا معاً شهراً كاملا على قارعة الطريق ، يتناولان طعامهما جنباً إلى جنب ، وينامان الليل فى فراش واحد على الزلاجة . فلما بلغا سكورزبى ساوند سلم سائق الزلاجة أسيره الألمانى إلى السلطة المختصة .

وكنا فى خلال ذلك نعجل باستعدادنا للذهاب إلى العدو ومحاربته ، وعزمنا على أن نهاجمه من إسلندة ، فخرجنا فى الساعة الحادية عشرة ذات مساء فى الغسق الفضى العجيب فى ليلة من ليالى الربيع القطبى ، لنضرب إسكيمونايس بالقنابل . فلما وصلنا منطقة الهدف فى نحو الساعة الثالثة صباحا كانت الشمس ساطعة كالظهر ، وألقينا قنابلنا ، وحطمنا الأبنية الصغيرة ومحطة الإذاعة ، وتركنا المكان كله وهو يحترق .

فلما جاءتنا من الولايات المتحدة بعض قاذفات القنابل من طراز (ليبراتور) ذوات الخزانات البعيدة المدى ، جاء دور جزيرة سابين ، وكان ذلك أول أعمال ضرب الاستحكامات الألمانية فى هذا الجانب من المحيط الأطلسى بالقنابل . وقد استطعنا ونحن نحلق فوق الهدف على ارتفاع ٥٠٠٠ قدم أن نتبين بناءين ظاهرين ، محطة للاذاعة ومخزناً للذخيرة ، وعلى مقربة من الشاطىء ، ووجدنا سفينة تموين ألمانية متجمدة فى الجليد ، وهى سفينة حمولتها ٣٠٠ طن جعلت سارياتها ومداخنها بحيث تخفى عن العيون إلى أقصى حد مستطاع ، وأحيط جانباها بالجليد لإخفائهما عن الأنظار .

وعلى الرغم من نيران المدافع الألمانية استطعنا أن نقذف المبانى بالقنابل وندمرها ، كما أطلقنا ١٣٠٠ قذيفة على سفينة التموين، فلما عدنا بعد ذلك لنشاهد النتائج وجدنا

المحطة الألمانيـة قد أخليت ، والمبانى قد دمرت ، وتبين لنا أن السفينة التى وجدناها بالخليج قد اندلعت فيها النيران من جراء ضربنا وأذابت الثلج وهى تحترق ، فلم يبق سوى دائرة سوداء من ماء البحر غرق فيها الهيكل المحترق. ووجد رجالنا فى حطام المبانى مسدسات لوجر، وشظايا من مدافع العشرين مليمتراً ، وأدوات محطمة من أدوات الأرصاد الجوية . ووجـدنا فى سفح أحد المرتفعات، عدة مظلات واقية حمر من الطراز الذى يستعمله رجلان، ومعها ملابس عسكرية ألمانية كاملة، وملابس قطبية وصناديق معدنية فيها الطعام، وبعضه زبد دنمركى لذيذ . ويظهر أن النازيين كانوا يمدون القاعدة بالمؤونة من الجو بانتظام . وفى الصباح التالى عثرت إحدى طوائف الحرس فجأة على ألمانى وحيد جاثم بين الصخور ، وإلى جانبه عدد من قنابل اليد ، ولكنه سلم بلا مقاومة . وكان يرتدى الملابس القطبية التى كان يلبسها إيلى كنودسن ، سائق زلاجة الحرس الذى قتله النازيون .

وبعد بضعة أسابيع حادثت الملازم ريتر ، فعرفت منه أنه كان صاحب سفينة ألمانية لصيد الحوت ، ومدرساً ومؤلفاً عن المناطق القطبية ، وأنه التحق بالأسطول الألمانى فى سنة ١٩٤٢ ، وعهد إليه بقيادة بعثة إلى جرينلند لإقامة محطة للأرصاد الجوية ، وكان الغرض منها إمداد سلاح الطيران الألمانى بأنباء الأحوال الجوية القـادمة إلى مدى طويل ، وكذلك توجيه الغواصات الألمانية فى حربها فى شمال المحيط الأطلسى . ثم إن جرينلند ، كما قال ريتر ، كانت تستعمل بانتظام لإرسال الأنباء عن التطورات الجوية إلى السفن التجارية النازية ، وبذلك تعينها على تفادى أساطيل الحلفاء ، وحمل المؤونة لحساب المحور بين النرويج واليابان . وقد هبط جرينلند فى أغسطس سنة ١٩٤٢ ، وظلت محطته تعمل نحو عام ، وتبعث التقارير الجوية مرتين فى كل يوم إلى القيادة العليا للأسطول الألمانى فى برلين .

وعلى أننـا عجزنا عن معرفة ما جرى للألمانيين الذين هربوا من سابين بعـد غارتنا، فالمفهوم أنهم اتجهوا شمالا على طول الشاطىء إلى مكان معين فى موعد مضروب حيث التقطتهم بعض الطائرات المائية الألمانية المرابطة فى النرويج . وقد أثبتت المراقبـة المستمرة للساحل أنه لا يوجـد أى أثر لمنشآت أخرى للعدو .



جرب كل شيء مرة

ولـــيم مولتون مارستون
العالم النفسانى المشهور ، ومؤلف كتاب "جرب أن تعيش"
ملخصة عن مجلة "روتيري ان"

"أسعد الناس هم أولئك الذين يواقعون الحياة فى أكبر عدد من المواضع ، وأما الذين يشقون فأولئك الذين ليس لهم إلا همّ واحد يسلبهم إياه القدر » .

لو أنك رأيت أعمى يستردّ بصره ، لأدركت من فورك ما تنطوى عليه هـــذه العبارة التى قالهـا الكولونيل تيودور روزفلت ، من حق . وإنى لأذكر رجلا كان مصاباً بورم فى المخ أزيل له بعد خمسة عشر عاماً قضاها مكفوف البصر ، ولن أنسى أبداً ما نطق به وجهه حين رفعت عن عينيــه الغشاوة السوداء ، وعاد يبصر شتى ألوان العالم المرئى . فقد بدأ حينئذ يواقع الحياة ويلمسها فى حفل من المواضع العديدة ، مترَع الذهن بكل جديد .

ويجىء إلىّ مئات من الناس يستشيروننى ليجعلوا حياتهم أسعد ، وإنما مثلهم كمثل هـذا الأعمى ذى الورم ، فإنهم يحصرون همهم كله حصراً شـديداً فى مصدر فرْد للسعادة . فهم يحتاجون إلى « جراحة » نفسانية تفتح لهم عيونهم الوجدانية والعقلية ليتسنى لهم أن يبصروا فى كل ناحية حولها وجوه نشاط تهيئ لهم بواعث جديدة للحياة .

وكثيرون جداً منا يكون معنى أن « يكبروا » هو أن « يضيق نطاق المآرب والمساعى » . والأطفال فى أول الأمر يعنون ويهتمون بكل شىء ، وكلما ازدادت قدرتهم على الحصر شرعوا ينبذون تلك النواحى من العالم التى لا تخدم أغراضهم المباشرة . فإذا لم يوجَّهوا بعناية ، فإنهم سرعان ما يعتادون عادات سخيفة تغريهم بالإعراض عن هذا وذاك ، فتكون النتيجة أن يفقدوا متعهم فيشقوا . وقد يحصرون همهم فيما يسمى « اللعب » ويرفضون كل شىء يسمى « عملا » ، وبذلك تتكون لهم عادة عقلية تعميهم سنوات — وربما أعمتهم طول الحياة — عن متعة السعى المثمر .

والنضج معناه عادة تكوين عادات جديدة من الرفض . وقد صار الأعم والأغلب لا الاستثناء والشذوذ ، بين كثيرين ، أن يحصروا همهم فى كسب المال ، وأن يرفضوا الحب والضحك والحياة الاجتماعية . والقاعدة

بين نساء كثيرات أن يحصرن همهن فى واجباتهن المنزلية العادية ، ويهملن الحب والمباهج والمتع العقلية الرحيبة الآفاق .

وإذا المرء ضيق على نفسه دنياه منذ طفولته ، فإن الوسيلة الوحيدة لرجع ما فقد من حرية العيش ، هى أن يحرص على اتباع هذا المبدأ — جرّب كل شىء مرة ، وأعنى بكل شىء ما يكون معقولا أن يباشره إنسان . وعليه أن يكوّن لنفسه عادة جديدة إيجابية ، تبطل أثر الجمود الذى أورثته إياه العادة القديمة ، وتنهضه عن كرسيه المريح ، وتغريه بمعالجة المجهول من الأشياء .

ويشكو الناس من أنهم لا مال عندهم يمكنهم من رؤية الأهرام ، أو لا متسع من الوقت لدرس الموسيقى ، أو لقضاء الشتاء فى فلوريدا . والذى يعجز هؤلاء عن إدراكه وفهمه ، هو أن ما هو مألوف عند هذا هو مغامرة عند ذاك . ولو أنك دونت وجوه النشاط العادية لاثنى عشر من أصدقائك لاستغربت عدد الأشياء اليومية التى لم تجربها قط . مثال ذلك أن معالجة أمر اللصوص من البدو ، أو قراءة اللغة الهيروغليفية المصرية ، تكون على التحقيق حادثاً جديداً لا عهد لى به فى حياتى ، ولكنها أشياء مألوفة فى حياة رجل أعرفه يدير بعثة حفر وتنقيب عن الآثار . على أن هذا الرجل نفسه زار حديثاً حديقة الحيوان فى برونكس للمرة الأولى ، وقرأ رواية بوليسية للمرة الأولى ، وكلا الأمرين عمل عادى فى حياة الكثيرين ، ولكنهما فى حياة هذا الأثرى جديدان وأشبه بالمغامرات .

وإليكم بعض ما اقترحته حديثاً على زوجة على سبيل التجربة : جربى الإنزلاق على الثلج مع أطفالك ، جربى أشغال الإبرة — وثم مخازن تعطى دروساً بالمجان — جربى قراءة روايات ديكنز ، جربى الاستماع إلى موسيقى جيدة ، اشترى بعض أسطوانات جديدة ، جربى أن تقابلى زوجك ليلة الجمعة فى المدينة ، وأن تشهدا معاً رواية سينمائية — فقد سمعته يقترح ذلك — جربى أن تصنعى لوناً جديداً من الطعام تبتكرينه كل أسبوع ، وقد اقترحت عليها عشرة أشياء تستطيع أن تعالجها ، فراقتها سبعة منها جداً ، حتى لقد واظبت عليها . وخليق بمواقعة الحياة فى سبعة مواضع جديدة أن تجعل المرء أسعد وأرغد عيشاً .

وقد تقول معترضاً : « ليس عندى وقت لشىء غير عملى الذى أعمله الآن » فإذا كان هذا صحيحاً فإنك تكون فى مركز حرج . ذلك أنك تضع كل « بيضك » فى سلة واحدة . والأرجح فى الاحتمال أن تفقد سلتك ، أو أن تسرق منك ، أو أن يعرض

لهـا ما يتلفها . وماذا يكون مصيرك إذن ؟ تغرق ! تسلبك ضربة واحدة كل قوتك الدافعـة ، وتحرم غايتك وهمك الحيوى . ونحن نرى الأمهات اللواتى تدور حياتهن كلها على بنيهن ، يلقين أنفسهن من الوجهة الوجدانية عاطلات طائعات حائرات حين يكون أطفالهن خارج البيت ، ونرى بعض الرجال حين يعتزلون العمل يذوون فعلا . ولست أعرف حالة واحدة كان فيها تركيز الوجدان فى هم واحد مجلبة للسعادة ، ولـكنى أستطيع أن أذكر مئة حالة أفضى فيها السير على درب واحد إلى التحطم فى النهاية .

إن ما اعتدناه من العجلة ومسابقة الزمن كثيراً ما يحرمنا التسلية واللهو بأشـياء وحوادث فى طريقنا ، كأنك قد عصبت عينيك وحجبت بصرها . ذلك أن المستعجل يجعل باله دائماً إلى ساعته ، ويحصر همه فى ترتيب أعماله وأوقاته ، وفيما قد يعوقه أو يؤخره . وأنا أعرف عشرات من الناس لا يحجمون عن شراء نشرة أخبار البورصة بربع ريال ، ولـكنهم يعرون ببنائها عشرات من المرات كل أسبوع ، مسرعين ، إلى غير غاية ، ولا يخطر لهم أن يطلبوا بطاقة تخولهم زيارتها . وأكبر الظن أنك ما دخلت قط مبنى له قيمة ، أو زرت الآثار الواقعة على طريقك وأنت تمر بها خطفاً كل يوم ، ومع ذلك لا يكلفك كثيراً أن تصعد بضع درجات وتفتح أبواباً ، أما الدقائق القليلة التى تفقدها فتلك استثمار جيد يزيد ذخيرتك من التجارب .

ومعالجة التنويع لا تحوجك إلى ترك همك الأول ومشغلتك الكبرى — بل أخلق بذلك أن يوسع نطاق ما أنت معنى به ، فإن فى حدود ما تقف عليه همك ، تجارب جمة ومآرب إضافية كثيرة ، تفيدك صحة فى العقل والجسم ويطرد بها نموك . فركز خواطرك فيما تشاء ، ولـكن جدد قواك ونشاطك . فإن تجربة كل شىء مرة واحدة فيه وقود لآلتك.

وروح التسامح حيال الأشياء ، كروح التسامح حيال الناس ، إنما تكتسب بتجربتها . فإذا كنت قـد ألفت أن تسافر فى مركبة بولمان فجرب سيارات الأسفار أو الأمنيبوس ، فإنك خليق أن تلقى ذلك مسلياً ، وأن تجد أنه فتح لك أبواباً جديدة . وإذا كانت عادتك أن تركب سيارات الأسفار ، فادخر قليلا واستمتع بالسفر فى مركبة بولمـان — فإن الأثر لا يختلف . وقد نصحت المسز روزفلت حديثاً لطائفـة من الفتيات الحريصات على التقاليد فقالت لهن : «اخرجن كمستكشفات فى بلادكن . وليكن منكن سائحات حقيقيات ولو فى منطقة محـدودة » . وهى نصيحة سديدة — وعلى المرء أن يجرب كل شىء

حتى الطيران فى عاصفة ثلجية (إذا سمحت لك الشركة بذلك) ، وحقيق به أن يدرك حينئذ أنه فاته أكثر مما كان يظن .

وتجربة كل شيء مرة ، إذا واصلتها بضع سنوات ، تكسبك مقداراً هائلا من المادة النافعة لمعيشتك اليومية ، وتفيدك جديداً من الاتصال القائم على العطف ، بإخوانك ومن تعرف من رجال العمل ، وتفتح لك أبواباً للحديث مع فلان وفلان .

ولست أدرى كيف يحجم شخص عاقل يعرف مزايا توسيع نطاق الحياة ومضار تضييقها ، عن نشدان التوسيع . ولكن مجرد إدراكك أنه ينبغى أن تجرب كل شيء مرة ، ليس معناه أنك ستفعل ذلك ، فإن هناك مع الأسف فجوة وبوناً — نفسانيا — بين التفكير فى فعل شيء ، وفعله .

وطريقة تخطى هذه الفجوة هى أن تعبرها وتجتازها من غير أن تقف لتفكر . عرفت معلمة شابة كانت تشتهى دائماً أن تذهب إلى برمودا ، ولكنها كانت ترجئ الشروع فى ذلك ، فتحريت أن أمشى معها ذات يوم ، فمررنا بمكتب سياحة ، وزعمت أنى أريد أن آخذ بعض البيانات الخاصة بباخرة ، ودخلت بها المكتب ، واحتلت حتى أدرت الحديث على برمودا والسفر إليها ، فسرعان ما حجزت مكاناً لها وهى لا تكاد تدرى أنها فعلت ، لأنها مضت إلى غايتها دون أن تفكر فى الوسيلة أى تفكير .

ومن الحكمة أن نتوخى حسن الاختيار لما نجرب ، لنتقى السير على غير هدى وبلا تمييز فى طلب المتعة ، وإن الحياة بدون مغامرة لعبء ثقيل نتزع إلى محاولة تخفيفه أحياناً ، أو كما قال ألدوس هكسلى : « إن الحياة العادية إيقاع مستو مطرد ، بين فقراته فواصل من اللهو » . فإذا أبقينا همنا ضيقاً محدوداً ، فإنه لا يسلينا إلا الإسراف فى القصف واللهو . وخير من ذلك أن نحرص على معالجة تجارب متخيرة بدلا من الاندفاع إلى أول ما يعرض لنا . وأخلق بمن يوقظ قلبه لمفاتن العالم المحيط به ، أن يكون بمأمن من الملل ، وأن لا يحتاج إلى الجهود المتقطعة لتفاديه أو الهرب منه .

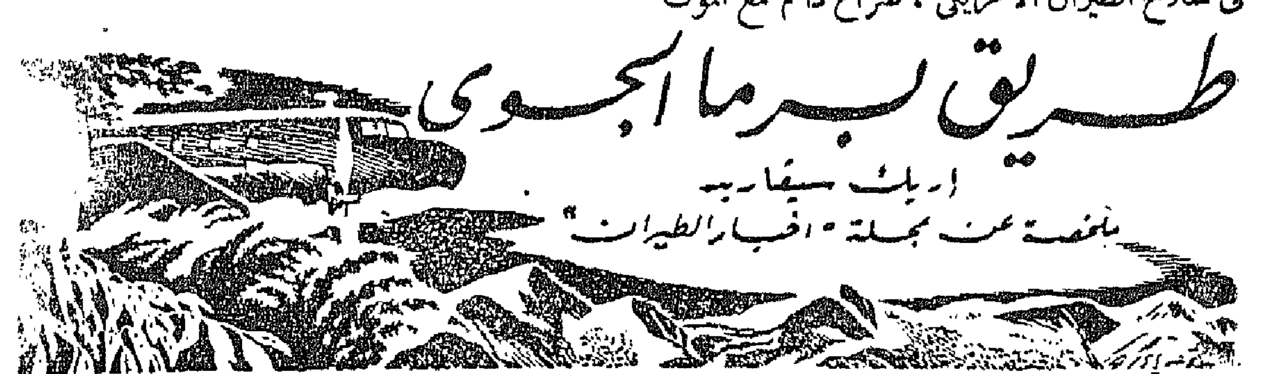


الزواج السعيد

● إن الزواج السعيد هو حديث طويل يبدو دائماً غاية فى الاقتضاب .

[اندريه موروا]

إن اجتياز طريق برما الجوى بطائرات قيادة النقل
فى سلاح الطيران الأمريكى ، صراع دائم مع الموت



كانت سموات برما الشمالية خالية من السحب ، وهذا أمر مكروه ، لأن اليابانيين يميلون إلى تصيّد طائرات النقل غير المسلحة ، كالتى تمتطيها وهى تعبر المرتفعات بين الصين والهند . وقد أخطرنا عامل اللاسلكى بأن أربعاً من طائرات « زيرو » فى مكان ما قريب منا .

كنت جالساً غير مستقر على صندوق خشبى فيه جرايات الطعام ، فى القبة الزجاجية فى أعلى الطائرة ، وهى من طراز (س — ٤٧) ، فرفعت رأسى محدقاً فى الزرقة الخاطفة للأبصار . فنحن إذا لمحنا طائرات الزيرو أولا ففى النجاة أمل ، إذ يتمكن الطيار ، الملازم « جورج هنّا » ، من أن يسف بطائرته المنكرة إلى الأودية ليحاول أن يفلت خلسة . ولكنهم إذا أبصروا بنا أولا ، واتجهوا نحونا والشمس من خلفهم — فيغلب على الظن أن رقم طائرة أخرى سيمحى من اللوحة المنصوبة فى المطار بأسام فى الهند . وعندئذ يقول الرجال ، الذين يعبرون هذه المرتفعات بين الهند والصين ، ما سمعتهم يقولونه مراراً بلهجة مشوبة فى الظاهر بعدم المبالاة : « لقد أخذ هنّا نصيبه اليوم » .

وأخذ قائد الجماعة مكانى ، ووقفت خلف الطيارين . وكان الطيار المساعد متوتر الأعصاب قليلا ، إذ لم يتمرّس بهذه الرحلة ، فكان يتلطف فى تنبيه « هنّا » إلى احتمال عجزنا عن عبور المرتفع المقبل ، وهو على ربع ميل منا ، فلا ينبس « هنّا » بل غمز زميله حين اجتزناه ، وارتفاعنا عنه لا يكاد يتجاوز أربعين قدماً . وإنك لتسف بالطائرة فوق التلال فى الأيام الصافية حين تكثر طائرات الزيرو حواليك ، معرضاً نفسك لأن يدفعك فجأة تيار هابط من الهواء فيحطمك على التلال ، ولكنك فى الوقت نفسه تجعل الأمر عسيراً على طائرات الزيرو ، فيشق عليها أن تعثر عليك فى أرض محيرة ما بين دُكنة لونها وخضرته .

وكان أمامنا خطر آخر ، إذ أشار هنّا

إلى مجموعة من الأبنيــة الخشبية المسقوفة بالسعف ، وهى ثكنات عسكرية يابانيــة تكاد تقع منا على مرمى المســدس . وإنه ليعجزنى أن أصــور ما أثار ذلك فى نفسى من شعور ، فأصبحت أدرك الآن معنى العبارة : « بين الشيطان والبحر الأزرق العميق » . وحدقنا فى الدغل تحتنا ، مترقبين الطلقات الأولى من الرصاص التصّاص ، فإن الرشاشات المخفاة أسقطت أكثر من طائرة من طائراتنا الناقلة ، ولكن لم تنطلق هذه المرة رصاصة ما .

ومضينا هادرين نحــو طريق ليــدو ، ذلك الشعب الضــيق الأبيض المتعرج بين التلال ، الذى ينشئه مهندسوا الجيش الأمريكى ليتصلوا بطريق برما القديم ، وأصبحنا هنا فى حماية مدافعنا المضادة للطائرات . ولم تلبث أن انتهت رحلتنا من الصين إلى أسام ، وهى تســتغرق ثلاث ساعات ، فلم أشــعر قط بالارتياح كما شعرت به عندئذ ، وحتى هــنّا نفسه ، كان يمسح العرق عن وجهه الأحمر ، وكان قد أتم فى هذا اليوم رحلته السادسة بعد التسعين فوق هذه المرتفعات .

وليس هــنّا إلا أحد مئات من الشبان الأمريكيين الذين جهدوا أن يعبروا هــذا الطريق فى السنتين الماضيتين ، ناقلين الوقود والقنابل والذخيرة للقوة الجوية الرابعة عشرة التى يقودها الجنرال شــنولت فى الصين ، وكذلك سيارات الجيب والمدافع والعقاقير وآلاف المواد الأخرى اللازمة لتعزيز المقاومة الصينية المترنحة .

وقد نقلت طائراتهم من الصين إلى مصانع أمريكا سبائك القصدير الخام ومعدن الولفرام ، ونقلت المصابين من الجنود الأمريكيين على نقالات ، ونقلت جنوداً صينيين إلى الهند لتدريبهم على الأسلحة الحديثة تحت إشراف ضباط أمريكيين .

إن الولايات المتحدة تسلم الصين عن طريق الجو مقادير من مواد الحرب تثير العجب . فالرحلات اليومية إلى الصين بضع عشرات ، وأظن أن قيادة النقل الجوى تنقل إليها من المؤونة ما يقارب خمسة عشر ألف طن كانت تنقل إليها بطريق برما البرى .

وقليل من الناس من يعلم خبر هذا الخط الجوى العظيم الذى يجتاز المرتفعات ، لأن وزارة الحربيــة الأمريكيــة كانت تلتزم الصمت ، أما اليوم فلنا أن نقص خبره لأن حماية الطريق أصبحت أتم .

إن هؤلاء الشبان الذين عبروا المرتفعات طائرين يوماً بعد يوم ، لمن أبطال الحرب المغمورين ، إذ لم يستطع أغلبهم أن يخطر حتى أهله الأدنين بما يفعل ، بل كان يقول : « إن هى إلا رحلات نقل عادية » وفى هذا

ما يوحى ببساطة العمـل وأمنه ، ولكنى سمعت قواد القاتلات وجماعات القاذفات وهم يتكلمون عن « عابرى المرتفعات » هؤلاء . وإنى لأعـلم بأىّ إجلال عميـق كانوا يذكرونهم ، فأذكر ما قاله المـلازم تومى هرمون ، قائد إحدى القاتلات من طراز ب — ٣٨ (لا يتننج) : « إنى لأوثر أن أقود طائرة مقاتلة ضد اليابانيين ثلاث مرات يومياً ، على أن أقود مرة واحدة طائرة نقل فوق هذه المرتفعات »

إنها مهمة تحتاج إلى ضرب خاص من الرجال . فعـلى القائد أن يكون بارعاً فى الملاحة ، إذ عليه أن يلتزم الصمت اللاسلكى خلال معظم ساعات الرحلة الثلاث ، وكذلك يسهل أن يضـل مكانه فوق تلك الأرض الوعرة ، ولا سيما بين القمم الشوامخ المكللة بالثلج التى تمتد شرقاً من جبـال الهملايا . وإذا برح الهند مزمعاً الطيران مسـفّاً فوق تلال برما ، فقد تفاجئه عاصفة من رياح « الموسم » فتجبره على الارتفاع إلى ما فوق ١٨٫٠٠٠ قـدم ، حيث يحتمل أن يتراكم الثلج على أجنحته فى لحظات قليلة . ورباطة الجأش فى المقام الأول ، فالهجوم عليك وأنت مسلح بمدفع أمر محتمل ، أما أن تعلم أن طائرة زيرو تتعقبك وأنت أعزل ، ثم أن تحتفظ مع ذلك بسلامة تفكيرك حتى تجد لنفسك مخرجاً ، فأمر يختلف عنـه كل الاختلاف .

ويسمع المرء دائمـاً فى الثكنات ، عن رجال طائرات قفزوا بالمظلات ، وما زالوا يحاولون العثور وسط الأدغال على الطريق منها إلى الهند أو الصين . وقد زاد معدل من ينقذونهم ، ويرجع بعض ذلك إلى ازدياد عـدد الأهالى من قانصى الرؤوس الذين يعلمون أن من يعثر على الطيارين ويعيدهم سالمين يكافأ بالملح والثياب . ثم إن قيادة النقل الجوى نفسها تضم الآن عـدداً من الجماعات أكبر ، لا عمل لها إلا أن تمتطى طائرات من طراز س — ٤٧ ، للتنقيب والبحث عن أى قطعة من ثوب أبيض ترف فى أحد الأودية التى ليس لها عداد ، فيستدل بها على وجود طيار مفقود .

وقد قمت أخـيراً برحلة إلى الصين مع الميجور جنرال هارولد جورج قائد سلاح النقل الجوى ، فى طائرة ذات أربعة محركات من طراز س — ٨٧ ، يقودها اثنان من أقـدر قواد طائرات النقل ، هما اللفتنانت كولونيل كايت والماجور كلوز ، وهما اللذان طارا بويلكى حول العالم . وكان كل شئ على ما يرام — أو هكذا ظننت ، ولكن حين دنونا من قاعدتنا فى الصين ، انعـدم مدى الرؤية ، وأسف الغيم وأطبق حتى كاد

يلامس الأرض . وظللنا نحوّم على ١٨،٠٠٠ قدم ، فى دوائر تتوالى دون نهاية ، ولا نكاد نرى أطراف الأجنحة . وساورنى القلق حين جاوزنا ميعاد الوصول بساعة ونصف ساعة ، وبدأت أحسب ما يكفينى من الوقت حتى أشد المظلة علىّ .

ولم أكن أعلم عندئذ أنا كنا نحمل من الوقود ما يكفينا أن نعود إلى الهند إذا اقتضى الحال ذلك . كان كلوتز يريد العود ، أمّا كايت فقد خامره أن فى وسعه أن يهبط بنا . وعلمنا عندئذ بوجود ٢٢ طائرة أخرى من حولنا « مرصوفة » بعضها فوق بعض وقد احتواها الضباب ، وكل منها تحاول أن تهبط . وأنصت بالسماعات ، فاستطعت أن أسمع ضابطاً على الأرض يناديها بصوت هادئ لكى تدنو إلى الأرض رويداً رويداً . فكان يقول : « حسنا ، فلتهبط الطائرة رقم ٧٥٦ إلى ١٠،٠٠٠ قدم » . ولم يكن يسمح قط بأن تظل طائرتان على ارتفاع واحد ، وكان يوجهها إلى الأرض واحدة بعد واحدة .

وكانت فوقنا طائرة نقل وفى جهازها اللاسلكى خلل ، فكان الطيار قادراً على إرسال الإشارات عاجزاً عن تسلمها . وسمعناه يطلب إرسال طائرة إلى مستواه حتى يستطيع أن يقتفى أثرها فى الضباب ، فلما أرسلت لم يعثر عليها . فقال : « لم يبق من الوقود سوى ما يكفى ٢٠ دقيقة » . ثم قال من بعد : « بقى عشر دقائق على ما أظن » . وكان صوته متزناً . وقال أخيراً : « لعمرى إنه ليحز فى نفسى أن أفقد هذه الطائرة ، ولكنا سنقفز بالمظلات . وإلى الملتقى على الأرض » .

وهبطنا بسلام بعد أكثر من ساعتين قضيناها فى التحويم والتدانى محاذرين ، وعلمت أن الذين قفزوا بالمظلات هبطوا على مسافة ٢٠ ميلاً منا . وقد أتى بهم فى اليوم التالى جنود صينيون فى سيارة نقل إلى المطار . وكانت هذه أول قفزة قفزوها فى حياتهم جميعاً .

فلما كانوا يجتازون أرض المطار رأوا طائرة نقل ليس لها جماعة تقودها ، فساروا إلى حجرة العمليات ، يجرون من خلفهم مظلاتهم القذرة وقالوا : « ماذا ترون فى أن نعود بتلك الطائرة إلى الهند ؟ فثمة فريق من الشباب سيأتى الليلة ليلعب معنا الورق » .

● يستوى عندى أن أحرق وأن لا أحرق جسورى من ورائى ، لأنى لا أتقهقر أبداً .

[لاجورديا محافظ مدينة نيويورك]

دى لى

بول دى كروف

منقذ الوالدات

« يجب أن لا تحدث وفيات من الوضع والنفاس » — هكذا يقول هـذا الرائد المتحمس لعلم الولادة الحديث ، فإنه أبى إلا أن يدفع الموت عن الوالدات .

ظلت الأمومة ، حتى عشرة أعـوام مضت ، أكثر وظائف البشر تعرضاً للأخطار.

ثم كان ذلك العلم الجبار، علم الولادة الآمنة ، فأنقص معدل وفيات الوالدات فى الولايات المتحدة إلى نصف ما كان عليـه ، وخفض عدد الضحايا من الأطفال ، الذين يولدون موتى أو يموتون سراعاً بعد الميلاد .

ومنذ أكثر من خمسين سنة كان يعرف من هـذا العلم جانب كبير ، ولـكن قلما يطبق ، ويعود الفضـــل إلى جوزيف ب . دى لى — أكثر مما يعود إلى أى رجل آخر — فى تحريض الأطبـاء على دراسته ، وعلى النضال فى سبيل الإيمان بأن ليس الموت حتما على الوالدات .

لم يكن « دى لى » يعـترف بأخطائه القاتلة فحسب ، بل كان يكب عليها مفكراً مهموماً ، وظل جيلين يـبـدئ للأطباء ويعيد أن عليه وعليهم تقع التبعة فى ضريبة الموت، التى تدفعها أمريكا كل عام ، فتبلغ ٢٥٠٠٠ من الوالدات وأكثر من ١٥٠،٠٠٠ من المواليد . وكذلك أصبح هذا الرجل الفـارع الأشيب ذو العينين النفاذتين السوداوين ، رقيباً عتيداً على فنّ الولادة فى أمريكا .

كان هـذا الرجل غريب الأطوار ، شديد الغموض حتى على أفراد أسرته ، ومع ذلك فقد فاضت فى قلبه رحمة لا حدّ لها ، يخص بها الوالدات وهن فى محنة المخاض . ولهن وحدهن يمزق أستار عزلته ، فيجدن عنـده المحبة والحنو والعطف بل البشاشـة حتى أحببنه حبا جما .

وقد ربح دى لى وهو يمارس الطب أموالا طائلة ، فقد كان يولد أرقى النساء فى ثلاث قارات . ومع ذلك كان يقتر على نفسه ، كى يؤجج بالمال جذوة غرامه الوحيد : أن يغرس العلم وبغض الموت فى نفوس الأطباء الناشئين .

الغـــزو

ثلاثة من كتاب « ريدرز دايجست » يشاهدون استهلال درامة الغزو العظيمة من المقر الخفى لقيادة أيزنهاور ، العقدة العصبية المركزية لعملية الغزو كلها — من سفينة الأميرال فى الأسطول الذى حقق معجزة الوصول إلى الشاطىء بغير أن يكشف — من الشاطىء الدامى ، كتفاً إلى كتف مع الجنود .

— ١ —

ساعة الفصل

مع أيزنهاور وراء الستار

ألن مكى

محرر « ريدرز دايجست » الطواف
الملحق الآن بقيادة الجنرال أيزنهاور

منذ أربع سنين ، وقبل أن يرحل آخر جندى بريطانى عن شاطىء دنكرك ، اختار تشرشل رئيس الوزارة طائفة صغيرة من الضباط ، وكلفهم مهمة مضنية هى أن يضعوا مشروع العودة إلى القارة . وقد كان هذا يبدو حينئذ ، وإلى زمان طويل بعد ذلك ، مجرد تدريب نظرى ، ولكنه لما عقد مؤتمر الدار البيضاء فى أوائل سنة ١٩٤٣ لم يعد المشروع يبدو خياليا ، وملأت تدابير يوم الغزو أربعة مجلدات ضخام كل واحد منها فى حجم دفتر تليفونات ضخم .

أما المكان الذى يبدأ منه الغزو فتقرر منذ أكثر من عام ، ووافق روزفلت

وتشرشل ، ورؤساء أركان الحرب المجتمعين على القرار فى أغسطس سنة ١٩٤٣ ، بمدينة كويبك .

وتقرر أن يبدأ الغزو بين آخر مايو ومنتصف يونيه سنة ١٩٤٤ ، قبل ثمانية شهور على الأقل ، وفى نوفمبر سنة ١٩٤٣ أبلغ الرئيس روزفلت المارشال ستالين هذا ، وترك اختيار اليوم لأيزنهاور ، فأعرب المارشال ستالين عن ارتياحه التام .

ولما وصل الجنرال أيزنهاور إلى لندن فى يناير سنة ١٩٤٤ راجع بيان الجنود والمعدات التى وعد بها ، ومواعيد وصولها . وبعد أن اطمأن ، اختار للغزو الأسبوع الذى يبدأ فى ٣ يونيه وينتهى فى ١٠ .

وبقى تعيين اليوم ذاته إلى اللحظة الأخيرة .

وقبل يوم الغزو بأربعة أسابيع أو خمسة انتقل ديوان القيادة العليا لقوات الحملة المتحالفة من لندن إلى مقر الميدان ، على مقربة من موانئ الشحن والشاطئ البريطانى الذى ألقيت عليه كتل تستطيع صنادل الإنزال أن تأتى إليها عندما يعلو المد .

وكان مركز أعمال الغزو كلها منزلا عتيقاً كبيراً مرت به أيام أسعد وأرغد ، يقوم فى وسط بستان خاص عظيم الدوح .

وإلى هذا المخبأ الكثيف الرُّبُض تدفقت الأنباء والمعلومات — صور شمسية أخذها ملاحون فدائيون على ساحل نورمندى لخمسة أنواع رئيسية من الألغام والعوائق التى دست تحت الماء للحيلولة دون النزول ، وصور للجسور الحيوية وأفنية السكك الحديدية ، ضربت بالقنابل من الجو حتى عادت ولا خير فيها . وبدأت الهجمات الجوية قبل يوم الغزو بثمانية أسابيع ، فما حل يوم ٦ يناير حتى كان ٨٢ مركزاً للسكك الحديدية وراء جدار الأطلسى قد ضربت ، ومعظم جسور السكة الحديدية والطرق المؤدية إلى شبه جزيرة شربورج قد حطم ، فاضطر الألمان إلى إرسال المؤن والنجدات بطرق طويلة متلوية .

وكانت الخطة الجوية تقضى بأن تلق قنبلتان على غير موضع الغزو — مثل بادى كاليه — مقابل قنبلة واحدة على هدف الغزو الحقيقى ، وذلك للتضليل . وقبل يوم الغزو ببضعة أيام بدأ العمل فى تطهير بحر المانش ، فجاست المدمرات المتحالفة — والطائرات فوقها — ومعها كاسحات الألغام كل ياردة مربعة تقريباً من بحر المانش ، على حين تولت قوات أخرى

إغلاقه من الجانبين . وكانت الغواصات لا تستطيع أن تطفو على السطح مدة كافية فى هذه المنطقة لملء بطارياتها بدون أن ترى ، وطردت زوارق الطربيد الألمانية إلى قواعد بثت الألغام فى مداخلها كل ليلة بواسطة الطائرات ، ليكون من المستحيل عليها أن تخرج فجأة للتعرض لأسطول الغزو . وقامت وحدات ثقيلة من الأسطول الإنجليزى بحراسة مشارف بحر الشمال ، لتعترض طريق السفن الحربية الألمانية الكبيرة . وجاءت تقارير قسم الاستعلامات مؤيدة بالصور الشمسية ، منبئة بوجود مراكز للمدافع الضخمة على الشاطئ لم تظهر قبل ذلك .

وفى اللحظة الأخيرة خان جاويش ألمانى « الفورر » وأرغم بمسدسه طائفة من صيادى السمك الفرنسيين على العبور به إلى إنجلترا ، وقد حمل معه تفاصيل ثمينة عن استحكامات جدار الأطلسى ، وهكذا صار جدار الأطلسى لا يطوى عنا من الأسرار إلا أقل من القليل

وكان البريطانيون منذ زمن طويل قد ناشدوا الذين قاموا برحلات فى القارة أيام السلم ، أن يقدموا ما كانوا قد رسموه من الصور الشمسية ، وقد استخلصت تفاصيل قيمة من آلاف الصور التى وردت — فهذا زقاق ضيق لا يظهر على أية خريطة ، ينتهى إلى ربوة نصب الألمان عليها بطارية من المدافع الثقيلة ، وهذه سكة خلفية تلتوى وراء فندق لسياح ، جعل منها الألمان موقعاً حصيناً ، وهكذا .

ومنذ ٢٩ مارس بدأ الجنود يتحركون إلى مناطق تدنو تدريجاً من موانئ الإبحار ، ثم إلى مناطق الشحن ، وسير نحو ألفى قطار خاص إلى ثغور الشاطئ . وكانت فى حجرة المراقبة الكبيرة خريطة مضاءة تبين سير كل قافلة على الطرق إلى الموانى . وفى أثناء ذلك كان الجنود يتدربون بذخيرة حقيقية فى مناطق كبيرة فى بريطانيا أجلى عنها المدنيون ، ووضعت صور طبق الأصل من عوائق النزول التى أعدها روميل ، وتدربت الفرق على إزالتها أو تعطيلها .

وكان من ثمرات تجربة دييب أن أعدت صنادل خاصة للنزول ، وجهزت ببطاريات سهم نارية لمحو العوائق الساحلية ، وجهزت عشرات الألوف من السيارات بوسائل الوقاية من الماء للنزول على الشاطئ ، وجعلت لها أنابيب مرنة ، ومداخن من الصلب

ذاهبة فى الهواء فوق الآلات ، لامتصاص الهواء اللازم للمحركات حين تخوض الماء الذى يبلغ عنق السائق .

وواصل العمل نحو ٢٨٠ مصنعاً بريطانيا ليلا ونهاراً ، وأفرد إنتاج بريطانيا كله من الصلب لهذه المهمة الكبرى . واستغرقت المهمة المعقدة الخاصة بتنظيم شحن سفن الغزو عامين من العمل الإخصائى .

وقد غصت مخازن الذخيرة التى لا آخر لها والتى بنيت على الطرق الإنجليزية الساكنة ، بأكثر مما استخدم فى الحرب العالمية الأولى كلها . ووقفت الدبابات متلاصقة ، والطيارات متلامسة الأجنحة ، وقوافل طولها عدة أميال من سيارات النقل وآلات تمهيد الأرض والسيارات البرية المائية والمدافع الآلية ، فى الحقول وعلى جوانب الطرق ، حتى راح البريطانيون يتعجبون ويتساءلون : هل تحتمل جزيرتهم الصغيرة كل هذه الأثقال .

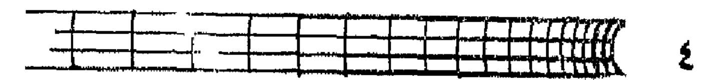
وقبل يوم الغزو بثلاثين يوماً تم التدريب الأخير على الغزو فى أوسع نطاق ، وقال المكدودون من الأمريكيين والإنجليز الذين اشتركوا فى ستة من هذه التداريب : إنهم حين يدعون مرة أخرى ، يؤثرون أن يذهبوا إلى القتال مباشرة . وقال مثل هذا بحارة صنادل الإنزال الذين خرجوا إلى البحر مراراً لمخادعة العدو وتضليله . وقد نالوا جميعاً ما تمنوا .

وقبل يوم الغزو بسبعة ايام ، وكان قد اختير له يوم الاثنين ٥ يونيه ، بدأ الشحن النهائى.

وكان كل يوم ينقضى يزيد التوتر فى ديوان القيادة العليا لقوات الحملة المتحالفة ، ولكن الجو كان جو سكينة فى المقر الشخصى للقواد ، وترك « مونتى » لمرءوسيه الأعمال التفصيلية التى يمقتها ، وعكف على مؤلفات أنطونى ترولوب ، وهو آثر كاتب عنده .

وأبى أيزنهاور أن ينتقل إلى البيت الكبير ، وضرب لنفسه خيمة فى الغابة ، وهو ينام فيما يسميه «مركبة الميدان» — وهى مقامة على حوامل سيارة من سيارات الجيش — وقد اقتبس الفكرة من «مونتى» ، وهى عبارة عن غرفة مفردة بعثرت فيها قصص الغرب والروايات البسيكولوجية .

وفى عصر يوم الجمعة ، الثانى من يونيه ، أقبل المستر تشرشل رئيس الوزارة والفيلد مارشال سمطس ، على معسكر أيزنهاور ، بعد أن طافا بالشاطىء ليراقبا أعمال الشحن . وراح الثلاثة يتحدثون ساعة ، وقال تشرشل إنه يود أن يرافق قوات الهجوم فى يوم الغزو .



فلم يعر الجنرال أيزنهاور قول رئيس الوزارة عناية جدية لظنه أنه يمزح ، ولكن المستر تشرشل كرّ إلى الموضوع ، فقال له أيزنهاور أخيراً بصراحة إنه لا يمكن أن يذهب ، وذكّر المستر تشرشل بأنه إذا قتل فإن الأمور تضطرب ، والعمل الحربى كله يتعرض للخطر ، واستطرد أيزنهاور فقال : « وفضلا عن ذلك فإن السفينة الحربية التى تركبها تحتاج إلى حماية أكبر مما نستطيع أن نمنحها » .

وإنه لفى هذا ، وإذا بقصر بكنجهام يطلبه تليفونيا، وكان المتكلم هو الملك ، وكان قد وقف على غرض رئيس الوزارة من زيارته لأيزنهاور .

وقال الملك : « لا يجوز للمستر تشرشل فى أى حال من الأحوال أن يفكر فى الذهاب إلى فرنسا يوم الغزو » .

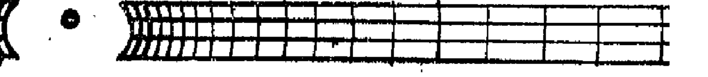
فوافق المستر تشرشل وهو مكتئب .

وفى مساء السبت الثالث من يونيه عقد الجنرال أيزنهاور أول مؤتمر من أربعة لتعيين يوم الغزو وساعته ، وكان المجتمعون معه « مونتى » فى هندام أنيق للمرة الأولى ، وهو بذلة عسكرية جديدة تلقاها من الولايات المتحدة ، والإيرتشيف مارشال السير آرثر تيدر الساكن الرقيق الكلام والنائب الألمعى للقائد العام للحلفاء ، والأميرال السير برترام رامزى الذى ألهمته بديهته المتوقدة أن يرتجل التدبير الذى أنقذ الجنود من دنكرك .

وكان آخر من وصل الإيرتشيف مارشال السير ترافورد لى مالورى قائد القوات الجوية للحملة المتحالفة ، وقد جاء من لندن فى طيارته الخاصة .

وكان الجو فى الخارج يبدو فى هذا الضوء الخافت حسناً ، ولكن الخبراء من رجال القيادة العليا كانوا يعلمون من التقارير أن الجو غير مشجع . وكان هناك ثلاثة من هؤلاء الخبراء ، ضابطان بريطانيان وكولونيل من السلاح الجوى الأمريكى ، وقد قضوا أسابيع وهم يصدرون تكهنات وخرائط للحالة الجوية كل ساعة تقريباً . والآن جاء تقديرهم مثبطاً، وقالوا إن الجو فوق البحر وفرنسا سيزداد سوءاً باطراد ، وتسف السحب فلا يتيسر النشاط الجوى ، وستكون الرياح عالية والأمواج مضطربة فتعرقل الإنزال .

وتأجل القرار النهائى إلى منتصف الساعة الخامسة من صباح اليوم التالى (السبت



٤ يونيه) وتفرق القواد ليناموا بضع ساعات . فلما اجتمعوا صباح السبت أيد خبراء الجو تكهناتهم السابقة ، فتقرر إرجاء الغزو ٢٤ ساعة على الأقل ، فإذا ظل الجو سيئاً فقد يؤجل كل شيء أسابيع حتى يعود البحر والقمر عوناً على النزول ، فليس ثم سوى يوم واحد يصلح لهذا العمل ، إذ يجب أن يكون القمر بدراً ، وذلك لتمكين الجنود الذين تحملهم الطائرات من العمل بنجاح ، ولإتاحة الفرصة للطائرات المقاتلة وللمدافع المضادة للطائرات لطرد الطائرات الألمانية ، وليتعذر العمل على زوارق الطربيد الألمانية القوية الفعل ، لأنها تتقي النور وتخشاه . ويجب أن يكون هناك جزر قبل الفجر بثلاث ساعات ، لتظهر العوائق المدسوسة تحت الماء فتدمر ، ويصلح الساحل للنزول .

وفى مساء الأحد ٤ يونيه زار المستر تشرشل والمارشال سمطس الجنرال أيزنهاور ، وانضم إليهما بعد قليل الجنرال دى جول ، وظلوا وقتاً طويلا يبحثون وجوه القرار الخطير الذى كان من حق أيزنهاور وحده أن يتخذه . ثم انصرفوا . وفى الساعة التاسعة عقد أيزنهاور اجتماعاً آخر من أركان الحرب فى ديوان القيادة ، ودعى خبراء الجو واحداً واحداً ، فجاءت تقاريرهم الفردية متفقة وأبعث على الارتياح ، وقالوا إن الأمل كبير فى أن يطرد تحسن الجو فوق البحر وفرنسا فى الثمانى والأربعين ساعة التالية .

ووزن القواد وأركان حربهم الأمر الذى هم مقدمون عليه ، وبعد ٤٥ دقيقة اتفقوا على أن الغزو واقع لا محالة ، ولكنهم قرروا أن يعقدوا مؤتمراً أخيراً فى الساعة ٤٫٣٠ من صباح الاثنين ٥ يونيه ، ليقولوا كلمتهم الأخيرة .

وارتد الجنرال أيزنهاور إلى مركبته ونام بضع ساعات ، وفى الساعة الرابعة عاد إلى ديوان القيادة ، فجلس حول المائدة تيدر ، ومونتجمرى ، ولى مالورى ، والأميرال رامزى ، وأركان حربهم ، ودعى أول خبير جوى ، فأصر على تكهنه السابق ، وقال إن الجو الحسن منتظر ، وقد لا يجىء إلا بعد يوم أو يومين ، ولكنه من ناحية أخرى قد يجىء فى خلال اثنتى عشرة ساعة . ووافق الخبيران الآخران — كل على حدة .

ولخص الجنرال أيزنهاور الموقف لقواده : فكل شيء مهيأ ، فإذا طال الإرجاء فلا بد أن تعرف طائرات الاستكشاف الألمانية مدى حشد السفن وصنادل الإنزال



المتجمعة على مقربة من الموانى . وقد أجرت قوة الهجوم الأمريكية وقوة المهمات البحرية التابعة للولايات المتحدة ، وكلما طال بقاؤها فى البحر ، ازدادت الصعوبة فى حراسة قوافل الصنادل ، وإذا بقينا بضعة أيام أخرى عرضة لمراقبة الألمان ، فإن الغزو خليق أن يفقد ميزة المفاجأة .

واعترف الجنرال أيزنهاور بأن الاعتماد على الجو مقامرة ، ولكن عليه وعلى القواد أن يقدموا أو ينكصوا ، وهم جميعاً يعرفون مؤدى النكوص — التأخير عدة أسابيع على الأرجح ، والقيام بعملية الشحن المعقدة مرة أخرى ، والأثر السيء فى نفوس الجنود .

والتفت أيزنهاور إلى الأميرال رامزى وسأله : « ما رأيك ؟ » .

فقال رامزى : أود أن أسمع رأى « نسر الجو » .

فتكلم مارشال الجو بتؤدة ولكنه لم يدع شكا فى أن « نسر الجو » مستعد أن يغامر على ما يتوقعه خبراء الجو .

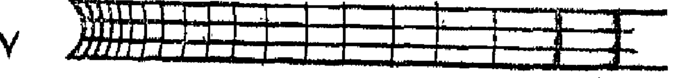
فقال الأميرال رامزى متكلفاً لهجة التحدى: « حسن إذن ! إذا كان نسر الجو يرى يستطيع العمل ، فإن الأسطول يستطيعه على التحقيق » .

فابتسم الجنرال أيزنهاور ، ولكنها كانت ابتسامة قصيرة العمر ، فهذه هى اللحظة التى جاهدت شعوب الأمم المتحدة وكدّت وتصببت عرقاً من أجلها . ونظر إلى قواده ، وفى وجهه من أمارات الجد ما لم يُر فيه من قبل ، ولا ينتظر أن يرى مرة أخرى ، وقال بهدوء : « حسن ! فلنبدأ » .

ونهض الجالسون بسرعة وخرجوا على عجل من الحجرة ليديروا الآلة ، فصاح بهم : « حظ سعيد » .

وكان هو آخر من خرج ، وكان يمشى مشياً وئيداً ، وقال الذين رأوه إن كل نجم من النجوم الثمانية على كتفيه كان كأنما يزن طناً . وركب سيارته وأسرع إلى مركبته ، ودخل دون أن يوقظ مرافقيه .

فأما وقد تحركت الآلة فإن القائد الأعلى صار أقل الجميع فائدة وغناء ، وكان الجنرال



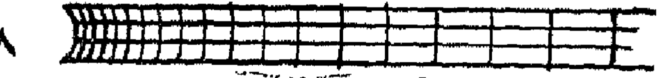
أيزنهاور لا يجد له عملا طول النهار قبل يوم الغزو سوى زيارة الجنود . وفى الصباح استقل سيارة ومضى إلى ثغر قريب ، وتحدث إلى جنود بريطانيين يركبون صندلهم . وفى المساء قصد إلى المطارات حيث كانت الفرقة الأمريكية الـ ١٠١ المحمولة بالطائرات تستعد فى طائرات النقل والطائرات السابحة (الشراعية) السوداء .

وبينما كان يطوف بسيارته « الكاديلاك » بمطار بعد مطار ، كان الجنود يدهنون وجوههم بالكاكاو وزيت بذر الكتان ، فجعل يتنقل من جماعة إلى جماعة ويمازحهم ، ليخفف من توتر أعصابهم وأعصابه .

ولما دخل الجنود فى طائراتهم السود ، تمنى لهم الجنرال « حظا سعيداً » ، وكان بادى التأثر ، فإن إلقاء عدة فرق تحملها الطائرات ، وإنزال قوات بالمظلات ، على مسافة أميال عديدة وراء جدار الأطلسى قبل ساعة الهجوم على الشاطئ بوقت طويل ، مخاطرة عظيمة . وقد أشار كثيرون من أركان حربه البريطانيين والأمريكيين بالعدول عن ذلك ، لأنه إذا لم تتوطد أقدام الغزاة على الشاطئ ، فإن عدة فرق من أحسن الجنود تدريباً تفقد ، ولكن القائد خاطر ، وكان يعلم أنه بهذه المخاطرة يلقى بكثيرين منهم فى الهلاك . وكانوا هم أيضاً يعرفون ذلك .

وجاءت أول إشارة تليفونية فى يوم الغزو ٦ يونيه إلى مكتب أيزنهاور فى الساعة السابعة صباحاً ، فرد عليها الكومندر هرى بوتشر صديق أيزنهاور ومرافقه البحرى ، وكان المتكلم لى مالورى ، فقال : إن الجنود المحمولين بالطائرات والهابطين بالمظلات نزلوا بنجاح مدهش ، وإن الهجوم الأول على الشاطئ كان موفقاً . فقصد بوتشر إلى « مركبة الميدان » وهو يتوقع أن يجد أيزنهاور نائماً ، فألفاه راقداً وبين يديه قصة من قصص الغرب يقرؤها . فأبلغه الخبر فقال أيزنهاور : « ما أعظم سرورى ! » .

وقال الأميرال رامزى إن مهمة الأسطول كانت ناجحة ١٠٠ ٪ وبخسائر ضئيلة ، والواقع أن النزول كان مفاجأة تامة للألمان ، فقد مكر بهم رامزى وخدعهم بأن أرسل قافلة صعدت فى بحر المانش ليلة الغزو ، فسدد الألمان مدافعهم الساحلية كلها على قافلة التضليل المسكينة ، ثم أمسكوا طول الليل ، على حين كان أسطول الغزو الحقيقى يسير فى سلام وأمان إلى غايته .



وجلس الجنرال أيزنهاور يفطر فى صباح ذلك اليوم وهو سعيد مغتبط للمرة الأولى فى عدة شهور ، وحدث بوتشر عن الأيام الأولى لحملات أخرى تولاها — فى أفريقية الشماليـة ، وقد أدارها من جبل طارق ، وبنتلاريا وصقلية ، وقـد أدارهما من مالطة وسالرنو . وقال : إذا قورن غزو فرنسا بهذه فإنه أهدؤها جميعاً .

وبقى الجو أشد ما يقلقه ، وحتى قبـل أن يناديه بوتشر ، خرج من مركبته وجعل يرقب السماء ويتأملها من خلال الأشجار ، ولم يرتح إلا بعـد أن بدأت الشمس تبزغ أحياناً من خلال السحب .

وفى ديوان القيادة ، مرت بالقوم لحظة رهيبة فى ذلك الصباح ، حين وردت أول إشـارة من الشاطئ . فحملوها إلى رؤساء أركان الحرب ، ففتحوا الرسـالة فقرأوا أن أول فوج فى الهجوم غرق ، فامتقعت الوجوه ، فطلب أحـدهم بسرعة أن تكرر الرسالة ، وانتظر القوم دقيقة أو اثنتين . فجاء النص مرة أخرى فإذا هنـاك خطأ ، وإذا الصواب أن الفوج الأول نزل .

وبعد ٤٨ ساعة توطد « رأس الحربة » فى فرنسا ، دون أن تنزل بالغزاة الخسارة المرعبة التى توقعها المتشائمون .

وبعد أسبوع من بداية الغزو احتلت الجيوش المتحالفة أكثر من ٥٠٠ ميل مربع من أرض أوربا . وستضيع أرواح كثيرين من خيرة جنـودنا وأشجعهم ولـكن رأس الجسر رسخ فى فرنسا .

فالذى عجز فيليب ملك أسبانيا عنه ، والذى حاوله نابليون وأخفق فيه ، والذى لم يؤته هتـلر قط الشجاعة اللازمة لمحاولته ، اجترأت عليه جيوش الحلفـاء تحت إمرة الجنرال أيزنهاور وأنجزته .



— ٢ —

الأسطول يعمل

عبور المانش على سفينة الأميرال

فردريك سوندرن

محرر ريدرز دايجست الطواف الذى
شهد الغزو من سفينة الأميرال كيرك

هو يوم الغزو — وساعته تقريباً — وعلى بضعة أميال إلى الأمام على شاطىء فرنسا الواطىء ، قريباً من شربورج ، كانت منارة تطرف فى سلام . ودق تلغراف برج القيادة ، وكفت الآلات عن النبضان ، وهوت السلاسل مصلصلة ، وأطلقت صفاراتنا إشارة ، فوقفت حولنا أشباح عشرات من السفن الأخرى ، وكان كل شىء هادئاً فى ضوء القمر — بل كان أهدأ مما ينبغى أن يكون فى رأيى ونحن ننتظر أول طلقة تتحدانا من المدافع الألمانية على الساحل .

وكاد القوم لا يصدقون ذلك فى سفينة القيادة ، وحوّل الضابط الملاح وجهه عن خريطة كبيرة على الحائط وضم طرفى برجله بقوة وقال : « وصلنا والله ! » وحك ضابط المخابرات رأسه وقال : « ولا أثر لهم ولا رائحة على طول طريق العبور . ولو كانوا يعرفون أننا هنا لكانوا قد فتحوا علينا أفواه مدافعهم » . وتبسم رئيس أركان الحرب وقال : « لعلهم متريثون ليفاجئونا بعد أن يتبينونا ! فما يمكن أن يكون حظنا حسناً إلى هذا الحد » . ولكنه كان مخطئاً ، فقد ظلت بطاريات المدافع الساحلية الضخمة صامتة ، وبينما كانت الدقائق المتلفة للأعصاب تمر ، اتخذت البوارج والنقالات وصنادل الإنزال مراكزها التى عينت لها من قبل ، دون أن يتعرض لها أحد .

وكنا إحدى قوتين للغزو — واحدة أمريكية تحت قيادة الرير أميرال ألن كيرك من أسطول الولايات المتحدة ، والأخرى بريطانية تحت إمرة الأميرال السيرفيليب فيان من الأسطول البريطانى ، وكانت خمسة آلاف سفينة تجتاز بحر المانش ، وقد جمعت من عشرات

عديدة من الموانىء ورسمت لها مسالكها وفق برنامج دقيق بعد أن طهرتها كاسحات الألغام ووضعت على جوانبها العلامات قبل الإبحار بعدة ساعات . وكان قائدا القوتين على اتصال فيما بينهما ، وبالقيادة العليا على البر ، بأدق وأعقد نظام اتصال عسكرى ابتكر إلى الآن .

وكان الوقت حوالى منتصف الساعة الثانية من صباح ٦ يونيه حين صاح ضابط فى غرفة المخابرات : « مئتا طائرة آتية » ، فسأله ضابط شاب بصوت عال : « معادية ؟ » . فقال الكومندار : « كلا . أحسبها من حاملات الجنود » .

وكانت كذلك . واحدة . . . أخرى . . . وثالثة . . . ثم عشرات فى إثر عشرات من طائرات النقل الكبيرة تمر فوق رءوسنا وهى تجلجل . وبدأت المدافع الألمانية فى شبه الجزيرة تقرقع ، والأنوار الكشافة تطعن كبد السماء .

وبعد دقائق قليلة شرعت الفرق المحمولة بالطائرات تهبط ، وسبقها إلى الهبوط جنود المظلات ليطهروا الأرض وينزعوا العمد وغيرها من العوائق التى أقامها الألمان بالسابحات (الطائرات الشراعية) ، فقد تنبهوا إلى هذا بفضل الدعاية المهملة . وعمل جنود المظلات بسرعة بالقنابل اليدوية ، وآلات كشف الألغام ، ولكن رجال السابحات أصيبوا بخسارة مع ذلك .

وكان الفدائيون من الإنجليز والأمريكيين يعملون أيضاً على الشاطىء ويفاجئون بطاريات الساحل ، ويخربون مراكز المواصلات . وكانت بطارية من أقوى بطاريات الدفاع الساحلى مخبأة فى حصن ضخم من السمنت المسلح لا تكاد تؤثر فيه قذائف الطائرات أو المدافع ، وكانت أبوابه كتلا كثيفة من الصلب ، فسرق اثنان من الفدائيين سيارة ألمانية من سيارات أركان الحرب ، وأقبلا على الحراس يصيحان بأعلى صوت بالألمانية: « بدأ الغزو » وأفزعاهم ففتحوا الأبواب فقذفا قنابلهما ، وتعذر بعد ذلك إغلاق الأبواب ، وما هى إلا دقائق حتى خر صريعاً آخر رجل من رجال الحامية الألمانية تحت وابل من مدافع تومى التى كان يحملها الفدائيان .

وأخيراً ، فى الساعة الثالثة صباحاً انقطع السكون ، فقد أقبلت طائرات السلاح الجوى البريطانى ترتاد ، ومرت فوق رءوسنا تزأر ، وهبطت ثريات عظيمة حمراء وخضراء على الساحل ، ثم انفتحت أبواب الجحيم ، واستطارت شعل من النار يخالطها

رمل من قنابل القاذفات التى جاءت فى إثر الطائرات المرشدة ، وأطلقت المدافع الألمانية قذائفها من كل ناحية ، فرسمت أقواساً عجيبة من الشهب فى السماء ، وكانت رمايتها دقيقة محكمة ، فكانت تصيب من حين إلى حين طائرة فتهوى وهى مشتعلة كالنيزك ، حتى إذا ضربت الأرض صارت شواظاً متوثباً من النار .

وكانت زوارق النزول من حولنا تتجمع على شكل دائرة استعداداً لنقل الجنود من السفن إلى الشاطئ ، وكان المرء لا ينفك يسمع دعوة كهذه مرسلة من مضخات الصوت : « على جماعة الزوارق رقم ٥ أن تصطف فى المركز رقم ٣ » .

وكان الموج عالياً وزوارق الإنزال تعلو وتهبط حولنا كأنها سدادات القوارير ، وكان الجنود وهم يهبطون مستعينين بالشباك يكابدون عناء شديداً .

وفى الساعة ٥٫٤٠ — كأنما كان ذلك بضغطة زر — بدأت السفن الحربية تجلجل ، فاصطكت أسناننا ، إذ تتابعت الومضات والقذائف من كل حجم منطلقة من مدافع البوارج والطرادات والمدمرات على الشاطىء ، وقد كانت حولنا ثمانون سفينة حربية ، فيها ستمائة مدفع ، قذفت منطقة الهجوم بألفى طن من القنابل فى عشر دقائق .

وكانت قذائف الطائرات وقنابل المدافع سياجاً من النار دبّر بأكبر عناية ، ونسق بأعظم إحكام فى هذه الحرب ، فقد كانت المراكز الألمانية ومواقع البطاريات معلمة على الخريطة فى حجرة العمليات ، حيث كان يسجل هجوم كل سرب من القاذفات ، وطلقات المدافع من كل سفينة . وقد جعل ترتيب ضرب الأهداف بحسب حجمها ، ومداها ، وقدرتها على عرقلة أعمالنا .

وجعلت طائرات الاستكشاف والإرشاد الصغيرة البطيئة تحلق على مهل فوق أهداف المنطقة ، ويتخاطب المراقبون فيها مع الضباط الموكلين بالضرب من السفن ، مباشرة ، ويصححون لهم مدى الرماية تبعاً لما يرون ، وكان الضرب بديعاً ، وعلى فترات منتظمة ، وكان القائد فى غرفة المخابرات يضع علامة على الدوائر الحمر على الخريطة معناها « دمرت » .

وخلف هذا الستار من النار اصطفت زوارق الإنزال الموقرة أفواجاً للكر على الشاطىء ، وتقدمتها كشافات بحرية لتدلها على المواقع المعينة للهجوم وحدودها على وجه

الدقة . وهو عمل ليس بالهين — إذا اعتبرنا التراب والدخان اللذين أثارتهما القنابل التي محت أثر كل شيء — في وجه طلقات المدافع الرشاشة ومدافع المورتر ، وقاد الكشافون رجال التدمير التابعين لكتيبة الساحل البحرية ، لينسفوا بالقنابل والطرابيد المنشآت الدفاعية والأسلاك الشائكة والألغام ، ويشقوا طريقاً للجنود .

وتلت هؤلاء بمثل دقة الساعة ، زوارق الجنود والسفن الناقلة للدبابات وهى تطلق نارها من فوقها ، وكانت زوارق أخرى خلفها تطلق من فوق رؤوسها قذائفها لتفجر الألغام على الشاطىء وتمزق الأسلاك الشائكة ، ودنت زوارق الشهب الصغيرة السريعة ، وزوارق الطربيد ، والمدمرات ، من الشاطىء ، وقذفت بطلقة أخيرة من نار محطمة ، ثم أمسكت ، بمثل دقة الساعة أيضاً ، واندفعت زوارق الإنزال إلى الشاطىء ، وغرزت مقدمتها فى الرمل ، وطرحت الألواح ، فخرج صف بعد صف من الجنود المنحنين ، وهم يطلقون النار ، ومن الدبابات المزمجرة .

تلك كانت ساعة الهجوم وقد بدأ الغزو .

وكانت المفاجأة تامة ، إذا اعتبرنا كل شيء ، وقد تكرر ما شهدته على الرقع الأخرى من الشاطىء ، وحقق الأسطولان الأمريكي والبريطانى ما وعد به الأميرال رامزى الجنرال أيزنهارو حين قال : « سننزلكم هناك فى حيث تريدون » .

— ٣ —

مشاهد على الشاطىء

أيرا ولفرت

المراسل الحربى ، مؤلف « معركة جزر سليمان »
ومكاتب « اتحاد صحف أمريكا الشمالية »

كان أول ما رأينا من فرنسا ، ونحن على سفينة أمريكية لنقل الجنود تابعة لحراسة السواحل ، عبرت بنا بحر المانش ، هو ما أضاءته لنا قنابل المدافع المضادة للطائرات فوق نورمندى . وكانت الساعة قد جاوزت الأولى صباحاً بدقائق قليلة ، وجنود المظلات قد شرعوا يهبطون ، وطائراتهم تقذف بوابل من القنابل المضطرمة . وهوت طائرة ثم

أخرى ثم ثالثة ، على مرأى منا فى السفينة ، على حين وقف رجالنا صامتين فى الظلام ، وعلى وجوههم سهوم وفى قلوبهم كمد .

ورست سفينة النقل على مسافة ١١ ميلا من الشاطئ . وعند الفجر ، بعد أن ضرب الشاطئ ضرباً شديداً من البحر والجو ، انتقلنا إلى زوارق صغيرة للنزول . وكانت تلقى من سفينة النقل مسافة خمس أقدام أو عشر فى الهواء فتهبط فى العواطب المطمئنة بين الأمواج ، وكان القفز من السلم الزلق إلى الباب الأملس يحتاج إلى توقيت محكم .

وكان المنظر واحداً — من الأمام ومن الخلف ، وإلى اليمين والشمال ، وإلى أبعد ما يمتد البصر — حشد متراكم من السفن تنتظر فى صبر وأناة أن تفرغ حمولتها ، وكل منها موسوقة موقرة بالرجال والمعدات ، وكان الماء بينها مغطى بالزوارق التى تروح وتجئ ، أو تتدلى من جوانب السفن الكبار كأنها الزينة المعدنية التى تتدلى من طوق الدف .

ومضينا تحت سماء غاصة بالطائرات طبقة فوق طبقة ، ومررنا بالسفن الحربية وهى تضرب العدو ، ورأينا قنابل العدو تسقط فى الماء دون السفن ، وكانت الجحيم مضطرمة على الشاطئ ، والدخان يتصاعد كثيفاً ، وانفجار القنابل يعمى الأبصار .

ثم مدت الحرب كفا هائلة وأهوت على ما أمامنا بالموت ، فحدث انفجار عظيم ، وثار الدخان الأسود والماء الأبيض من موضع الانفجار ، حيث أصيبت كاسحة ألغام فاضطربت وتدفق منها الزيت كأنما قطع شريان ، ثم اعتدلت وسكنت وخرج منها مثل فقاقيع الغاز على نحو ما يحدث حين تموت السفن !

وانتظرنا لننشل الناجين ، وذهبنا أولا إلى من قذف بهم الانفجار بعيداً ، وكانوا كلهم موتى ، فصاح الملازم جون تريبسون : « دعوا الموتى وخذوا الأحياء أولا » .

ثم ارتفعت حولنا أصوات كانت فى أسماعنا خافتة صبيانية فى عالم الموج الزاخر : « النجدة ! النجدة ! » وسكت أذننا صيحة شجية : « أدركونى من فضلكم ! » .

فانتشل جون تريبسون ستة من الماء ، اثنان منهم لم يصبهم أذى ، وكان يأخذ الأحياء ويترك القتلى كأنهم الحطام فى البحر الذاهل . وكان أحد الناجين عاريا ، وقد طار عنه كل ما كان يرتدى حتى الحذاءان والجوربان ، وكان بدنه كله مخططاً كأنما كان قد ضرب بسوط ذى تسع شعب .

وكان الألمان قد بثوا الألغام فى كل شبر من الأرض ، وبعد ٢٤ ساعة استطاع جالنا أن يطهروا طرقاً ضيقة ، وجرح منهم ١٧ وقتل واحد .

وكانوا يمشون ، وينامون ، ويأكلون ، ويعيشون ، ويعملون على هذه الطرق . وكانوا إذا مشوا يقدرون لأرجلهم مواضعها قبل الخطو ، وإذا انطرحوا على الطريق ليناموا وضعوا إلى جوانبهم حجارة غليظة حتى لايتقلبوا .

ونزلنا إلى الشاطىء عند العصر ، وكان الهواء ساكناً والدخان يرتفع كالعمد فى حيثما يدير المرء عينه ، ويبقى معلقاً فى الهواء ، وكان الدخان ينبعث من الطائرات التى أسقطت،ومن الألغام التى فجرها الباحثون عنها ، ومن المدافع الأمريكية والقنابل الألمانية ، وبدت « نورمندى » كأنها تحترق .

وكان الجنود لاينفكون يجيئون من البحر،ولا يكادون ينزلون حتى يشرعوا فى العمل — فيحفرون ، ويضربون بالمطارق ، ويمهدون الطريق ، ويشحنون السيارات ، ويرسمون ، ويصدرون الأوامر، ويدرسون الأرض، ويطلقون النار، ويُطلق مثلها عليهم.

وكان الأسرى من الألمان يفدون من وراء الشاطىء على جانب من الطريق على حين يذهب مشاة الهجوم منا على الجانب الآخر ، ويظلون سائرين حتى تطلق عليهم النار فيبحثون عن مصدرها ، فإذا كانت قوتهم تكفى لحل المسألة — كما يقول الرجال العسكريون — حلوها ، وإلا تريثوا وطلبوا المدد اللازم من الجو أو النجدة البرية .

وكان أول من رأيت من الفرنسيين أسرة من فلاحى نورمندى — وهم طوال وعيونهم زرق ووجوههم حمر ، وفيهم قوة ومتانة . وقد ترك الجنود الأمريكيون ، وهم ذاهبون إلى الجبهة آثارهم على موائد الطعام — اللبان والحلواء الجافة ، وبعض السجاير . وقد تحدثت مع هؤلاء الفرنسيين عن ضرب الساحل بالقنابل ، وسألتهم كيف تسنى لهم أن يحيوا تحت هذا الوابل .

فقالوا : « مشيئة الله ! ولكن الألمان ! لقد كانوا شراً من هذا الضرب » .

ولما عدت إلى الشاطىء كان أسرى آخرون من الألمان يأتون وينتظرون أن ينقلوا إلى إنجلترا ، وكان البحر ممتداً أمامهم وقد تغطى سطحه بالسفن ، فرفع ضابط ألمانى

يده ، وهو ينظر إلى هذا الحشد الهائل من السفن ، ثم تركها تهوى إلى جانبه كاليائس ، كأنما يريد أن يقول : « كيف يمكن أن ننتصر على هذا ؟ » .

وبينما كنا نعود أدراجنا إلى إنجلترا ونجتاز البحر فى الظلام ، وصف لى الجرحى الذين حادثتهم ما لقوا فى يومهم فقال لى يوزباشى من رجال المظلات : « لما بلغت الأرض انكسرت رجلى . ولقد قضيت سنتين فى التدريب ، وبعد أربع ثوان من شروعى فى العمل ، أخرج من الميدان ! فقد سقطت وانقلبت فى حفرة ، وراح الألمان يسددون إلىّ نارهم ولكنهم لم يصيبونى ، فبقيت أنتظر فى الحفرة ، وحدثت نفسى أن جملة ما ساهمت به فى مجهود الحرب هو أنى أعفيت رجلا من عناء دفنى ، بأن وجدت لى قبراً . وأقبل ألمانى ، فتساءلت : ترى ما هو اللفظ الألمانى الذى يؤدى معنى الاستسلام ؟ ثم ثارت نفسى على هذا الخاطر وقلت : إنى لا بد أن أقتل على الأقل واحداً فى هذه الحرب . وهكذا قتلت ذلك الألمانى . فقد انتظرت حتى دنا ثم سددت إليه بندقيتى ، ثم أغمى على ، ولكنى قتلت واحداً . فلم يضع تدريبى كله هباء » .

وقال ضابط بحرى : « لقد نسفت المؤخرة كلها ، ومن غريب ما حدث أن فتى قذف به إلى أعلى من رأس الدوقل ، وقد رأيته وهو فى الجو وذراعاه تضطربان وساقاه تضربان ، وعرفت وجهه وهو فى الهواء . وقد التقط هذا الفتى فيما بعد ، وكان كل ما أصابه هو أن رجله انكسرت » .

وقد قال قائد طائرة سابحة أسقطت وراء الخطوط الألمانية : « مشيت طول الليل ، وقصدت إلى حيث كانت المدافع تطلق ، ولقيت فرنسيا فأعطيته جرايتى ، وأعطانى نبيذاً . ولشد ما سكرت ! لقد سرت مخترقاً الخطوط الألمانية كلها ، وخطوطنا أيضاً — وأنا سكران أغنى » .

ولا سبيل إلى تدوين كل الحوادث التى تقع فى يوم هجوم على ساحل ، ولا فى ساعة واحدة من ساعات الهجوم . فإن هناك مئات آلاف من الجنود على الساحل وحوله ، فلو أن كل واحد دوّن ما وقع له من الحوادث العنيفة المزعجة ، لجاءت مختلفة من مئات الآلاف من الوجوه .

انحدر دى لى من أسرة فقيرة ، وكان أبوه بائعاً جوالا ، ولكن الأسرة كلها — وكان له عشرة إخوة وأخوات — كانت كأنما ترى أنه من الخالدين . فأدخلته كلية شيكاجو الطبية ، حيث أصبح طالباً ممتازاً ، يجلس فى الصف الأول أثناء المحاضرات ، منهوماً بالعلم ، مزدرياً مزاح الطلبة الثقيل .

وقد كان دى لى ، حتى قبل أن يتخرج فى الكلية سنة ١٨٩١ ، يشعر بالخزى من مأساة حمى النفاس التى كانت تقضى على أكثر من ١٠٫٠٠٠ أم كل عام . وكان يتلقى عن أستاذه و . و . جاجارد أن الموت يدب إلى أولئك النسوة آتياً من الخارج ، وأنه عدوى ينقلها إليهن شخص ما هو اللوم المسئول . وكان يغيظ دى لى أن هذا كله كلام يقال ، وأن الطلبة لا يكادون يحصلون على إجازة الطب حتى يمارسوا توليد الحوامل ، وما رأوا من قبل أمّا فى المخاض . فكيف يتهيأ لهم كفاح حمى النفاس ؟

ولما كان دى لى طبيباً مقيما فى مستشفى كوك الإقليمى بشيكاجو ، اكتوى بالنار التى اندلعت وباء مستطيراً من حمى النفاس فى غرف الولادة التى كانت يومئذ قذرة غاصة بالنزلاء . وفى تلك الأيام كان « صفوة » الأطباء يعزفون عن التوليد ، على حين كان أكثر من يتولاه جهلة مهملين . فأخذ دى لى يتساءل : « ترى لماذا تلقى الأمومة مثل هذا الاحتقار ، وهى تسلّ من أرواح البشر أكثر مما يفعل السرطان » .

وكان على دى لى أن يرحل إلى فيينا ليعثر على جواب لهذا السؤال . فعرف هناك أن الوقاية العملية من حمى النفاس قد اكتشفها النابغة المجرى « إنياز سميلوايز » منذ حوالى أربعين سنة ، يوم وجد نفسه يحمل العدوى من غرف التشريح إلى الوالدات ، ثم أثبت أنه يستطيع أن يغسل هذا الموت عن يديه بالغلو فى النظافة ، واستعمال المطهرات . وياله من أمر يسير !

عاد دى لى إلى شيكاجو يكظم غيظه ، فههنا مستشفيات مزودة أحسن زاد بالآلات ، وبأحدث الوسائل لكفاح الميكروبات ، وبقفازات المطاط للوقاية من العدوى . ومع ذلك فههنا أيضاً تلد الأمهات فى محيط قذر ، وعلى أيدى قابلات وأطباء جهلة ، وكأن لم يكن قط سميلوايز ولا باستير .

وفى سنة ١٨٩٧ عين دى لى ، وهو فى الثامنة والعشرين من عمره ، أستاذاً لعلم الولادة المحتقر ، فى كليته القديمة ، والتى أصبحت يومئذ كلية الطب فى جامعة نورث وسترن . فبدلا من أن يحاضر الطلاب فى الوضع ، أو يشرحه لهم على الدمى الخشبية ، عمد إلى حشدهم فى خنادق الجبهة حث

يجثم الخطر على الأمهات ، فى المستشفيات ، بيوت الفقر والقذارة .

لم يكن ثمة مال موقوف على التعليم فى قسمه ، فجمع دى لى من كل طالب ثلاثة ريالات ونصفاً ، رشا بها حاملا مُتِمّا (شارفت الوضع) فأصبحت أول امرأة فى شيكاجو تسمح لأولئك الأفراخ الزغب من طلاب الطب أن يشهدوا لغز المخاض قبل أن يصبحوا أطباء . ثم طفق يستجدى من حيثما اتفق له، ليطهر من البق والصراصير أربع غرف فى ربع قذر فى شارع مكسويل ، ويتخذها عيادة للوالدات ، فكان هو وحده هيئة الطب والتمريض ، ثم علق عليها لوحة كتب فيها : « مستوصف شيكاجو للوالدات » .

ولم يدرك الجيران معنى لهذا الاسم، فاضطر أن يعززه بلوحة أخرى يعلن فيها أن هذا المكان معدّ للحوامل اللواتى دنت ولادتهن، يفحصن فيه طبيا بالمجان . فلم يأته أحد ، فالطبيب محتال ولا بد ، حين يقدم خدماته بلا جزاء !

ولم يستحى دى لى أن يجعل من نفسه للمستوصف دسيساً يفتش عن اللواتى دنت ولادتهن ، فإذا عرفهن غزاهن فى دورهن البائسة ، يوضح لهن المزايا الباهرة لرعاية الحامل ، ثم يولدهن بعد ذلك بمعونة تلاميذه .

ورأى أولئك التلاميذ كيف تتم الولادة آمنة طيعة ، وربما كان ذلك فى ٩٠ ٪ من الولادات . ورأوا أيضاً كيف تشرف امرأة على هاوية الموت فى مثل ومضة البرق.

وأدرك الأطباء الناشئون من أستاذهم المتحمس ، قدر علم الولادة ، ذلك العلم الوليد الذى ازدراه الأطباء . كان دى لى يلهبهم حين يرونه يعالج أزمات المخاض بأعصاب كأنما قدّت من حديد . كان يريهم كيف يستطيع الطبيب ، إن كان مطارداً للميكروبات مغالياً فى النظافة ، أن يغلب الموت بحمى النفاس ، وأن يسيطر على تلك القوى الهائلة المنبعثة من تقلصات الرحم التى تستطيع أن تحيل الأجنة إلى مسوخ . وكان يهزهم هزاً إذ ينقذ تحت أعينهم أرواحاً كان الموت يهددها من الأكلمسيا (تشنج قاتل يورثه التسمم ، يصيب الحامل المتمّ والنفساء) ومن فجاءات النزف .

وخير من هذا كله أنه كان يعلمهم نُذُر الخطر التى ينبغى أن يعرفها طبيب الأسرة ، كى يستدعى متخصصاً قبل فوات الأوان .

وشاع اسم هذا الطبيب الشاب فى شيكاجو الغربية ، وتردد ذكر براعته ورحمته على كل لسان . يحمل دى لى حقيبته السوداء المعروفة فى يده ، ويمشى بين « الفتوات » والقتلة واللصوص ، فى هذا الحى الوعـ

من المدينة غير هياب . وكانت الأسر الفقيرة تنظر إليــه برهبة إذا ما مر بتلك الأكواخ الموحشــة ، حيث أعان الأمهات على الوضع والنفاس .

فى أول حياته الطبيــة كان قليل الدخل فلم تزل تعوزه الآلات والضمادات والعقاقير ، وكذلك أصبح أكثر السائلين إلحــافاً فى شيكاجو . ثم أخذ بعد ذلك يوضح للغنيات من نساء المدينــة أنه يمكن إنقاذهن أيضاً من العــدوى ومن الأكلمســيا والنزف ، وطفقت الأجور التى ينالها من الأزواج الشاكرين تزداد . فلمــا عرفوا كيف كان يجود بدخله على مستوصفه ليمده بعتاد يكافح به الموت ، أخــذت تنهال عليه الهبــات . وقصارى القول أن عمله بات فى المدينة مثابة حديثة للبر والجود

ولقد أغضب دى لى كثيراً من الأطباء فى الاجتماعات الطبيــة بإشارته إلى الهبوط المدهش فى معدل الوفيات بين الأمهات اللائى يلدن فى البيوت القذرة . فقيل عنه إنه مثالى يدعو إلى الكمال ، وكأن هذا ثناء ولكنه ينطوى على سخرية ، والقائلون هم أطباء مستهترون يرون أن الطبيعــة لا تريدنا أن ننقذ جميع الأمهات والبنين . وذلك ما كان يثير حنق دى لى .

أصبحت المستشفيات ، كما كانت يومئذ ، هدفاً لمطاعنــه . وأخذ يروى كيف قضت العــدوى على أمّين وطفل فى مستشفى عام معروف ، ويقول إنه هو قاتلهم ، وما ذلك إلا لأنه وثق بمستشفى عام فاســد الإدارة توهمه صالحاً للوضع والنفاس .

وذهب دى لى يصف كيف تدب الميكروبات من حجرات الطب والجراحة إلى حجرات الولادة ، إذ يراق الصــديد والسوائل المعــدية على الأرض ، فتجف وتستحيل إلى تراب يتطاير غبــاراً تنتشر معه الميكروبات القاتلة ، وتقتحم الغرف حتى من نوافذ التهوية . وكذلك يستقر أولئك القتــلة الخفيون فى حجــرات الولادة على جراح النفاس التى تحدثها المواليد فى جميع الأمهات . وراح يقول إن الطريقة الوحيدة لمكافحة حمى النفــاس أن يفصل بين مستشفيات الولادة والمستشفيات العامة التى كثيراً ما تكون مستنقعات للميكروبات .

وبرم به من كان يسمع محاضراته ، إذ كانوا يعرفونه داعية لجوجا من دعاة الغلو فى النظافة ، وأن خدم منزله كانوا يؤمرون أن يلبسوا قفازات من المطاط وأقنعــة ، حتى وهم يصنعون الطعام ، وأنه كان يعقم بنفسه قفــازاته وضماداته فى كل مستشفى يدخله . وأجريت له هو نفسه جراحــة يوماً ما فى مستشفى مشهور ، فأهان المستشفى

بأن اشترى لنفسه سريراً جديداً بحشاياه ، فلما ظهرت بثرة صغيرة على وجهه وهو فى النقه ، صاح صيحة المنتصر : « أنظروا لقد كان أولى بى أن أجرى الجراحة فى منزلى ! »

كانت دعوته إلى الجديد تجرى على هذا النمط : إذا كان لا بد من أن يولد الأطفال فى مستشفيات ، فيجب أن تكون هـذه المؤسسات للولادة وحدها . قال معارضوه : إن مثـل هذه المستشفيات الخاصة باهظة التكاليف . فرد عليهـم دى لى وأغلظ : « ما من شىء هو أغلى من أرواح البشر » .

وانتقلت عدوى بغض الموت من دى لى إلى الأثرياء من سكان شيكاجو ، فأعطوه بعض المال ليؤسس مستشفى لرعاية الأم فى مـنزل ذى ثلاث طبقات . فكان دى لى نفسه يساعد فى نقـل الحوامل إلى غرفة الولادة . وحرك نجاحـه الباهر فى رعاية الأمومة، قلوب الآباء الشاكرين ،وازدهرت هذه البنية الأولى فصارت فى سنة ١٩٢٩ مستشفى شيكاجو للولادة الذى طبقت شهرته الآفاق ، والذى بلغت تكاليفـه حوالى ٢،٠٠٠،٠٠٠ ريال .

على أن حمى النفاس لم تزل تقتـل فى أمريكا أمًّا من بين كل أربعمائة أم نفساء ، على حين لم تمت بالعدوى سوى والدة واحدة من ٢٥،٠٠٠ امرأة ولدن فى المستشفيات الثلاثة التى أنشأها دى لى على التتابع .

وبلغ دى لى ذروة مجده فى الستين من عمره . هذا على أن خصومه من الأطباء كانوا يوقرونه ، وإن أبغضوه ، فتراهم قد حرصوا حرصاً شديداً فى تطبيق أسـاليب مكافحة الموت فى مستشفياتهم العامة ، ويكاد دى لى يكون هو وحده الذى أنشأ التخصص فى علم الولادة وكفله حتى اشتد .

ومع ذلك فلم ينصرف هوى دى لى إلى مستشفيات الولادة الفخمة ، بل إلى ذلك المستوصف القديم بشارع مكسويل فى حى الفقراء . فمن هنا انتشر ٦٠٠٠ طبيب فى أنحاء أمريكا يدرأون الموت عن الوالدات . ولـكن بدا له اليوم أن هذا المستوصف ، وهو أساس جهاده فى الحياة ، قد كتب عليه أن يتقوض .

فحين جاءت الأزمة المالية غاضت موارد المستشفى والمستوصف القديم . فقرر مجلس إدارتهما إلغاء المستوصف ، فثار بهم دى لى قائلا : « إن كان لا بد أن يطوى أحدهما فليطو المستشفى ، فليس المستشفى الضخم هو الذى يكفل الأمن للولادة ، بل المعرفة الكاملة ، والتقوى التى يستشعرها الطبيب الناشئ من ملازمة الأمهـات فى دورهن من بداية الوضع إلى منتهاه » .

وركب مجلس الإدارة رأسه عناداً ، فعاد

هذا الطبيب العجوز فى الثانية والستين من عمره يبدأ حياته من جديد ، فاستنفد كل ماله لينقذ بيت آماله ، ذلك البيت القذر فى شارع مكسويل ، والذى سماه يومئذ مركز شيكاجو لرعاية الأمهات .

كان نجم حياته قد دنا أفوله ، ولم يعد فى قدرته أن يجوب الطرق القذرة وحقيبته بيده ، كما كان يفعل فى سالف الأيام . فجند لهذا العمل اثنين من تلاميذه فى الولادة هما الدكتوران باتريس ا . تاكر ، وهارى بنارون ، لا يثيبهما عليه مالا ، وإنما هو النصب والدم ، وقال لهما : «هنا — لاغير — تتعلمان فن الولادة بحق » .

وحمل تاكر وبنارون نبراس تعاليمه يلجان به تلك الأبواب العتيقة المتصدعة التى تتطوح خارجة وداخلة لا يمسكها قفل ولا رتاج ، وكذلك أراد دى لى لهذه الأبواب أن تكون ، حتى لا ترد أمًّا مستنجدة قد يمنعها التخاذل الشديد أن تقوى على شىء إلا أن تدفع الباب دفعاً هيناً .

وأخذ هذان الطبيبان الناشئان يناضلان فى سبيل الحياة فى تلك الأحياء القذرة التى أصبحت لهما شهرة فائقة ، فأججا ، فى اثنى عشر عاماً ، جذوة بغض الموت فى نفوس حوالى ٥٠٠٠ طالب طب وطبيب وممرضة وَلّدوا فى شيكاجو ٣٠٠٠٠ مولود .

ولنضرب لتلك المعركة العنيفة التى خاضوها مثلاً امرأةً من السود هدها الفقر ، وهجرها زوجها أشد ما كانت حاجة إليه . وصلت سرية من المولدين إلى منزلها البائس ذى الغرفتين ، فألفوها تشكو الصداع ، ووجدوا ضغط دمها يرتفع ، وتلك نذر الإكلمسيا . فاستدعوا الدكتور بنارون بالتلفون ، فلما جاء ارتدى معطفه الأبيض النقى وهو فى مغسل جمد الماء فى أنابيبه من برد الشتاء . وبسطت الممرضة والطلبة صوانى الآلات على صحف غطوا بها لوحاً من الخشب .

وفى وسط هذا الجحيم القذر الذى كانت المرأة تسميه دارها ، اتخذوا حمى خالياً من الميكروبات . إن القذارة هنا كانت تتجسم لأولئك المولدين النابتين ، فلا يعتريهم ذلك الشعور الزائف بالأمان الذى قد يحسون به وهم فى غرف الولادة البراقة فى المستشفيات . فإذا ما دنت قفازاتهم المعقمة أقل من قدم من شىء ما أو شخص ما ، توهموها قد صارت ملوثة خطرة ، وحشدوا هذه النظافة الهائلة حياطة لأيديهم وآلاتهم وللوالدة .

أخرج الجنين (بالجفت) على نضد بال فى المطبخ ، فصرخ — ويا لها من سخرية — ولما يفارق بطن أمه . ثم حدث النزف على غرة ، فظل بنارون ومساعدوه الصغار

يعملون دائبين بلا هوادة ١٥ دقيقـة بدت لهم كأنها أيام . وتركت المولودة الجديدة في رعاية طالب فهى تبكى وتضرب بساعديها الهواء ، وأعيدت الأم السوداء إلى فراشها العارى ، فهى تحت الأغطية البالية كأنْ قد نجت من الخطر .

وطفق أعضاء السرية يحزمون متاعهم في المطبخ مبتهجين ، ولكن بنارون أطل عليهم من باب غرفة النوم يأمرهم أن يعودوا سراعاً إلى المركز ليجلبوا منـــه أدوات إسعاف النزف . لم يكن ما رآه شيئاً يذكر فما هو إلا بقعة صغيرة من الدم تنـدّى بها الفرام (ما يحشى به المهبـل من الشاش) ولكن: «أسرعوا» هكذا قال لهم بنارون .

وأعيدت الأم ثانيـة إلى نضد المطبخ ، وأخذوا يجهدون مرة أخرى في أن يمنعوا نزفاً لم يكن شيئاً مذكوراً . وقال بنارون لمساعديه المتعبين : « إنكم تتوهموننى شيخاً أخرق . لكنا لو تركناها كما كانت لعجزت عن أن أنام . إن الدم يكافح العدوى ، وستكون في حاجة إلى كل قطرة من دمها إذا قدر لها أن تصاب بحمى النفاس » .

عادوا جميعاً إلى فراش الأم يودعونهـا ويتمنون لها الخير ، كما تقضى بذلك تعاليم دى لى . وكانت ترقد هادئة وقد بدا عليها الضنا تحت أغطيتها البالية ، لا تفعل سوى أن تمـد يدها لتلمس الطفلة النائمـة إلى جوارها . وربّت بنارون على كتفها ، وابتسم لها ، فلم تشكره وإنمـا قالت له : « وداعاً يا دكتور » . إلا أن ما في قلبهـا جعل يتلألأ في عينيها السوداوين وهى ترمقه خارجاً من دارها .

وهى إنما كانت تشكر دى لي ، فقد كانت رحمتـه البالغة بالوالدات والمواليـد تتدفق من قلبه فتنبث إلى قلوب أولئـك المولدين الناشئين .

وبهذا التزمُّت — الذى أوشك أن يكون سخفاً — في مراقبة الصغائر لإنقاذ حيـاة الفقراء البائسين ، لم يفقد هؤلاء المولدون الناشئون سوى سبع أمهات من حمى النفاس من بين ٣٠٫٠٠٠ ولادة أجروها . بل قد ولدوا ١٢٫١٠٦ من الحوامل على التوالى فلم تمت منهن واحدة من هذه الحمى ، على حين كان معـدل الوفيات من حمى النفاس في الولايات المتحدة كلها لم يزل يقارب وفاة واحدة في كل ٥٠٠ نفاس .

إن تاكر وبنـارون لا يشتركان إطلاقاً في الابتهاج العـام الشائع بين الأطباء اليوم بأن الولايات المتحدة لا يموت فيها إلا ٦٥٠٠ أم نفسـاء كل عام ، في مقـابل حوالى ١٥٫٠٠٠ في بواكير العقد الرابع من القرن العشرين عنـد ما بدأا عملهما في المركز ،

إذ يريان أن ليس الموت على أى واحدة من هؤلاء ضربة لازب ! وإنه ليؤذيهما فى أنفسهما ذكر تسع وعشرين والدة متن على أيديهما بحمى النفاس فى المعركة التى خاضاها ١٢ عاماً . نعم إن بعض هذه الوفيات قد حدث قبل أن يتمخض الزمن عن عقار «السلفا» الساحر ، وأن بعضها الآخر حدث من غشية النزف قبل أن يتيسر علاج هذه الغشية بنقل مصل الدم إلى المصاب ، ثم يستدركان : « انظروا إلى سجلات دى لى ... انظروا إلى ما فعل بغير هذه الأسلحة الجديدة . إننا لو أحصينا ما كان ينبغى لنا أن نفعله ولم نفعله ، لتجلى لنا أنه ما كان يجب أن تموت أم واحدة من هذه الأمهات » .

إن لومهما أنفسهما ليعيد إلى الذهن تعاليم هذا الرجل الشالى العجوز التى استغرقت عمره ، وإنهما لا ينسيان ما قاله لهما قبيل موته فى سنة ١٩٤٢ : « لقد ارتكبت طوال خمسة وأربعين عاماً مارست فيها صناعة الطب ، كل خطأ يمكن ارتكابه فى الولادة . وفى رأيى أن الوضع يجب أن يكون أداء وظيفة طبيعية ، وأن لا ينجلى عن وفاة ، وأن لا يؤذى والدة ولا مولوداً » .

لقد مات دى لى . نعم ، ولكنه خالد فى نفوس آلاف الأطباء ، عامل — لا يزال — فى مركز رعاية الأمهات المبتلى بالفقر والفاقة ، والذى يسدد خطا أمريكا فى معركتها الظافرة ، وهى تكافح موت الوالدات .

أجوبة : انتخبوا الأبطال

(١) الحوت (البال) الأصفر البطن ، يقدر وزنه بمئة وخمسين طناً . (٢) الحوت (البال) الأصفر البطن . (٣) النعامة يزيد وزنها على ٣٠٠ رطل . (٤) الأصلة المشبَّكة يزيد طولها على ٣٠ قدماً . (٥) القطرس الجوّال (الألبتروس : طائر عظيم فى البحار الجنوبية ملتحم الأصابع كالبط) يبلغ ما بين طرفى جناحيه ١١ قدماً و ٦ بوصات . (٦) السلحفاة — قد تعيش ١٥٢ سنة . (٧) الإنسان — قد يعيش ١١٤ سنة . (٨) الفهد تزيد سرعته على ٧٠ ميلا فى الساعة . (٩) الشمبانزى . (١٠) الشنشلة (حيوان صغير فى جنوب أمريكا) ثمن الجلد الواحد على صغره ١٥٠٠ دولاراً بالجملة . (١١) الفيكونا (حيوان برى أمريكى من ذوات الأربع) ثخانة وبره نصف ثخانة أنعم صوف الضأن . (١٢) الخراطين (دود الأرض) يقول علماء الزراعة إنها تقلب التربة فتزيد خصب الأرض .

[الأسئلة فى صفحة ٥٢]

[كاتب مشهور يتكلم بصراحة عن أساليب النملة المشهورة]

النملة الخداعة

مارك توين

ملخصة عن كتاب "رحلة إلى الخارج"

يخيل إلىّ أن هناك مبالغة عجيبة في حظ النملة من العقل . وقد تحريت أن أرقبها صيفاً بعد صيف ، على حين كان أولى بي أن أعنى بما هو أجدى من ذلك ، فلم أصادف نملة حية واحدة يبدو أنها أعقل من نملة ميتة . وأنا أتكلم على النملة العادية فما لي خبرة بالنمل السويسرى أو الإفريقى المدهش الذى يحسن التصويت فى الانتخابات ، ويتخذ الجيوش النظامية ، والرقيق ، ويتجادل فى الدين . وقد يكون هذا النمل كما يصفه علماء الطبيعة ، ولكنى مقتنع بأن النملة العادية ليست إلا خدعة وأكذوبة . وإنى لأعترف بأن هذا الضرب من النمل كدود نشيط ، فما فى الدنيا مخلوق أكثر منه كداً ودؤوباً والعيون تلاحظه ، ولكن عقله السميك هو ما أنعاه عليه .

وهو يخرج ليمتار ، فيجد شيئاً يستولى عليه ، فماذا تراه يصنع ؟ يقصد إلى بيته ؟ كلا ! فإنه لا يعرف أين هذا البيت . وقد لا يكون على مسافة أطول من ثلاث أقدام ، ولكنه مع هذا لا يهتدى إليه . أما غنيمته فهى فى الأغلب شيء لا يمكن أن يكون ذا فائدة له أو لأى مخلوق آخر . وقلما يكون هذا الشيء إلا أكبر سبع مرات مما ينبغى أن يكون . ثم هو يبحث عن أسوأ ناحية يتناوله منها ، ويرفعها فى الهواء ، ويمضى ، لا إلى بيته بل فى اتجاه آخر ، ولا يسير فى هدوء وبحكمة ، بل متعجلا مضطرباً ، ويلتقى بحصاة ، فلا يدور حولها بل يصعد فوقها ماشياً القهقرى وجاراً غنيمته معه ، ويهوى من الجانب الآخر ، فينهض منفعلا ، وينفض التراب عنه ، ويبسل يديه ، ويقبض على غنيمته بعنف ، ويجرها إلى هنا ، وههنا ، ويدفعها أمامه هنيهة ، ويجرها وراءه تارة ، ويزداد هياجه ويستشرى جنونه ، ثم يرفعها ويمضى على وجهه فى اتجاه جديد كل الجدة

وبعد نصف ساعة من التطواف يرجع إلى نحو ست بوصات من حيث بدأ ، فيضع حمله ، ويمسح العرق المتصبب ، ويدلك أطرافه ، ثم يمضى على غير هدى ، بأسرع ما يستطيع . ويقطع رقعة كبيرة من أرض متعرجة ، ثم يعثر بعد حين على نفس الغنيمة ، ولكنه لا يتذكر أنه رآها قط ، ويتلفت ليتبين الطريق الذى لا يؤدى إلى البيت ، ثم يتناول غنيمته ويذهب بها فيه ، ويتجشم نفس ما تجشم من قبل .

وأخيراً تقف نملة لتستريح ، وتقبل صاحبة لها فتقول إن ساق صرصور ميت من العام الماضي يعد غنيمة جليلة ، وتتفق معها على مساعدتها على حمله إلى البيت ، فتأخذان بطرفي ساق الصرصور ، وتشرع كل منهما تشد من ناحيتها بكل ما أوتيت من قوة . ثم تستريحان وتتشاوران وتتفقان على أن هناك خطأ ما ، ولكنهما لا تهتديان إليه ، وتتهم كل منهما الأخرى بالتعويق وينتهي الحوار بالشجار ، فتشتبكان ويعلق فك كل منهما بفك الأخرى لحظة ، ثم تتدحرجان وتقعان على الأرض ، وتفقد إحداها قرناً أوساقاً أو غير ذلك فتحتاج إلى «الترميم» ، ثم تعودان إلى الوفاق والعمل معاً على نفس الطريقة الجنونية السابقة . ولكن النملة المهيضة عاجزة ، فالأخرى تجر الغنيمة والنملة الثانية معها .

وبعد أن يطاف بساق الصرصور فى الرقعة نفسها مرة أخرى ، يلقى بها فى المكان عينه الذى كانت فيه أولا ، وتتأملها النملتان اللتان تتفصدان عرقاً ، ويستقر رأيهما على أن أرجل الصراصير الجافة لا تستحق كل هذا العناء ، فتذهب كل منهما فى ناحية عسى أن تجد شيئاً ثقيلا يسليها ، ومغرياً ، لفرط تفهه ، بالسعي للاستحواذ عليه .

وقد رأيت اليوم نملة تبذل كل هذا الجهد مع عنكبوت ميت أثقل منها عشر مرات ، ثم تركته فى وسط الطريق لتستولى عليه أية نملة حمقاء أخرى تشتهيه . وقد قست المسافة التى قطعتها هذه الخرقاء فانتهيت إلى أن ما قامت به فى ٢٠ دقيقة يشبه شيئاً كهذا : أن يشد رجل حصانين وزن كل منهما ٨٠٠ رطل ويربطهما ويحملهما مسافة ١٨٠٠ قدم فوق صخور ارتفاعها ست أقدام ، أو أن يصعد خلال هذه الرحلة فوق جرف نياجارا وثلاثة أبراج عالية ، ويثب من قمتها ثم يطرح الحصانين ويلقى بهما فى مكان مكشوف من غير أن يراه أحد .

وقد أظهر العلم أن النملة لا تدخر شيئاً للشتاء ، فإنها خداعة لا تعمل عملا إلا حين تكون عليها عيون الناس ، بل لا تعمل إلا إذا كان الذى يراقبها له نظرة علماء الطبيعة ، ويبدو عليه أنه يدون مذكرات . ولا تستطيع النملة أن تهتدى إلى بيتها إذا اعترض طريقها شيء . وهذه غباوة . وليس كدها إلا غروراً ، فإنها لا تصل إلى بيتها بشيء تحمله ، وهذا من شأنه أن يقضى على البقية الباقية من شهرتها وفائدتها كعامل أدبي .

ومن العجيب الذى لا يكاد يصدقه العقل ، أن نملة خداعة استطاعت أن تغش وتغالط فى حقيقتها كل هذه الأمم ، كل هذه العصور دون أن يفطن إلى الحقيقة أحد .

الجاسوسية الراقية

فرنسيس روفوس بلامى
ملخصة عن مجلة «ذى أميريكان ميركورى»

[كيف هزمت وزارة المالية الأمريكية أجرأ جاسوسية ابتليت بها الولايات المتحدة .]

فى شروق اليوم السابع عشر من شهر يونيو ١٩٤١ وصل ولبور كيجان إلى مكتبه فى نيويورك فصبّحته رسالتان أطارتا صوابه . وولبور كيجان هو القائد النابغ « للرابطة الألمانية الأمريكية » وصحيفتها « الأمريكى الحر » التى تعمل على نشر الدعاية النازية .

أما الرسالة الأولى فخطاب من مصرفه ينبئه أن الأموال المودعة لديه لحساب « الأمريكى الحر » قد جمدت تنفيذاً لقرار صادر من وزارة المالية ، وأما الرسالة الثانية فصورة من أمر لرئيس الحكومة يحظر فيه على جريدة « الأمريكي الحر » أن تقوم بأى تصرف مالى إلا بعد أن ترفع إلى وزارة المالية بياناً وافياً عن أعمالها كافة .

وأمسك كيجان تلفونه بلهفة ، فإذا أنباء سيئة أخرى تترى ، فقد صدرت أوامر مماثلة تجمد كل موارد النازى المالية ، وأن ما دهى الرابطة ذاتها قد دهى « اتحاد المهن الألمانى الأمريكى » و « الجمعية الأمريكية للاعانة الألمانية » وعشرات غيرها من الهيئات الصغيرة الملحقة بها .

وأخذ رئيس الرابطة يزمجر : « إنهم لا يستطيعون أن يفعلوا هذا بنا ، إننا مواطنون أمريكيون ، وها نحن نضطهد على يد جستابو أمريكى ! » .

ولكن وزارة المالية نعتت عملها بأنه «مراقبة الاعتمادات الأجنبية» . وقد أنشئت هذه الإدارة قبل الهجوم على « بيرل هاربور » ، وتبين فيما بعد أن إنشاءها كان من أحكم القرارات التى اتخذت فى هذه الحرب . ومهمتها فى داخل البلاد — وهى منع العدو من إحداث الفتن — كافية وحدها فى تسويغ نفقاتها التى تبلغ ٣ ملايين دولار سنوياً .

وفى الحرب العالمية الأولى كانت جهود وكلاء الألمان فى الولايات المتحدة ظاهرة الأثر فى أعمال التخريب ، وأهمها الانفجار الذى حدث فى مدينة جرسى ويعرف باسم انفجار « بلاك توم » ، أما فى هذه الحرب الحاضرة فتكاد تنعدم حوادث التخريب ، وقلما نجحت أعمال التجسس ، وسبب

ذلك أن « إدارة مراقبة الاعتمادات الخارجية » سلبت وكلاء العدو نقودهم ، وقبضت على مموليهم ، وأوصدت الأبواب فى وجه المال الوارد من الخارج ، ولا تجسس بغير مال . وقد بلغ من إحكام تدابير وزارة المالية أن اضطر المخربون الذين نزلوا من غواصة بجزيرة « لونج أيلاند » ، أن يجلبوا معهم نقودهم ، وقد بلغت ١٧٧ ألف دولار ورقاً من فئة ٥٠ دولاراً .

وإلى سنة ١٩٤٠ ، كانت حملة وزارة المالية على وكلاء العدو قد أخذت تسير سيرها ، فلما اجتاح هتلر غرب أوربا تلقت المصارف ومكاتب السماسرة الأمريكية عدة برقيات من الممالك المحتلة ، بالتصرف فى الأوراق المالية والنقود المودعة بأمريكا ، فارتابت الحكومة فى أن تكون هذه البرقيات قد صدرت تحت ضغط وتهديد ، فحظرت إنفاذ هذه التصرفات ما لم ترخص بها ، وجعلت هى لا تصدر ترخيصاً إلا بعد أن تقف على جلية الأمر .

فلما كانت سنة ١٩٤١ بلغ نشاط النازى فى إحداث الفتن حداً مروعاً ، فلم يكن بد من مقاومته بسلاح أشد صرامة ، فأصدر رئيس الحكومة أمراً فى ١٤ يونيو يحرم على كل أوربى فى الولايات المتحدة ، فرداً كان أو مؤسسة ، أن يعقد أية صفقة مالية بغير ترخيص سابق من وزارة المالية . ولأسباب قوية شمل الحظر أيضاً كافة الأفراد والشركات اليابانية ، وسوى بهم الصينيين رغبة فى حمايتهم . وطبق الحظر أيضاً على كل الهيآت التجارية الأمريكية ، إذا كانت مدينة لأى فرد فى هذه الممالك ، أو إذا كان من الممكن أن تخضع لأية صورة من صور الإشراف أو التدخل الأجنبى .

فوجب على جميع هؤلاء أن يراجعوا وزارة المالية قبل التصرف فى أموالهم ، وإلا كانوا عرضة للحبس أو لغرامة قدرها ١٠ آلاف دولار . وتضمن أمر الرئيس مادة تقضى بسريان أحكامه أيضاً على كل مواطن أمريكى يتهم بأنه من وكلاء العدو ، إلى أن تثبت براءته . وهذه المادة هى التى طبقت على ولبور كيجان ، وعلى « الأمريكى الحر » الصحيفة النازية .

وهكذا أصبح لزاماً على أهل الريبة ، الذين لا يستطيعون سحب مبلغ من حسابهم فى المصارف ، أن يلجأوا إلى وزارة المالية حتى من أجل أن يأكلوا ، وكان حتما عليهم أن يفضوا بحقيقة أمورهم دون أن يعلموا مقدار ما تعلمه السلطات عنهم ، فإذا كذبوا وقعوا لساعتهم فى الشرك .

وقد كانت وزارة المالية تعلم أموراً كثيرة ، وتحت سلطانها مصادرها الخاصة تستقى

منها معلوماتها : « مكتب الاستخبارات السرية » و« خفر السواحل » و« مصلحة الضرائب » و « الجمارك » والمصارف الحكومية وما يتبعها من ١٥ ألف مصرف تجارى ، وزد على ذلك أنها تلقى العون من « قلم الاستخبارات الحربية » و « إدارة الرقابة البريطانيـة » ، ومن كل سفارات أمريكا وقنصلياتها .

ولم تغب شمس يوم ١٤ يونيو حتى بدأ ينهـال على « إدارة مراقبـة الاعتمادات الأجنبية » فى وشنطن ، سيل من طلبات الترخيص، وبيانات وإقرارات عن الملكية .

ثم حرم انتقال ملكية الأموال الأجنبية، وبلغ مقـدار ما شمله التحريم ٧ بلايين دولار . وشملت وزارة المالية برعايتها من لم تشك فى براءتهم ومنحتهم نحواً من ٤٠٠ ألف ترخيص مؤقت .

وكان أكبر صيد وقع فى شركها هو : «الشركة العامة للانيلين والأفلام» وهى شركة كيميائية أمريكية لها مصابغ فى نيوجرسى ونيويورك ، وتبلغ أموالهـا ٦٦ مليون دولار ، ويدخل فى ملكيتها عـدة شركات أمريكية ملحقة بها ، أهمها شركة « أجفا أنسكو » بنيويورك . وقد قرر مـديرو الشركة أنها أمريكية الجنس، ولا تخضع لأية رقابة أجنبية . ومع ذلك فقد كانت هذه الشركة مدرجة فى قائمة أهل الريبة بعـد ١١ يونيو ١٩٤٠ ، حين طلب مصرف فى نيويورك ترخيصاً لكى يسلم بمقتضاه إلى مشتر جديد مقيم فى سويسرا ، قسما كبيراً من أسهم الشركة التى كان يحتفظ بها المصرف لحساب شركة هولاندية .

وذكر المصرف فى طلبه أن البيع قد تم فى شهر سبتمبر السابق ، ولما كانت هولندا قد سقطت بعد ذلك ، وجهت وزارة المالية الأسئلة التالية إلى الشركة : ما سبب هـذا التأخير العجيب فى نقل ملكية الأسهم ؟ ومن هم أصحاب الشركة الهولاندية ؟ ومن هو المشترى السويسرى ؟

لم يشق على الشركة أن تجيب أسئلة سهلة كهذه : فالمكاتبات السابقة الخاصة بنقل الملكية قد فقدت فى البريد ، وهى لا تعلم شيئاً عن الشركة الهولاندية ، وأن قوانين المصارف السويسرية تحول دون حصولها على بيانات عن المشترى السويسرى .

ومع ذلك ثبت من التحقيق الذى قام به المصرف ، أن الطلب الذى جاءه لم يحمله إليه البريد ، بل سلمه إليه شخص يسمى الدكتور دويسبرج ، وهو محام بنيويورك يقول إنه تلقى الطلب من مصرف سويسرى ، وثبت أن الدكتور دويسبرج هو ابن الـكيميائى الأول لأكبر مؤسسة كيميائية فى ألمانيا ، ألا

وهى « شركة ا . ج . فاربن » ، كما تبين أن رئيس شركة الإنيلين — مع أنه أمريكى الجنس — هو أخو الأستاذ الأكبر هرمان شمتز رئيس « شركة ا . ج . فاربن » .

واتضح من موالاة التحقيق أن شركة الأنيلين استمرت تدفع أرباح تلك الأسهم إلى الشركة الهولاندية برغم انتقال الأسهم بالبيع المزعوم . ثم دلت التقارير الواردة من « وال ستريت » الحى المالى فى نيويورك ، على أنه حين أدمجت الشركات المتفرقة بعضها فى بعض ، ووحدت فى شركة واحدة باسم « الشركة العامة للأنيلين والأفلام » ، قامت « شركة ا . ج . فاربن» بشراء أسهمها الموجودة فى الخارج على يد مصرف سويسرى .

ويلوح أن قرار وزارة المالية بوقف انتقال ملكية الأسهم أثار ثائرة مديرى شركة الأنيلين إثارة لم تعهد من قبل ، والظاهر أنهم كانوا يرون فض المسألة كلها بدون تأخير أمراً حيوياً ، فإن مديرى الشركة والمحامين أسرعوا إلى وشنطن ، وطلب المشترى من وزير سويسرا المفوض أن يتدخل فى الأمر ، ففعل . ويبدو أن حكومته أبلغته أن المشترى السويسرى خاضع لسلطان سويسرا . ولكن وزارة المالية ظلت مع ذلك تماطلهم .

وفى ليلة ١١ ديسمبر سنة ١٩٤١ ، أى بعد الهجوم على « بيرل هاربور » بأربعة أيام ، استقلت نخبة من رجال وزارة المالية الطائرة الليلية من وشنطن إلى نيويورك . وخرج تلك الليلة مئات من موظفى «مراقبة الاعتمادات الخارجية » فى مهمات مشابهة فى طول البلاد وعرضها . وكانت المهمة الموكولة إلى ركاب هذه الطائرة أن يضعوا يدهم على الشركة العامة للأنيلين ، لأنها فى أكبر الظن ، هى العدو الأول .

وأدى التحقيق الذى دام عدة أشهر إلى الوقوف على معلومات مثيرة للدهشة ، فقد وردت من سويسرا تقارير سرية تفيد أن مديرى الشركة السويسرية التى اشترت الأسهم ، كانوا ستاراً يتدرأ خلفه النازيون ، وأن مديرى شركة الأنيلين كانوا على علم بذلك ، وأنهم هم أنفسهم من وكلاء الألمان. ووردت من لندن شهادة من الإنجليز ، أيدتها لجنة الهند الهولاندية ، بأن شركة ا . ج . فاربن أصبحت منذ سنة ١٩٣٦ أداة فى يد النازى ، وأنها أسست فى الخفاء دولة كيميائية يمتد سلطانها فى أرجاء العالم كله ، وذلك بشرائها فى بلاد أخرى كثرة الأسهم فى شركات تبدو عليها فى الظاهر سمة الاستقلال ، وأن هذه الشركات التوابع كانت تهيأ باستمرار للتجسس .

وفحص رجال وزارة المالية عقود استخدام موظفى شركة الأنيلين فى مركز إدارتهـا بنيـويورك ، فوجدوا أنهم كانوا جميعـاً يطلبون السفر إلى ألمانيا لقضاء إجازاتهم ، وأن مئـات من المواطنين الألمـان يعملون فى مصانع الشركة ، وأن عدداً من صـغار المستخدمين وظفوا بتوصية من هيئات نازية فى نيويورك وبرلين ، وأن رئيس العمال فى مصـنع الشركة بنيو جرسى عينته الرابطـة زعيماً (جاولیتر) للمنطقة الشرقيـة كلها . ولم تخل الشركات التوابع كلها من ألمـان مختصين فى الكيمياء والصناعة ، استقدمتهم الشركة بعـد أن قررت للحكومة وأقسمت أنهم لازمون لها كل اللزوم .

ومما زاد فى الهلع أن أثبتت السجلات أن أعمال الشركة تضمنت قيامها بخدمات سرية فى أحواض البواخر الحربيـة والمطارات ، وأنهـا أدرجت بين الأعمـال التى تتولاها استخراج صورمن الأفلام والرسوم الهندسية المخططـة على الورق الأزرق . وهـــذه المستندات تحتوى على قدركاف من المعلومات السرية يدبر به العدو فجيعة أخرى كفجيعة بيرل هاربور .

وفى الأسبوع نفسه تمكن رجال وزارة المـالية من اصطياد « شركة شمنيكو » وأوقعوها فى الحبـالة ، وتبين من سجلاتها وجود لجنـــة فى شركة ا . ج . فاربن لجمع المعلومات السياسية والاقتصادية ، وهى على صلة بالحـكومة النازية ، ولهـا مركز رئيسى فى برلين . كما أثبتت الملفات أن هذا المركز الرئيسى كان يتلقى منذ سنين طويلة بيانات كاملة عن الولايات المتحدة : مصانعها ، ومخترعاتها ، وإنتاجها ، وخاماتها . وكانت ترسل لألمـانيا تقارير أسبوعية لا تستند إلى المعـلومات المستقاة من تحريات الأفراد فحسب ، بل تستند أيضاً إلى تلخيص واف للمجلات العلمية الفنيّـة ، ونشرات الأنباء ، وبلغت نفقات هــذه التقارير ٢٤٠ ألف دولار .

وحال إعدام بعض السجلات دون تمكن رجال وزارة المالية من الإلمام بكل ما كان يحـدث ، ولـكن الأدلة التى تجمعت لديهم كانت كافيـة فى إظهار اتساع نطاق هــذا التجسس الذى قطع عليـه طريقه . وكان لا يزال باقياً فى إدارة الشركة خرائط عن السكك الحـديدية ، والطرق العـامة ، والصناعات المعدنيـة ، وصهاريج البترول وأنابيبـه وطرق شحنه ، وشبكة الأسـلاك الناقلة للقوى الـكهربائية ، وكذلك خرائط طبوغرافية عن سواحل أمريكا وموانيها ، وخرائط عن جزائر الهندالغربية ، ومداخل قناة بناما .

وتبين أن شركة شمنيكو حائزة فى وسائل إنتاجها الكيمائى ، على حق استعمال ثلاثة آلاف امتياز مسجل باسم شركة ا . ج . فاربن . وكان من بين الذين نالوا حق الانتفاع بهذه الوسائل المسجلة مئات من أهم المصانع الأمريكية . وبفضل هذه العلاقات القائمة ، تمكنت شمنيكو من أن تحصل لكثيرين من رؤساء نازيين وكيميائيين وموظفين ، على إجازة بدخول أهم المصانع الأمريكية ، من مصانع الألمنيوم والمطاط إلى مصانع الغازولين وبناء الطائرات . وحتى يوم كان السلاح الجوّى الألمانى مسيطراً على بولندا ، اتبعت الحيلة نفسها فى إدخال كلود دورنيه — وهو ابن أبرع مهندسى الطيران فى ألمانيا — إلى مصانع طائرات شركة ساحل الباسفيك .

وكان من بين ما سقطت عليه شبكة رجال وزارة المالية ، مذكرات محام سابق لشركة شمنيكو ، فإذا بها تدون بأمانة كل ما جرى من مناقشات فى ألمانيا ، وتروى كيف أن حكومتها هى التى اقترحت أن تؤسس فى أمريكا شركة كالشركة العامة للأنيلين ، تسيطر عليها شركة ا . ج . فاربن بأن تشترى بواسطة مصرف سويسرى ما قيمته ١٠ ملايين دولار من أسهمها ، وأن الدكتور ا . شمتز مدير شركة الأنيلين ، إلى يوم أن بدأ تحقيق وزارة المالية ، كان من قبل مديراً لشركة شمنيكو .

وظلت « شركة ا . ج . فاربن » سنين طويلة وهى تحتفظ بملكية أسهم شركة الأنيلين وراء ستار من بيوتات مالية غامضة فى هولندا وسويسرا . وفى سنة ١٩٤٠ أراد ممثلو شركة ا . ج . فاربن المسيطرون على شركة الأنيلين ، أن يخلصوا أسهمهم الموجودة فى هولندا من قرار تجميد أموال البلاد المحتلة ، فزوروا عقداً بتاريخ سابق يتضمن بيع تلك الأسهم من ستارهم الهولندى إلى ستارهم السويسرى . وبذلك يمكن الاحتجاج بأن هذه الأسهم ملك أناس ينتمون إلى دولة محايدة ، ثم يعاد بيع تلك الأسهم — ويبلغ مقدارها ٠٠٠ر٥٠٠ر١ سهماً — إلى موظفى النازى المخلصين المقيمين فى أمريكا ، وحينئذ تصبح الأموال الأمريكية سلاحاً مسلولاً فى يد شركة ا . ج . فاربن . وتتراءى شركة الأنيلين كأنها شركة لا نزاع فى جنسيتها الأمريكية ، وفى الوقت نفسه تتمثل فيها دولة موطدة الدعائم ديدنها التجسس والتخريب .

وسرعان ما انهتك الستر ، إذ نطق بالحق موظف سابق فى شركة الأنيلين من الأمناء على أسرارها ، واعترف بأن الشركة كانت هى وتوابعها فى حيازة شركة ا . ج . فاربن

وأن صفقة بيع الأسهم كانت أهون عناصر المؤامرة ، وأن شركة الأنيلين لم تقتصر فى تجسسها على إرسال التقارير الأسبوعية إلى ألمانيا منذ ١٩٣٦ ، بل لم تزل ترسل إليها بأساليب خفية .

كانت هــذه التقارير تشـمل أفلاماً مأخوذة للعتاد الحربى السرى فى أمريكا ، ورسوماً هندسية، وأفلاماً مصغرة، ومعلومات عن بناء أحــدث المستودعات الحربيــة الأمريكية وإنتاجها . وكانت « شركة أجفا أنسكو » ، وهى من الشركات التوابع ، تبيع الهواة أفلام التصــوير السينمائى على شريطة أن تقوم هى بتحميضها .

ولما كان من بين عمــلائها رجال فى الجيش والأسطول ، وكانت تتسلم الأفلام لتحميضها قبل أن تعرض على الرقابة ، لم يبق هناك مانع يمنعها من إرسال صورهذه الأفلام إلى برلين .

ثم إن شركة أجفا كانت متصلة بما يقرب من ٣٥٠٠ مصنع ، وبالقواعد الجوية التابعة للأسطول الأمريكى ، عن طريق أسـلوب أنيلين المســجل المستعمل فى طبع الرسوم الهندسية. وشبيه بذلك استعانة الشركة بامتياز مسجل آخر ، وهو « طريقــة أوزافان » التى تطبع بهــا الرسائل مصغرة على أفلام ليسهل نقلها بالــبريد ، فإنها بفضل هــذا الامتياز كانت على صلة بالإدارات التى تتولى شـئون المحاربين فى الجيش والأسـطول ، وكان يسيراً عليها أن تقف أول فأول على كافة تطورات الحـالة الحربية . وقد وجد تقرير كامل عن أحدث البوارج الحربيـة مصوراً على فلم عرضه ٣٥ ملليمتراً ، معداً للارسال من فوره . تلك هى الجاسوسـية الراقية ولا ريب !

لقــد تضخمت ملفات « إدارة مراقبـة الاعتمادات الأجنبيــة » بعدة قضايا ممـاثلة لا يكاد يصدقها العقل . وقد حققت وزارة المـالية منــذ شهر يونيو ١٩٤١ شئون ٣٧٠٠ شركة وآلاف من الأفراد، واستولى مكتب حراسة أموال الأجانب على ٤٠٠ شركة من بينها الشركة العــامة للأنيلين ، لتتولى الحكومة إدارتهـا ، وبقيت ٢١٠٠ شركة تحت إشراف دقيــق تبسطه عليهــا وزارة المالية . لا لأنها من شركات الأعداء ، فقد أثبتت أنهــا ليست منهم ، بل لأن أسهمها — كلها أو بعضها — ملك أجانب محايدين أو أشخاص مقيمين فى البلاد المحتلة ، فلربما استخدمت هــذه الشركات فى التجسس والتخريب .

واليوم هيهات للعدو أن ينجح فى التستر والتخفى ، وهــذا فوز يحق لوزارة المـالية الأمريكية أن تفخر به .

سادة فى ثياب الخدم

ت . ا . مورفى . . . ملخصة عن مجلة « ذى روتيريان »

منذ بضعة أشهر مرضت سيدة عوان مرضاً مفاجئاً ، فاستدعيت على عجل نقالة المستشفى . فما إن وصلت حتى وثب منها كهل بدين فى ثياب خدم المستشفيات ، وتولى أمر المريضة . فلما ذهب يحملها إلى المحفة هو وسائق السيارة ، إذا أحد النظارة يلتفت إلى آخر ويقول : « أليس هذا فريد جريف نائب رئيس البنك الوطنى ؟ فربك ماذا يصنع فى نقالة ؟ » .

إن ركوب النقالة ليس إلا مهمة من مهمات كثيرة يقوم بها اليوم رجال الأعمال الذين يتطوعون خدماً للمستشفيات فى جميع أنحاء البلاد . والحادثة التى ذكرناها آنفا قد وقعت فى نيوهافن بولاية كونيكتكوت حيث يعمل منهم فى مستشفاها عدد كبير .

فمنذ عام قال جيمس هاملتون مدير هذا المستشفى لمجلس الإدارة إنه مضطر إلى إغلاق قسم من أقسامه لعجزه عن الحصول على عمال يديرونه . ذلك بأن نيوهافن تقع وسط إقليم كبير ينتج ذخائر الحرب ، فاستنفدت كل الأيدى العاملة ، ولم يعد ثمة خدم من الرجال فى أى مكان . وقد تقدم سكان المدينة بزعامة جريف لنجدة المستشفى وأقبلوا عليه فتولوا هم أنفسهم وظائف الخدم .

فإذا جبت اليوم ممراته فمن المحتمل أن ترى صيرفيا يحسن مسح الأرض ، أو محامياً يفرغ « قصرية » سرير ، أو أستاذاً فى جامعة ييل يحلق ذقن مريض مثبت فى فراشه . وما من عمل يرونه عسيراً أو وضيعاً . ويساعد أولئك المتطوعون المرضى على الاستحمام ، ويسجلون لهم الحرارة والنبض والتنفس ، ويقدمون لهم الطعام ، ويجمعون النماذج للتحليل ، ويحضرون المرضى للجراحات ، ويغسلون البلاط ، ويقومون بثمانية وأربعين عملا ، ما بين تمهيد الأسرة إلى غسل الرءوس وإبادة القمل .

ويجب على كل منهم قبل أن يقبل متطوعاً أن يوقع عهداً بعض ما فيه : « أن يشرّف عمله بالكفاية والفهم ، وأن يضع نصب عينه أنه ما من عمل فى رعاية المرضى أو الدفاع عن الصحة يعد معيباً أو وضيعاً » .

ومن أجل هذا قد ترى كما رأيت سيداً

مترفاً أشيب ينظف نكرة من النكرات لا شأن له قبل الذهاب به إلى حجرة الجراحات ، ويقول لك وهو يجفف الماء عن جسد المريض : « منذ ستة أشهر كنت أرى أن ليس فى وسعى أن أعمل عملا كهذا ، ولكنى اليوم أنجزه بغير عناء » .

وقد ضمت إحدى قوائم المتطوعين ٩ صيارف ، و ١١ معلماً ، و ٥ محامين ، و ٢٤ من أصحاب المصانع ، و ٣ من رجال الدين ، و ٢٥ من موظفى المرافق العامة . وهناك الآن قوة عاملة من هؤلاء المتطوعين قوامها ١٤٧ رجلا . ولم يستعف من الرعيل الأول منهم غير أربعة وجدوا العمل مرهقاً .

وعلى المتطوع أن يشترى مئزره الأزرق ، وعليه نفقات غسله وكيه ، وتدل كل نجمة على كم المئزر الأيسر على خدمة ثلاثة أشهر ، فإذا حال الحول وضع تحت النجوم شريط .

وعند ما يعهد بواجبات التدبير المنزلى إلى مثل هذه الطبقة اللامعة فى المجتمع ، فإن ذلك خليق أن يثير كثيراً من الفكاهات . وقد حدث أخيراً أن أبصرت ممرضة قاضياً ممتازاً ومدعياً عاما معروفاً يدفعان عربة مملوءة بالمماسح والأوعية فى أحد الممرات ، ثم رأتهما يقفان ويدخلان فى جدال عنيف ، وإذا القاضى يحتكم إليها بأدب وهو يكظم غيظه : « إن علينا أن نغسل هذه الجدران ، ويزعم هذا ، هذا المحامى ، أنه ينبغى أن نستعمل الإسفنج ، وأنا أزعم أن المسحة أفعل من الإسفنج ، فماذا رأيك أنت » .

ووقف سيد أكرش على قمة سلم متحرك ينظف المصابيح والعرق يتصبب من جبينه ورأى امرأته فجأة واقفة ، تنظر إليه وعيناها تبرقان وتقول : « وأنت ذلك الرجل الذى لا يستطيع أن يمد يده إلى عمل فى المنزل ! » إن عمل أولئك الرجال فى المستشفى قد جعلهم أكثر مما كانوا استعداداً لأعمال المنزل ، وتقول امرأة أحدهم : « إن بلاط منزلنا لم يكن مصقولا قط كما هو الآن ! » .

وفى الصيف الماضى أصيب إقليم نيوهافن بوباء من شلل الأطفال ، ودخل المستشفى ٢٠٥ ممن مرض به ، ولما كان لكثير من المتطوعين أولاد فقد رؤى أن لا يعرضوا أنفسهم للعدوى . ولكنهم ما إن رأوا جماعة الموظفين النظاميين فى المستشفى يكادون يتداعون إعياء من كثرة العمل ، حتى لم يبق منهم أحد إلا عاد إلى عمله أثناء الوباء .

وقد أمدّ مجهود هؤلاء المتطوعين مستشفى نيوهافن بما يكافئ فى قيمته اثنتى عشرة وظيفة من وظائف الخدم الذين يعملون يوماً كاملا . ولا يمكن فى الواقع تقدير عملهم بالمال لأنهم أشخاص أذكياء ومفكرون ، وكثير منهم اقترح مقترحات

قيمة لتحسين الطرق المتبعة وتيسيرها . فآل وورثن الذى يعمل بشركة أحجار قد وضع مثلا تصميما لآلة يحرك بها وعاء الأكسجين الثقيل بسهولة وسرعة ، عند ما رأى صعوبة نقله إلى المكان الذى يجب أن يوضع فيه أثناء الاستعمال .

ومنذ زمن غير بعيد نقه من الالتهاب الرئوى عامل مكسيكى فأخذ يتفجع بالإسبانية كلما دخلت عليه الممرضة ، وكانت لا تعرف غير الإنجليزية ، وهو لا يعرف غير الإسبانية ، فبعثا فى طلب متطوع يحذق اللغات من جامعة ييل . فأصغى إلى ما يقوله الرجل ، وقال للمرضة : « إنه يشكو من الماء المثلوج ويظنه يؤذيه ، فأعطيه ماء فاتراً يهدأ » . ثم ألف بعد ذلك معجما إنجليزيا إسبانيا موجزاً للمرضى والممرضات .

وقد أفادت أعمال المستشفى أولئك الأشخاص المكدودين من رجال الأعمال ، ويصفها أحد الأطباء بأنها كانت لهم : « كالطب بالتسلية »، ويقول : إن الأشخاص الذين يجهدون عقولهم طول النهار يفيدون من هذه الأعمال مثل ما ينفقون، لأن اشتغالهم ليلا بمثل هذه الأعمال البدنية التى يرونها نافعة ، إنما هو رياضة وتجديد لقواهم » .

وكثيراً ما يمتد هذا العمل النافع إلى خارج المستشفى ، فمن هؤلاء المتطوعين رجل له مقام فى الصناعة ، كان يشرف على إيطالى عجوز بترت ذراعه اليسرى . وجاءت ليلة فوجد المريض يكاتم نفسه البكاء .

فسأله : « ماذا دهاك يا تونى ؟ » .

فأشار الرجل إلى ذراعه البتراء قائلا : « لن أصلح منذ الآن لعمل . فمن ذا الذى يستأجر رجلا أجذم ؟ » .

فأعطى للمريض بطاقته قائلا : « تعال إلىّ يوم تماثل للشفاء ، وأنا أهيىء لك عملا » ومنذ ذلك اليوم عجل إليه الشفاء .

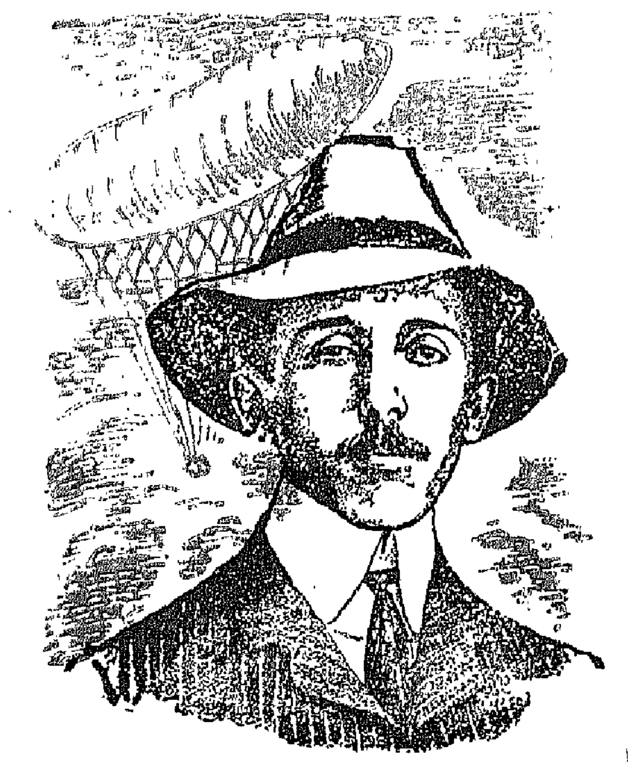
وكثيراً ما يحاول المرضى أن يجازوا أولئك المتطوعين بعطفهم . فقد حدث منذ زمن قريب أن عهد إلى رجل من رجال الأعمال لا يقل دخله عن خمسة أرقام ، أن يقوم بتجهيز زنجى يغادر المستشفى بعد برئه . وقد تولى له من قبل أمر استحمامه ، ودفع مقعده المتحرك إلى غرفة الأشعة ، وهيأه لعمل جراحة له ، فلما وقف الزنجى على باب المستشفى مضطرب الساقين وضع فى يد رجل الأعمال ورقة مالية بالية قيمتها ريال . ثم قال له : « لقد كنت شديد العطف علىّ يا سيدى ، وأريد أن تعلم أنى أقدره » .

وقد ردّ المال على صاحبه، ولكن رجل الأعمال يقول : « إن هذا الريال كان أجمل ريال استحققته فى حياتى » .

سنتوس ديمون : رائد الطيران

ماريون لوندس

ملخصة عن مجلة « حقائق الطيران »



البرازيلى الذى أثبت لعالم مشدوه ، في جرأة بالغـة وأسلوب للعرض مبين ، أن الإنسان قادر على الطيران .

كان يوماً ما كناً من أيام سبتمبر ١٨٩٨ ، يوم علمت باريس أن ألبرتو سنتوس ديمون ، الشاب البرازيلى الموسر ، المقيم بالعاصمة الفرنسية ، قد تأهب للطيران فوق المدينة فى « سفينة جوية » . وكان هذا الاختراع العجيب ، الذى كلف ٣٠٫٠٠٠ ريال ، كيساً مستطيلا من الحرير المطلى ، ممتلئاً بغاز الإيدروجين وقـد بلغ طوله ٨٠ قدماً ، وجهز بمحرك منتزع من دراجة ذات عجلات ثلاث ، قوته ٣ ½ حصان .

كان خبراء راكبى البالونات قد أخطروا هذا الطيار المجازف أن استعمال المحرك الذى يدور بالبنزين ، وهو غير مرتكن على الأرض ، يحـدث اهتزازاً يهد الأعصاب . ولكنه كان قد علق دراجته المثلثة العجلات بغصن شجرة ، فوجد أن عمل المحرك الدائر فى الهواء لا يختلف سواء أكان على الأرض أم فوقها . وقال الخبراء إن الإيدروجين داخل الكيس سيلتهب وينفجر ، أما سنتوس ديمون فقـد كان له فى ذلك رأى آخـر .

وأذاع أنه سيحلق فى الجو من حدائق الحيوانات ، وهى فى قلب باريس . فصعد ذلك الطيار الأنيق فى « سيارته الهوائية » أمام جمع مشدوه ، وقد لبس بذلة مخططة وقفازا من الجلد الناعم وقبعة . وبدت « السيارة الهوائيـة » كأنها سلة غسيل مصنوعة من عيدان الصفصاف المجدولة ، وقد ألحق بها محـرك يدور بالبـترول ، ومروحة ذات ريشتين . وقد شـد كل هذا بالحبال إلى بالون .

وصاح : « اتركوها جميعاً » فتراجع

العمال ، ودار المحرك وارتفع البالون « سنتوس ديمون رقم ١ » في الجو مظفراً .

الإنسان يطير ! وهتف الجمع وبكى ، فهذه أول مرة رأى فيها أحدهم بشراً يتحكم في توجيه نفسه في الفضاء . وإذا فتاة تصيح : « لقد تحطمت ! » .

نعم تحطمت . أصابها الخلل ، فانثنى الغلاف الكبير من وسطها ولم يبق على ارتطامه بالأرض سوى لحظات . وكان البالون « سنتوس ديمون » ساعتئذ فو ان فيه صبية يلعبون بالمحلقات (طائرات الورق) .

فصاح حين لامست الحبال الأرض : « أمسكوا بالحبل الأمامى ودوروا به في اتجاه معاكس للريح كأنه محلقة تلعبون بها » . ففعلوا ، فخفضت مقاومة الهواء شدة السقطة وقد قال بعد : « هكذا نجوت أول مرة » .

ولكنه استطاع أن يطير ، فقد ارتفع بقوة محركة ، لا بإلقاء الأثقال كما كان يفعل راكبو البالونات . وقد تمكن من توجيه سفينته كما أراد .

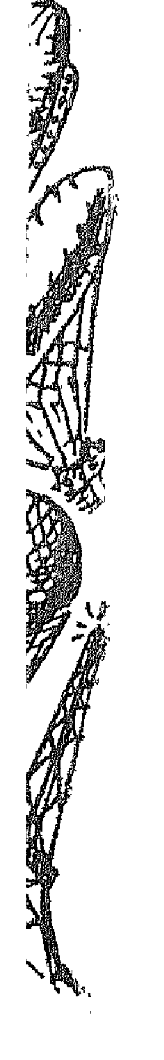
لم يكن وزن سنتوس ديمون ، وهو أول من استطاع أن يطير معتمداً على قوة البنزين المحركة ، يزيد على مئة رطل . ولكن هذا الأجنبي الصغير النحيف المتأنق في ملبسه ، الكبير الرأس ، كان بطلا في باريس حتى قبل طيرانه الأول .

فكانت الأمهات الطموحات تتمنى أن ترى بناتهن يتنزهن معه . وكان أعضاء جوكى كلوب من أرباب الرياضة وحملة الألقاب المتمرسين بالحياة ، يرحبون به لمهارته وجرأته في تعريض حياته للخطر وهو محتفظ برباطة جأش المجازف العاتى . كان رجلا خبر الدنيا وجربها ، ولكنه لم يزل بسيطاً صريحاً كالطفل . وكان يعمل طيلة الصباح في مصنعه الخاص وقد خلع سترته ، ثم لا يلبث أن يظهر في أعظم المط أناقة لتناول الغداء مرتدياً على دأبه القبعه العالية والسترة الرسمية .

وحين أراد الوقوف على أثر التحليق في بدنه لم يزد على أن يرتقى أعلى قنن الألب . وحين ارتفع أول مرة ببالون ، أخذ معه غذاء من الدجاج واللحم البقرى البارد والشمبانيا والمثلجات والفطائر ، وظل يأكل وهو يطفوه إلى عالم أبيض غير شفاف ، ثم فسر للباريسيين الفرحين بما يرون ويسمعون ، أن لاشيء أعظم متعة من هذا .

وقد وضع تصميم أصغر بالون وأسماه « البرازيل » ، وكان إذا عاد من التحليق به ، يرجع إلى باريس في سيارته القرمزية ، والبالون في حقيبة على المقعد بجانبه .

كان يوم فاز أول فوز ، في الخا والعشرين . وقد ولد بالبرازيل سنة ١٨٧٣ ،



وهو عاشر عشرة أبناء، أبوهم أحد ملوك البن في ساوباولو ، فأتيحت لعبقريته الميكانيكية فرصة الظهور في ضياع والده الفسيحة ، حيث تستعمل أحدث الآلات المعروفة حينئذ ويبلغ طول الخطوط الحديدية الخاصة بها ٦٠ ميلا . وكان ، وهو في الثانية عشرة ، يقود قاطرة أمريكية تنقل شحنات البن الأخضر . وكان أحياناً يلتفت إلى السماء البرازيلية حيث : «كانت الطيور تحلق متهادية بأجنحتها الكبيرة المنشورة ، وحيث ترتفع السحب بهيجة في ضوء النهار النقي ، فما عليك إلا أن ترفع عينيك حتى يستهويك الفضاء والحرية » ، كما كتب بعد سنين .

وقد أوحت إليه قصص جول فرن ببناء البالونات الصغيرة ، وجعلته يحلم بسفينة يمكنها أن تشق طريقها في الهواء .

وحصل على درجة الشرف في العلوم بجامعة ريودي جانيرو ، فأقنع والده بأن يوفده إلى باريس ليدرس علوم الطيران . وكان الباريسيون قد أخذوا في العقد الأخير من القرن الماضي، بوسائل الانتقال الشاذة — العربات التي لا تجرها الجياد ، والدراجات الميكانيكية المثلثة العجلات ، والبالونات .

على أن دهشته كانت بالغة حين رأى بالونات كروية كثيرة في باريس ، ولكن ليس منها ما يخضع لتوجيه قائده ، فقد حالف الشؤم المحاولات التي جرت من هذه الناحية إذ اتضح أن سفينة الهواء البخارية لجيفارد ، ومثيلتها الكهربائية لرينار ، غير صالحتين من الوجهة العملية ، أما سفينة ولفرت فقد اضطرمت فيها النار وقتلته ، وكذلك انفجرت سفينة شوارتز ذات الهيكل الجامد.

ومع ذلك فقد بدأ سنتوس ديمون يجرب التجارب التي مهدت لفوزه سنة ١٨٩٨ في حدائق الحيوانات ، وشجعه النجاح على أن يصنع أربعاً أخرى من هذه الآلات التي تكلف إحداها ٣٠٫٠٠٠ ريال . ومن ثم تأهب للفوز بجائزة دويتش المرموقة التي كانت تبلغ ١٢٥٫٠٠٠ فرنك ، وكانت قد حصصت لمن ينجح في الطيران حول برج إيفل ثم يعود إلى « سان كلو » في نصف ساعة .

وفي ٨ أغسطس ١٩٠١ ، أقلع سنتوس ديمون من مكان الابتداء ، فبلغ البرج في تسع دقائق ، ولاح له أن الجائزة أصبحت في قبضة يده . ولكن ما إن وصل إلى البرج حتى اهتزت الحبال التي تحمل سلة الصفصاف المجدول اهتزازاً عنيفاً ، فارتخت الحبال الأمامية فأعملت فيها المروحة التقطيع ، ولن تنقضي ثوان حتى يقذف به في الفضاء . فأبطل سنتوس ديمون المحرك في سرعة البرق ، فهدأت سرعة المروحة ثم وقفت ،

وانساقت الآلة الضخمة مع الريح ، وقد كاد جسمها ينهار ، حتى اصطدمت بسطح بناء ، وتلا ذلك انفجار قاصف ، فاختفى البالون وسنتوس ديمون ، عن الأنظار .

وأسرع عمال المطافىء الباريسيون إلى مكان الحادث ، فوجدوا الطيار متشبثاً بحافة نافذة ضيقة تعلو مئة قدم من سطح الأرض وهو ينتظر عمال الإنقاذ لتوجيههم ، وكان محور السفينة قد هبط مائلا واستقر طرفاه على سطحين ، فأنقذ الطيار من الموت

وفى نفس الليلة أمر ذلك المخترع الذى لم تهن عزيمته ، بصنع سفينة « سنتوس ديمون رقم ٦ » ، وفى أقل من شهر حلق بها متجهاً مرة أخرى نحو البرج . ووقف جمع حاشد يرقبه ، ولازمت سفينته اتجاهها فى ثبات كما حدث فى المرة السابقة ، ولكن محركها البدائى كاد يقف أثناء دورانها حول البرج ، فترك سنتوس ديمون آلات القيادة ، وأحكم توقيت الشرارة الكهربائية فى المحرك ، ثم عاد مظفراً بسفينته إلى نقطة البدء ، ليفوز هذه المرة بالجائزة التى قسمها من فوره بين رجال مطاره وفقراء باريس .

وكان الناس لا يزالون يذكرون بصره يوم شيد فى نوبى ، إحدى ضواحى باريس ، حظيرة للبالونات ، مخططة باللونين الأحمر والأبيض ، ووضع فيها ثلاث سفن أخرى .

وإنها لأسطول جوى كبير يملكه طيار يعمل لحسابه الخاص ولمتعته الشخصية ، وإن قيس بمقياس هذا الزمان .

ودأب سنتوس ديمون على أن يبقى الطيران بين سمع الجمهور وبصره ، ليثبت أن مآله أن يصبح جزءاً من الحياة اليومية ، فكان يطير بمحاذاة شارع الشانزيليزه ويهبط عند مقهاه المختار ليحتسى شراباً .

واعتاد أن يقلع إلى مسكنه فى الشانزيليزه إذا كان يعمل فى نوبى ، ليتناول الغذاء ، فيرقبه الخادم على الدرج ليمسك بالحبل الأمامي . ويذكر القوم ، الذين كانوا فى باريس يومئذ ، أنهم تعودوا أن يروا مصابيح مركبته تتلألأ فى الفضاء فى الليالى الرائقة . وحين عرض رئيس جمهورية فرنسا فصائل الجيش يوم الباستيل ، كان سنتوس ديمون ، من فوق يطلق الخراطيش يحيي الجيش الذى وقف على الأرض يغبطه مكانه .

وكان عائداً مرة من حفلات السباق فى « أوتى » ، فنشبت النار فى المحرك ، فترك السفينة تتجه كيف تشاء وزحف إلى المقدمة ، فأخمد النيران وهو يلطمها بقبعته .

وقد ساعد على ذيوع شهرته سقوطه مراراً ونجاته مراراً وهو على قيد شعرة من الموت .

وأرسل مرة فتاة شابة بمفردها فى الجو أثناء مباراة بولو بين الأمريكيين والإنجليز .

قال لهـا : « اتجهى نحو ميـدان البولو ، وسأمتطى دراجة وألقاك هناك . واجذبى هذا الحبل إذا فزعت ، فإذا أغمى عليك فإنك تهبطين فتصـدمين الأرض صـدمة شديدة . ولـكنها لن تقتلك » .

ولم تكن الفتاة من صرعى الإغمـاء ، فارتفعت واثقـة تشق طريقها فى السماء . ولما حلق المنطاد فوق الميدان أجفلت الخيل وجمحت . فقـال أحدهم : « إنه سنتوس ديمون أيضاً » ، ثم ضجت المنصة ، فما كان هـذا سنتوس ، بل الآنسة الجميلة عايدة دى أكوسـتا ، وعلى رأسها قبعة كبيرة ثبتت بخمار شفاف ، وهبطت آمنة ، ولبثت تشاهد مباراة البولو ، ثم عادت طائرة إلى نوبى ، على حين كانت باريس تحملق فاغرة فاها . فكانت المرأة الوحيـدة التى طارت أبداً وحدها فى منطاد مسيّر .

وقد ليم سنتوس ديمون ، إذ سمح لامرأة شابة أن تعرض نفسها لمثل هذه الأخطار . فاحتج قائلا : « ولـكن لا خطر ، إن الطيران من البساطة بحيث تقدر عليه صبية لم تزل بعد فى المدرسة » .

كان ألبرتو سنتوس ديمون سابقاً عصره بأربعين عاماً ، وكان يتصور أن سيكون عالم جـديد تربط الخطوط الجوية بعضه ببعض . فتنقل الركاب والبريد والبضائع . وكان يريد أن يشرك العالم فى أحـلامه . ولـكن الرجال البارزين ضربوا صفحاً عن أفـكاره ، وأطلق عليه الصحافيون ، وهم يصفون سقطاته العديدة ، لقباً يزرى به . ولكن أمير موناكو عرض عليه سنة ١٩٠٢ أن يشيد لبالوناته حظيرة إن هو انتقل بها إلى مونت كارلو أثناء الشتاء ، فوافق على ذلك . ودعى هذا الشاب البرازيلى ، اللطيف المعشر المجازف المتهور ، إلى الغداء عند أمير موناكو ، وإلى العشاء عند أصحاب البنوك . فكان يثير الحماسة أبداً كلما ارتفع فى الجو ، وكانت اليخوت والمراكب الشراعية تخرج لاسـتقباله إكراماً له ، وكان مشاهـير المتسابقين بالسيارات ينطلقون بسرعة بلغت ٤٠ ميلا ليجاروه فى سيره .

ولـكن سفنه الجوية كانت لا تزال بعيدة عن الكمال ، فهى لا تطير إلا فى الجو الهادئ . وكانت الخطوة التالية أن تبنى آلة أثقل من الهواء ، فنجح بعد تجارب متعددة جربها بآلات تجمع بين الطائرة والمنطاد .

وفى سنة ١٩٠٦ ، عرض على العـالم ، لأول مرة طيران آلة أثقل من الهواء ، ثم أنشأ بعد ذلك أول طائرات صالحة من ذوات السطح المفرد ، وكانت مصنوعة من الخيزران والحرير اليابانى ، وكان وزنها لا يتعدى ٢٤٢ رطلاً ، منها وزن المحرك

ووزن صاحبها ، وأسماها « دراجن فلاى » (اليعسوب) . وفى عام ١٩٠٩ ، سجلت « دراجن فلاى » الثانية رقماً قياسياً للسرعة، إذ قطع بها خمسة أميال، مسفاً فوق الوشائع وأعالى الشجر بمعدل ½ ٥٩ ميلا فى الساعة.

وكان هذا فوزه الأخير ، إذ بدأ الطيران فى نفس هذا العام، ينتقل من أيدى المخترعين إلى المهندسين والميكانيكيين ، فأصبح يلتقى فى الحظائر رجالا يعلوهم القذر يتكلمون كلام السوقة ، وأضحى الطيران ألعاباً تعرض تسابقاً وتزاحماً على الجوائز ، فرأى ذلك الأرستقراطى البرازيلى الأنيق أن الأمر أصبح لا يطاق ، فانسحب من الميدان .

أيقن سنتوس ديمون أن مخترعاته ستجعل الحرب أمراً رهيباً حتى يعرض البشر عنها . فلما نشبت الحرب العالمية الأولى صدم صدمة قوية ، فانزوى فى داره بالقرب من باريس، حيث أصابته عوارض السوداء . وانتهى به الأمر أن أقنع نفسه المروعة العاجزة ، بأنه هو الذى يحمل تبعة الحرب .

وكانت كل كارثة طيران ، فى السنين التالية للهدنة ، تزيده شعوراً بأنه أنزل بالعالم لعنة . ولما عاد إلى البرازيل سنة ١٩٢٨ طارت طائرة من طراز « كندور » لاستقبال سفينته ، ولكنها سقطت فى ميناء ريو وقتل ركابها ، فحضر سنتوس ديمون الجنازة ثم أوصد على نفسه باب حجرة الفندق عدة أيام . ولما تحطم المنطاد (ر- ١٠١) حاول أن ينتحر . فبعد ذلك اشتدت عليه رقابة أقربائه وأصدقائه المخلصين .

ثم اندلعت فى ساوباولو سنة ١٩٣٢ ، ثورة قصيرة على الحكومة البرازيلية ، ورأى سنتوس ديمون فى سماء وطنه الزرقاء ، آلة التدمير الضخمة التى ولدت يوم سار بها حول برج إيفل ، فلما تركه ابن أخيه وحده لحظات، عاد فوجده قد اختفى . ثم عثروا عليه فى غرفة الحمام وقد شنق نفسه برباط عنقه .

إن أثر سنتوس ديمون لظاهر الآن فى كل مكان ، فقد تولد تشبّع شعوب العالم بروح الطيران عن مهارته فى العرض. أما الطائرات التى جعلت الحرب قتالا فى الجو علاوة على البر والبحر ، فإنها تلتفت جميعها إلى سلف مشترك فى طائرتيه « سنتوس ديمون » و « دراجن فلاى » . ومما يبعث على الحسرة أن الذى تعهد الطيران وليداً لم يستطع الانتظار حتى يرى الستار يرتفع عن الفصل التالى ، يوم تبدأ طائرات الركاب الضخمة وناقلات البضائع التى تزحم السماء بأكتافها ، تعقد الأواصر بين البلاد والشعوب بطريقة تعجز عنها أى أداة أخرى . إن العالم الجديد الذى تراءى لسنتوس ديمون لتستشفه العيون منذ اليوم من خلال غيوم الحرب .



مدبرة شئون البيت الابيض

هلن فرناس
ملخصة عن مجلة " كورونت "

في مارس سنة ۱۹۳۳ قلدت المسز « هنريتا نزبت » عملا جديداً ، فأقبلت على مهمة تبعث على أشد التخوف . وكان هذا العمل الجديد — وهو تدبير شئون البيت الأبيض — معناه الاضطلاع بتبعة الإشراف على شئون أهم منزل في الولايات المتحدة . وقد لقيت لحسن الحظ في الأيام الأولى وهى جديدة العهد به ، عوناً وعزاء من رئيس الخدم الزنجى المديد القامة الكريم السمت ، والبالغ من الطول ست أقدام ومن الوزن ۲٥٠ رطلا ، فقد جاء البيت الأبيض مع الرئيس هوفر وحرمه في سنة ۱۹۲۸ ، وهو يعرف التقاليد المتبعة فيه معرفة دقيقة . وكثيرون من الخدم الآخرين ، من الذين قضوا مدة طويلة في الخدمة هناك ، فأحد الطهاة قد مضى على خدمته أربعة عشر عاماً ، وأحد البوابين يجيد الحلاقة ، فكان يحلق للرئيس تافت منذ خمس وثلاثين سنة.

ويبلغ عدد هيئة الخدم في البيت الأبيض خمسة وعشرين خادماً ، جميعهم من الزنوج ، وهم لا يلحقون بالخدمة إلا بعد أن يتحرى قلم المباحث السرية لحكومة الولايات المتحدة أحوالهم تحرياً دقيقاً . والمسز نزبت نفسها لا ترقى أحداً إلى الخدمة في الطابق الثاني — وهو مطمح الأبصار — إلا بعد اختبار دقيق لأخلاق الخادم وشخصيته .

ففي ذلك الطابق يقيم الرئيس روزفلت وزوجه ، وله باب من الحديد يحرسه حارس .

والبيت الأبيض ، مثل سائر البيوت الأمريكية ، تتعبه مشكلة الخدم ، وقد استدعى مجلس التجنيد المحلى بعض مستخدميه ، والبعض الآخر استغواه ارتفاع الأجور في أماكن أخرى .

ويبيت عدد قليل من هيئة الخدم في مساكن الطابق الثالث الخاص بالخدم ، لكى يتيسر استدعاؤهم حين تقع أزمة دولية في جنح الليل ، فيقتضى الأمر حضور زائرين من العلية مهرولين إلى البيت الأبيض ، ويحتمل أن يضجوا في طلب القهوة . وسائر الخدم الذين يقيمون في منازلهم مقسمون فرقتين ، تتناوب كل منهما العمل ثماني ساعات ، وفي كل نوبة يحضر ثلاثة من الطهاة . ومسز نزبت تحضر في الساعة السابعة والربع صباحاً إلى البيت الأبيض ، وتظل هناك حتى الساعة الخامسة ، إلا في الليالى التي يكون فيها حفلات عشاء رسمية .

يطهى الطعام على موقد كهربائى ضخم حوله ألواح من الحديد ، وهناك منضدة يسهل حملها ونقلها ، وفي داخلها بخار لنقل الطعام الساخن إلى أية ناحية من نواحى الدار . وثمة خمس آلات ميكانيكية لغسل الصحاف والصحون ، وثلاجات عدة ، ووعاء يتسع لحفظ ثلاثين جالوناً من المثلجات ،

وجهاز كهربائى للطعام المجمد ، وإناء ضخم له صنبور يدار بالكهرباء لإعداد الحساء ، وساطور يتحرك بالكهرباء لتقطيع الطعام ، ومفرمة للحم ، وآلة لخفق مواد الطعام السائل ومزجها ، وكلها ضخمة .

ولا مفر من أن يكون كل عشاء بالبيت الأبيض فى زمن الحرب مؤتمراً لا يمكن معرفة عدد أعضائه على وجه التحديد ، إلا قبل العشاء بنصف ساعة ، والضيوف الذين يكثر حضورهم يراعى فيما يقدم لهم من غذاء ما يوافقهم وما لا يوافقهم من أصنافه .

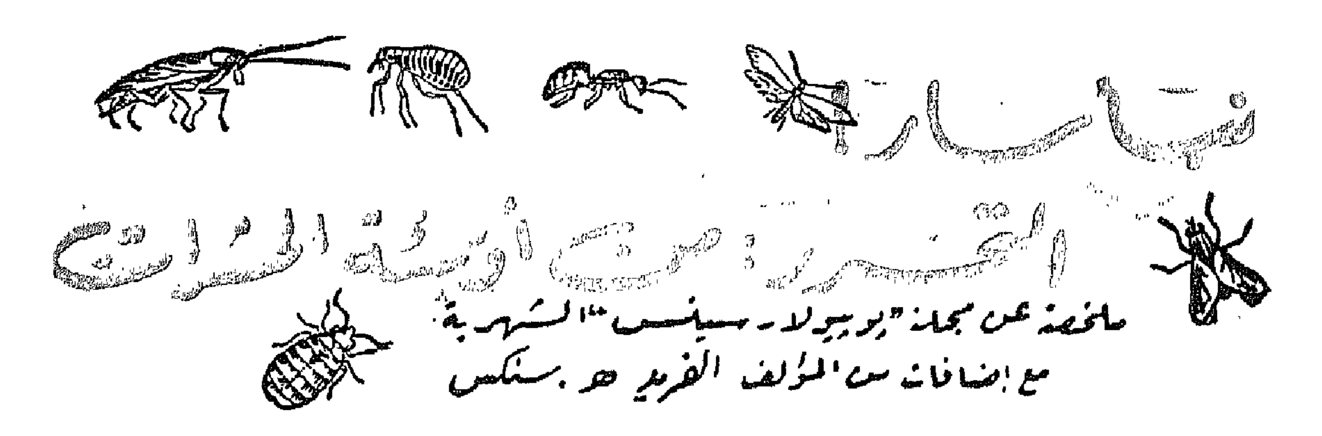
ومسز نزبت تسجل في محفوظاتها جميع الأنواع التى تقدم فى مأدبة ما ، حتى ما يقدم بعد تناول العشاء من شراب النعناع ، لكى لا تتكرر ألوان الطعام . ولأسباب تاريخية تطبع كشوف ترتيب المقاعد حول المائدة وتحفظ .

وكانت المائدة المقوسة فى البهو المخصص لولائم الدولة تعد قبل الحرب لمئة وعشرة أشخاص، وفى الحفلات الرسمية كانت تستعمل الآنية والأدوات الذهبية التى اشتراها الرئيس منرو من فرنسا . ولكن مآدب البيت الأبيض خفضت الآن إلى أدنى حد مراعاة للاقتصاد ، وطويت الآنية الذهبية . وأقصى عدد يحضر مأدبة ما هو خمسون أو ستون ، وهذا مع ذلك عدد ضخم في نظر المسز نزبت التى تدبر بعناية شئون الغذاء في حدود الجرايات المتاحة لها الآن .

وإدارة التموين الحكومية ترسل إليها ما يكفى للاستهلاك في البيت الأبيض خلال شهرين ، فالمستر روزفلت وزوجه فى نظر لجنة التموين مجرد سكان بالبيت الأبيض الذي يعد من «المؤسسات» مثل الفنادق والمطاعم ، وقد قدرت لوازم البيت الأبيض من التموين على أساس عدد الذين تناولوا الطعام فيه خلال شهر ديسمبر سنة ١٩٤٢ .

وقد أحسنت مسز نزبت التصرف فى معظم مواد الطعام الخاضعة لجراية دقيقة ، واختصرت ألوان الطعام التى تقدم إلى ثلاثة، واستعاضت ، حتى فى الولائم الرسمية ، من اللحوم المعتاد تقديمها بالطيور والسمك ، وهى غير خاضعة للجراية . وقد قدمت مسز نزبت اللحم البقرى لونستن تشرشل وجماعته لأنه « مناسب » ، ولكنها لما رأت مقدار ما استهلكه الإنجليز من اللحم التزمت خطتها الأولى ولم تشذ عنها ، وهى لا تعانى مشقة ما فى إعداد الطعام لآل روزفلت ، فالرئيس يفضل السمك والطيور .

و « السيدة الأولى » — مسز روزفلت — تراجع قائمة أصناف الطعام كل يوم ، ولكنها قلما تقترح تعديل ما فيها . وتلقى نظرة كذلك على ترتيب مقاعد الجلوس ، وقد تنقل السيدة س إلى جانب السيد ى على أن لا يكون ذلك مخالفاً للأصول المرعية (البروتوكول) فى الترتيب الذى تشرف وزارة الخارجية عليه . وإذا استثنينا ذلك ، وما اعتادت القيام به من إعداد طبق من البيض المزوج بالزبد فى وعاء ساخن لعشاء يوم الأحد ، فإنها تترك جميع الشئون المنزلية فى يدى المسز نزبت القديرتين .



أخيراً عثر العلم على أسلحة تكفل له النصر الحاسم فى معركة الحشرات . ومغزى هذا النبأ أن السنين المقبلة ستجعل توفيقنا أتم فى كفاح كثير من الأمراض . إن ذبابة المنزل هى التى يعزى إليها إعداء خمس مرضى السل ، وكثير من مرضى الزحار (الدوسنطاريا) ، والنزلات المعوية ، وحمى التيفود . والتغلب على هذه الحشرة لن يمحو هذه الآفات ، ولكنه سيكف من غوائلها إلى حد بعيد.

وستكفل السيطرة القاهرة على الحشرات اللذاعة رفاهية فى الحياة من نوع جديد . ففى الصيف نستطيع أن ننسى حملاتنا الخائبة عليها بما فات أوانه من الرشاش ، ومزيج الأترج (الستروناللا) والنفط الكريه الرائحة ، ومصايد الذباب الصمغية التى كانت تجعل البيت فوضى ، وتعيى عن إزعاج الذباب ، بل لقد ننسى كيف نحك أبداننا.

بعد اعتداء اليابانيين على بيرل هاربور فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٤١ بوقت قصير ، بدأ الكيميائيون وعلماء الحشرات فى وزارة الزراعة بالولايات المتحدة يبحثون عن طرق لحماية الجنود الأمريكيين من غوائل الحشرات وما تنقل من الأمراض ، فعاد إليها أكبر الفضل فى أن أصبح الجيش الأمريكى اليوم أقل جيوش العالم مرضاً فى كل أدوار التاريخ . وفى الأشهر القلائل الماضية اكتملت أسلحة جديدة ثلاثة لكفاح أعداء البشر من الحشرات .

الأول : سم فاتك بالحشرات هو « داى — كلورو — داى — فينيل — تراى كلورايثين » ، أو كما يسمى اختصاراً د . د . ت . ففى الوسع صنع مقادير ضخمة منه بنفقات قليلة ، وهو يصنع مسحوقاً يرش به الشعار (ما يلى الجسد من اللباس) وبطانة أكمام القميص ، وأرجل السراويل ، فيقى من قمل الجسم ، ويدرأ القراد والبراغيث النفاذة فى الجسم ، فإذا استعمل رشاً ، استطاع ،

بعد رشة واحدة ، أن يجعل جدران غرفة كفيلة بسم الذباب ثلاثة أشهر ! ومع ذلك فإن هذا المركب الكيميائي لا يؤذي الإنسان ولا الحيوان أقل إيذاء .

الثاني : مركب كيميائي مستحدث يستعمل خارج المنازل فيجعلها حراماً على الحشرات ، وهذا الطارد الجديد المركب من ثلاث مواد شاع استعمالها في الماضي ، يبلغ فعله من القوة ثلاثة أضعاف فعل الأترج ، ولكنه يكاد مع ذلك يكون لا رائحة له .

الثالث : طريقة جديدة لاستعمال ما تحت أيدينا اليوم من سموم الحشرات ، تضاعف قوتها عدة مرات .

في سنة ١٩٣٥ عين بمكتب علم الحشرات للولايات المتحدة عدينة بلتسفيل في ولاية ماريلند ، كيميائي في الثلاثين من عمره يدعى ليل د . جودهيو . فعرضت له ذات يوم فكرة دونها في سجل مذكراته الزاخر : « لم لا يستعمل غاز كالفريون الذي يسيل تحت ضغط قليل ، ويغلي في درجة ٢١ تحت الصفر ، مذيباً وناشراً لسموم الحشرات ؟ » وكذلك نشأت سموم الحشرات « الإيروزولية الجديدة » .

والإيروزول ذرات دقيقة معلقة في هواء أو غاز . ولقد كانت سموم الحشرات الشائعة في الوقت الحاضر مكونة من رش ثقيل سرعان ما يرسب على الأرض أو الجدران

منذ سبعين سنة وصل كيميائي ألماني إلى تحضير المادة د . د . ت ، ولكنه لم يدرك قط أي مركب نافع وقع عليه . نعم ، ولم يبد أن مصنع جيجي السويسري الذي سجل هذا المركب على أنه قاتل للعث في سنة ١٩٣٩ ، قد أدرك ، فإن هذا المصنع لم يستثمر منافعه قط .

وفي سنة ١٩٤٢ كان الطبيب الأول في جيش الولايات المتحدة ، بالاشتراك مع وزارة الزراعة ، يعملان بهمة على إيجاد سموم للحشرات أقوى من السموم المعروفة ، فاختبر رطلا واحداً من قاتل العث الذي تنتجه مصانع جيجي ، والذي نجح عمال الولايات المتحدة في تهريبه من سويسرا . وفي مايو سنة ١٩٤٣ كانت مصانع دوبون تنتجه في مصنع كلف نصف مليون ريال . ومنذ ذلك اليوم أخذ جيش الولايات المتحدة يرسله بالطائرات مباشرة إلى نابلي والقاهرة وبلاد المحيط الهادئ الجنوبي .

إن المساحيق القاتلة للقمل ، التي عثر عليها مع الأسرى الألمان ، أضعف من د . د . ت ، ولا ريب ، ومع ذلك فلا شك في أن الجيش الألماني يعرف المادة د . د . ت الآن ، إذ من المحتمل أن يكون الألمان قد عثروا مع أسراهم من جنود الحلفاء على العلب التي فيها أوقيتان من مسحوق د . د . ت . ولكن لن يكاد الألمان يوفقون إلى التغلب على مصاعب إنتاجه حتى يكون أوان الانتفاع به في الحرب قد فات .

أو الأثاث . أما فى الإيروزول فإن المادة السامة للحشرات تكون من اللطف بحيث تسبح ذراتها الدقيقة فى الهواء كأنها الدخان أو الضباب (مدة تطول إلى خمس ساعات إذا سكن الهواء)، وبذلك تنفذ فى كل شق وفرجة

وإذا نفث عود القرح (پايريترن) وهو أقتل سموم البعوض فى إيروزول ما ، أصبح أقوى أضعافاً منه مذوباً فى النفط ومرشوشاً من الرشاشة ، فتقتل خمسة المليجرامات منه — أى ما يساوى قطرة صغيرة — فى دقيقة واحدة ، كل بعوضة فى غرفة مساحتها ١٢ قدماً مربعة وارتفاعها سبع أقدام .

ولقد شاء الحظ السعيد أن يبدأ الدكتور جودهيو تجاربه على الإيروزولات قبل الحرب فى يناير سنة ١٩٤١ ، وذات يوم فى شهر أكتوبر كان يعبر سجل مذكراته فعثر على إشارته إلى « الفريون » .

وكان الفريون ، وهو مركب عضوى محضر يستعمل مبرداً منذ سنين ، سائلا لا لون له ولا طعم ما دام حبيساً فى الثلاجة ، فإذا خلى بينه وبين الهواء استحال لساعته غازاً بريئاً من الأذى ، غير سام وغير قابل للالتهاب . وعود القرح سهل الذوبان فيه ، وإذا أطلق مزيجهما من صمام أسطوانة ضاغطة من المعدن نشر الغاز المتمدد ذرات السم القاتل للبعوض ضباباً رقيقاً . وفى الفريون من طاقة الضغط ، ما يكفى لنفث المزيج فى الهواء ما بقيت منه قطرة فى الوعاء المعدنى ، فلا يضيع منه شئ .

والآن يدّرع كل جندى أمريكى فى كل بلاد ينتشر فيها البعوض « بقذيفة إيروزول » ، وهى وعاء صنع خاصة ، فى ضعف حجم القذيفة اليدوية ، يحوى قدراً من إيروزول الفريون وعود القرح ، لتدخين خيمة صغيرة ٢٥٠ مرة ، أو جوف قاذفة قنابل كبيرة ٥٠ مرة .

وفى الإمكان إذابة السموم الأخر للحشرات فى الفريون ، وقد دأب الدكتور جودهيو منذ ذاك على تجربة إذابة قاتل الحشرات المستحدث العجيب (د . د . ت) فيه . وفى الصيف الماضى خلت استراحة العمال الضخمة فى معامل بلتسفيل من الحشرات تماماً بفضل تدخينها برش د.د.ت. وكان الجيران يحضرون حيواناتهم الأليفة للدكتور جودهيو لتطهيرها من البراغيث، وقلما اضطروا لإحضارها إليه مرة ثانية ، فأيما شئ أصابه د.د.ت يظل يسم الحشرات شهوراً ، وإذا رش د.د.ت على شبك ستائر النوافذ ، فكل حشرة تخر صريعة فى الثقب الذى اعتادت أن تمر فيه .

إن أصحاب زرائب المواشى الحلوب ، وأرباب كثير من الصناعات ، سيجدون فى

الإيروزولات نعمة من نعم الله ، فست رشات منه كافية أن تجعل زريبة ألبان حراماً على الحشرات موسما كاملاً . وقد تخلص مصنع ضخم فى فيلادلفيا من الحشرات تماماً فى ٣٠ دقيقة حين رُشّ بالإيروزول

« والبارا داى كلورو بنزين » ، أقتل ما عرف من سموم العث ، سريع الذوبان فى الفريون . ويوم تصبح الإيروزولات فى متناول المدنيين ، قد يشتد الطلب عليها لتكون قاتلة للعث والسوس . وقد استعمل خبراء وزارة الزراعة الإيروزولات ممزوجة بالنيكوتين ، رشاشاً للحدائق ، فنجحت .

ويحاول الصناع الآن أن يصنعوا وعاء رخيصاً مناسباً لاستعمال المدنيين . ولما كان لابد من حفظ الفريون تحت الضغط ، وجب أن يكون هذا الوعاء ثقيلا بعض الثقل ، ولهذا فمن غير المحتمل أن يكون من الرخص بمنزلة الرشاشة المعروفة . والفريون نفسه أغلى من رشاش النفط المعروفة ، فلما كان أوفى بالغرض من سواه ، مضافاً إليه قوة السموم الجديدة للحشرات مثل د . د . ت ، صار أرخص فى الاستعمال .

على أن مجال البحث لم يزل متسعاً ، فإن معظم سموم الحشرات لا يقتل غير حشرات بعينها ، فهذا د . د . ت مثلا أقتل للذباب ولقائمة طويلة من الحشرات ، ومع ذلك فلا حول له مع العناكب ، كما أن سموم الحشرات المستعملة فى الحدائق يجب أن تحتوى على مواد تقتل الحشرات المؤذية ، ولا تسيء إلى الحشرات المفيدة كالنحل . ولكى يختبر مكتب علم الحشرات هذه السموم المستحدثة ، أنشأ حديقة فسيحة للحشرات تربى فيها كل عام ملايين من كافة الأنواع .

لقد حدث فى العام الماضى من التقدم فى مهمة تحرير الإنسان من أخطار الحشرات ومتاعبها أكثر مما حدث فى نصف القرن الأخير كله ، ولعل التقدم فى السنوات القلائل المقبلة نحو هذا الهدف سيكون أدعى للدهشة والإعجاب .

* * * * *

سر النسبية مبسطاً

كانت سكرتيرة أينشتين تتلقى طوفاً مرهقاً من الأسئلة عن معنى « النسبية » فأراد العلامة أن يعينها على الرد على هذه الأسئلة ، فقال لها أن ترد على كل سؤال من هذا القبيل بما يلى : إذا جلستَ مع فتاة حسناء ساعتين خلتهما دقيقة واحدة ، وإذا جلستَ على فرن ساخن دقيقة واحدة خلتها ساعتين . هذه هى النسبية .

يضطلع سلاح الخدمة فى جيش الولايات المتحدة بأعظم عمل من أعمال التموين فى التاريخ ، ولكن هذا لا يخرج عن أن يكون أحد أعماله المنوعة العجيبة

الرجال وراء الغزو

الجنرال بريهون سمرفيل
قائد سلاح الخدمة بالجيش الأمريكى

حين ينزل جيش بأوروبا ، أو حين يلقى سرب من الطائرات قنابله على إحدى الجزر اليابانية ، لا تجد جرائدكم مشقة فى رواية الخبر رواية تسترعى الأنظار ، ولكن أعمال سلاح خدمة الجيش الذى يمون الجيوش والطيارين فى جميع أنحاء العالم ، لا يتيسر أن تضمن فى عبارة واحدة .

وجهودنا فى هذا الصدد معقدة ومنوعة وواسعة النطاق ، ونحن نعمل فى المؤخرة ، وقل أن تبرز الصحف أعمالنا ، فلنتجه هنا لأول مرة إلى مؤخرة المسرح لنرى عن كثب عمل سلاح الخدمة . .

جميع الأنظار فى الآونة الحاضرة متجهة إلى الاستعداد لغزو غرب أوروبا ، وقد شرع سلاح الخدمة يستعد لهذا اليوم العظيم منذ أوائل سنة ١٩٤٢ ، وقد بدأنا نحشد أكداس المؤن والذخائر فى بريطانيا — من ٦٠٠,٠٠٠ إلى ١,٢٠٠,٠٠٠ طن فى الشهر عدا المؤن والذخائر الخاصة بقانون الإعارة والتأجير ، وغير ذلك من المهمات — وهذا أعظم عمل من أعمال التموين فى التاريخ .

وبعض معدات الغزو الأخرى الكثيرة سأذكرها فيما بعد ، فأكتفى هنا بشىء واحد منها ، فقد تولى المهندسون صنع خرائط لغرب أوروبا وجنوبها للجنرال أيزنهاور ، فصنعوا ٦٩,٦٠٠,٠٠٠ صورة لـ ٣١٣٢ خريطة مختلفة .

وسلاح الخدمة يمون جيوشنا فى جميع أنحاء العالم ، ففى العام الماضى أرسل رجال النقل البحرى ٢٨,٥٠٠,٠٠٠ طن من المؤن بطريق البحر، يقابلها ٨,٨٠٠,٠٠٠ طن شحنت فى السفن خلال حربنا العالمية الأولى . وقد قام فيلق النقل بنقل ١,٨٠٠,٠٠٠ رجل بحراً و ١٥,٠٠٠,٠٠٠ رجل فى الولايات المتحدة . وفى إحدى حجرات وزارة الحربية فى وشنطن يتولى عدد من الضباط لا يتجاوز ستة رجال إرسال ٣٧,٠٠٠ جندى كل يوم ، ويصدرون أمراً بنقل فصيلة من الجيش فى كل خمس دقائق من الليل والنهار .

وكثيراً ما تطرأ أعمال تقتضي السرعة والتكتم ، ففي الربيع الماضي طلب إلى مدير التموين أن نزود قوة معدة لغزو جزيرة آتو في الشمال بما يلزمها من مناظير من طراز خاص وأجهزة راديو وملابس وخيم ، وما إلى ذلك من أربعة وثلاثين صنفاً مختلفة . وكان لابد من صنع بعض تلك المعدات ، ومن جمعها في وشنطن ، ومن وسمها بالعلامة المميزة ونقلها إلى الساحل الغربي — وكل هذا في ستة أيام . وقد صدرت الأوامر بالتلفون يوم الخميس ، واتصل العمل لإنجاز صنعها يوم الجمعة وصباح السبت .

وفي مساء السبت وليلة الأحد ، كانت المعدات تنقل إلى وشنطن ، بعضها بالطائرات وبعضها في حقائب اشتريت من بوسطن ، وسجلت على أنها أمتعة . وصنع مقدار آخر منها في أوهايو ثم نقل في أحد قطارات بنسلفانيا السريعة التي لا تحمل أمتعة ، فكدست في صالون التدخين ، وأحكم أحد المشرفين على القطار إغلاقه وحراسته طوال الليل . وفي وشنطن قضى فريق من رجال إدارة المهمات سحابة يوم الأحد يمحو العلامات المميزة ويسمها بالإشارات الحربية ، ثم شحنها في عربة من عربات الطرود ملحقة بالقطار المسمى « ليبرتي ليمتد » .

وفي شيكاجو نقل الجنود المهمات في ست سيارات كبيرة خلال المدينة ، حيث كان ينتظرهم قطار سنتافي المعروف باسم « تشيف » . وشحنت بعد ذلك في عربة من عربات البضاعة ألحقت خاصة بذلك القطار ، وأقفلت العربة وختمت بالشمع الأحمر ، وسافر بالقطار أحد ضباط التموين ، وكان ينزل في كل محطة حتى لا تفرغ حمولتها خطأ . ولقد استدعى الأمر تريث القطار في القيام من إحدى المحطات ، ريثما اتصل تليفونياً بالجهة المختصة ليعلم القرار النهائي عن إبحار الحملة ، وهل يكون عن طريق لوس أنجلس أو سان دييجو . وقد وصل كل شيء في الوقت المحدد .

وهذا عمل صغير ، ولكنه أنقذ حياة كثيرين من الأمريكيين في آتو . وقد ورد طلب آخر مستعجل بطلب أغطية للوقاية من الماء تكفي ١٦٫٥٠٠ عربة و ٨٥٠ دبابة خفيفة ومتوسطة ، و ٤٧٥ عربة مدفع كانت لازمة للجنرال أيزنهاور في غزو صقلية — على أن تسلم في موانى الشحن في مدى ثلاثة أسابيع . وعلى أثر هذا الأمر وردت برقية من الجنرال يطلب فيها ٣٠٥٫٠٠٠ رطل من شحم حجر الفتيلة و ٣٧٨٫٠٠٠ قدم من المواسير و ٢٧٠٫٠٠٠ قدم من أسلاك النحاس

وكانت الأسلاك مدخرة ، أما سائر الأشياء المطلوبة فكان لابد من استحضارها وإرسالها على وجه السرعة إلى الثغور . لم يكن هذا

كل بدٍ في الأمر ، فالنوع الخاص المطلوب من شحم حجر الفتيلة لم يكن مما يصنع حينئذ، وكانت مواصفاته قد جاءت من إنجلترا مع رسول ، فشرعنا نصنع مقادير كبيرة منه بين عشية وضحاها ، ولبينا الطلب فى الميعاد المضروب بإرسال الـ ٥٠,٠٠٠ رطل الأخيرة بالطائرات من بتسبرج إلى نيويورك .

ولما طلب ٥٧٠٠ جهاز راديو لسلاح الإشارة قبل النزول فى صقلية مباشرة ، اضطررنا إلى تحويلها من ميادين الحرب الأخرى . ووردت برقية تطلب ١٣٥٠ ميل من خطوط التلفون القائمة على أعمدة بجميع معداتها . وحين حاولنا جمع أكثر من مئة محطة راديو من المحطات المتنقلة وجرارات تزن السيارة منها ١٧,٠٠٠ رطل، اضطررنا إلى أخذ أربع من شاطئ الذهب بإفريقية.

وتسمعون أن معركة الإنتاج قد انتهت ، وهذا لا يطابق الواقع ، فنحن نشترى فى سنة ١٩٤٤ أكثر مما اشترينا فى سنة ١٩٤٣، على حين ما سُلم إلينا فيها يفوق ما سلم فى سنة ١٩٤٢ سبعة عشر ضعفا . وقد خفضنا إنتاج الدبابات والمدافع الثقيلة المضادة للطائرات ، ولكننا زدنا زيادة كبيرة ما أوصينا به من عربات النقل والجرارات ومدافع الهاون والقنابل وغيرها .

وفى السنة الماضية وزعت إدارة المهمات على الجيوش ١٥٠ سلاحاً جديداً ، وستوزع فى هذا العام أسلحة جديدة أكثر ، وبعض هذه الأسلحة سيثير دهشتكم كما سيثير دهشة العدو . وقد رأيت من عهد قريب فى إدارة الجنرال جلاديون بارنز ، رئيس القسم الفنى فى إدارة المهمات ، كتاباً عدد صفحاته ١٠١٦ ، وبه تقارير ملخصة عن مشروعات أسلحة جديدة ، وربما كان فى الصفحة الواحدة مشروعان أو ثلاثة . وقد عين الجنرال مارشال ، رئيس أركان حرب الولايات المتحدة ، فريقاً من الرجال فى كل ميدان من ميادين الحرب ، ليوضح للجنود طريقة استعمال الأسلحة الجديدة .

وفى الوقت نفسه تدرب فرق أخرى هنا على استعمال الأسلحة الأخرى الجديدة التى ينتظر توزيعها قريباً . ومنذ سنتين خصصنا ضابطين فنيين فى كل ميدان من ميادين القتال لجمع أسلحة العدو التى تقع فى أيدينا ، ولم يكن عمل هؤلاء الضباط سهلا لكثرة المولعين من الجنود بجمع التذكارات، ولكن عندنا اليوم فى ساحات أبردين لامتحان أدوات القتال ٤٠٠٠ طن من الأسلحة التى استولينا عليها ، وهى تشمل كل طراز معروف من الأسلحة الألمانية وجميع الأسلحة اليابانية على وجه التقريب . وهى تفحص وتفكك ويعاد تركيبها ، وتطلق

نارها ، لموازنتها بأسلحتنا . ويقول الجنرال بارنز أن الألمان يسيرون معنا فى الأسلحة جنباً إلى جنب ، أما اليابانيون فهم متخلفون.

وهذا كله يتفق مع ما رأيناه فى رحلة إلى ميادين الحرب حول العالم ، قطعنا فيها ٤٩,٠٠٠ ميل ، ومع ما رأيناه فى إيطاليا بعد سقوط نابلى بثلاثة أسابيع ، وفى لاى بغينية الجديدة بعد الاستيلاء عليها بعشرة أيام . وقد حادثنا الكثيرين من قادة الفرق وألقينا عليهم سؤالين : هل تصلكم المواد اللازمة ؟ وما وجه النقص فيها ؟ وفى رأى قواد الميدان أن المادة الوحيدة التى يتفوق اليابانيون علينا فيها ، هى نوع من الزيت يحول دون صدأ الأسلحة والعتاد . وعندنا مثل هذا الزيت ، ولكن زيتهم أفضل .

على أن الجمود ليس من ديننا ، ففيلق التموين قد صنع مثلا نوعاً من الصابون صالحاً لجميع أغراض الجندى : لاستحمامه وغسل ملابسه وآنيته ، وهو يستعمل فى الحر والبرد وفى الماء العسر والماء اليسر ، ورغوته صالحة للحلاقة ، ويمكن استعماله معجوناً للأسنان . وقد استطاع قسمنا الطبى أن يصنع تركيبين كيميائيين جديدين يساعدان على منع الملاريا ، أحدهما سائل عديم اللون والرائحة يدهن به الجندى جسمه فيطرد البعوض ، والآخر قنبلة تذر ضباباً خفيفاً يقتل فى أربع ثوان كل ما فى حيز مساحته عشر أقدام مربعة من البعوض.

وقد عاونتنا وزارة الزراعة فى الولايات المتحدة وغيرها من الهيئات ، على صنع مسحوقين جديدين لإبادة القمل كان لهما تأثير بليغ فى ديسمبر الماضى ، حين أذيع حدوث ١٤٧٥ إصابة بالتيفوس فى نابولى، وكان هذا الوباء يهدد خطوط التموين الأمريكية فى شمال إفريقية ، كما كان يهدد الجيوش والمدنيين فى إيطاليا ، وقد تغلبنا عليه بحقن ١,٦٣٣,٠٠٠ شخص .

وفى نفس الوقت تمكنا من السيطرة على الوباء سيطرة طويلة الأمد ، بحقن آلاف الإيطاليين بنوع جديد من اللقاح الواقى من التيفوس ، فلم تكد تنقضى ٢٠ ساعة على تلقى الأمر حتى كانت خمسة أطنان من هذا اللقاح مخزونة فى مدينة كانزاس ، قد رزمت ووسمت وأرسلت إلى إيطاليا بطريق الجو .

وسلاح خدمة الجيش لا يكتفى بتموين الجيش ، بل يتولى عمل مدبرة المنزل ، والنهوض بكل مهمة طارئة ، فنحن طبيب الجيش ومحاميه وتاجره وقسيسه وشرطيه ومصوره الفوتوغرافى ومحاسبه وصاحب مصرفه ومعلم مدرسته وساعى بريده وحارس سجنه . وفى السنة الماضية سلكنا فى الجيش ٢,٤٣٠,٠٠٠ جندى ، وصنعنا

الجـــنرال سمرفل يقول : « اشترى سلاح خـدمة الجيش فى السنة المـاضية ما يساوى ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠٠ر٢٣ دولار من المؤن والمهمات ، وهذا بيان بقليل من المواد التى سلمت للقوات المسلحة — وهى ٣٣ صنفاً من مئات الآلاف .

الصنف	العدد
مصانع لصنع الثلج ...	٣ر٤٥٦
مطارق مسامير تعمل بالهواء المضغوط	٣ر٤٦٥
دبابات خفيفة ومتوسطة	٩ر٥٠٠
أميال من أسلاك التلغراف المغطاة بالمطاط	١٠ر٥٠٠
مدافع رشاشة صغيرة	٦٤٨ر٠٠٠
قنابل يدوية (صنف واحد)	١٥ر٠٠٠ر٠٠٠
بطانيات صوف	١٥ر٠٠٠ر٠٠٠
علب للاسعاف الأولى	١٥ر٠٠٠ر٠٠٠
قنابل عيار ٧٥ مليمتر	١٦ر٠٠٠ر٠٠٠
أربطة رقبة	١٧ر٠٠٠ر٠٠٠
قنابل للبنادق	٢١ر٠٠٠ر٠٠٠
أزواج من الأحذية ...	٢١ر٠٠٠ر٠٠٠
أزواج من السراويل القصيرة	٣٢ر٠٠٠ر٠٠٠
أزواج من النظارات لوقاية العيون	٣٦ر٠٠٠ر٠٠٠
سماعات راديو	٧٨٢ر٠٠٠
مدافع رشاشة عيار ٠ر٣٠ و٠ر٥٠ ...	٧٨٤ر٠٠٠
مدافع دبابات عيار ٧٥ مليمتراً	٢٠ر٠٠٠
عربات نقل	٢١ر٠٠٠
بازوكا (بندقية صاروخية)	٩١ر٠٠٠
أجهزة تبين الطائرات	١٠٣ر٠٠٠
تلفونات	٣٤٥ر٠٠٠
ميكروفونات	١ر٢٧٠ر٠٠٠
بوصلات	١ر٧٠٠ر٠٠٠
طرود بلاسما	٢ر٥٠٠ر٠٠٠
طرود شاش معقم ...	٧ر٠٠٠ر٠٠٠
أقنعة واقية من الغازات	٩ر٠٠٠ر٠٠٠
ربطات من ضمادات الشاش	٩ر١٠٠ر٠٠٠ (دستة)
رطل من الصابون ...	٥٢ر٠٠٠ر٠٠٠
أزواج من الجوارب ...	٦٠ر٠٠٠ر٠٠٠
أرطال من اللوازم الكيميائية للدفاع ...	٩٨ر٠٠٠ر٠٠٠
طلقات المدافع المضادة للطائرات (صنف واحد)	١٧٠ر٠٠٠ر٠٠٠
أقراص سلفاديازين ...	٦١٧ر٠٠٠ر٠٠٠
طلقات مدافع من عيار ٣٠ و٥٠	١٣ر٥٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠

٨٥٦ شريطاً سنمائيا ، وتلقينا ٠٠٠ر٨٠٠ر١ رسالة بالراديو من وراء البحار ، وكتبنا ووقعنا ٩٨٠ر٨٢٤ شيكا ، ونظرنا فى ٠٠٠ر٢١ قضية من القضايا العسكرية ، وفحصنا ٠٠٠ر٢٥ طلب ، وقدمنا المساعدة القانونية للجنود فى أكثر من مليون مسألة ، وتلقت معسكراتنا لرد الاعتبار أكثر من ٠٠٠ر١٠ جندى متهمين بالمخالفات فى الجيش ، ودربتهم تدريباً خاصا ، وأعادت أكثر من ٣٠٠٠ منهم إلى الخدمة العسكرية .

وفى سنة ١٩٤٣ سلكنا ١٢,٠٠٠ طالب فى النهر فى سلك التعليم بالمراسلات ، ووزعنا ١,٠٠٠,٠٠٠ كتاب من الكتب المدرسية ، وعقدنا ١,٣٥٠,٠٠٠ اجتماع دينى ، وبعنا من البضائع فى دكاكين الجيش ما يعادل ٨١,٠٠٠,٠٠٠ دولار ، وصرفنا مبلغ ١,٤٧٦,٠٠٠,٠٠٠ دولار لحساب ثلاثة ملايين أسرة ، وأنشأنا منشآت تكلف ٢,٤٠٠,٠٠٠,٠٠٠ دولار ، وتعهدنا ٣٣٠٠ ميل من الخطوط الحديدية الخاصة بالجيش ، و ١٧,٠٠٠ ميل من الخطوط الكهربائية ، وعنينا بتمريض ٣,٨٥٠,٠٠٠ من المرضى بمستشفياتنا .

ونحن نتولى الآن حراسة ١٧٧,٠٠٠ أسير من أسرى الحرب بينهم ١٢٣,٠٠٠ من الألمان ، وهم موزعون فى ٩٤ معسكراً فى ٤٥ ولاية ، وفى نفس الوقت نقتفى أثر رجالنا الذين وقعوا فى قبضة الأعداء ، ونجمع عنهم كل شاردة وواردة ، وننسقها ونبوبها فى فهرس عام رئيسى نحتفظ به فى حجرة خاصة . ويرد إلى هذه الحجرة كل يوم خمس رسائل تلغرافية طويلة من الألمان أو ست ، فتحول أسماء المفقودين إلى أسماء موتى أو أسرى ، وتدوّن أسماء الأسرى فى سجلات تمكننا من تقديم المعلومات عن كل أسير إلى أقاربه بالتلفون .

وقد أرسلنا فى العام الماضى إلى جيوشنا وراء البحار ٧٦٤,٠٠٠,٠٠٠ رسالة بريد و ٢,٢٠٠,٠٠٠ كيس طرود ، وشحنا ٢٠,٠٠٠,٠٠٠ طرد من طرود عيد الميلاد ، وقد وزعت جميعها قبل حلول العيد ما عدا ٥ ٪ منها . ومعدل رسائل البريد التى ترسل إلى الجنود الآن يبلغ ١,٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠ رسالة فى العام ، ويبلغ البريد العائد نحو ثلثها ، وهو يشمل مئات من حيوانات الغابات الإفريقية الحية ، وأطناناً من الحلى اليابانية الرخيصة . وإدارة بريد الجيش تستعمل ، فضلا عن السفن والطائرات والقطارات ، طرقاً للبريد منظمة تستعين فيها بالزوارق والعربات التى تجرها الكلاب والتى تجرها الوعول ، كما تستعمل الجمال والعدّائين . ولأول مرة فى التاريخ قد نظمت البريد فى الطائرة ووضعته فى أكياس وطرود أثناء الطيران ، وقد أنشأت نظاماً لقذف البريد بالمظلات فى جرينلاند ، وقد يحدث ذلك تغيراً كبيراً فى نظام توزيع البريد فى الأقاليم بعد الحرب دون أن تتخذ مطارات كبيرة .

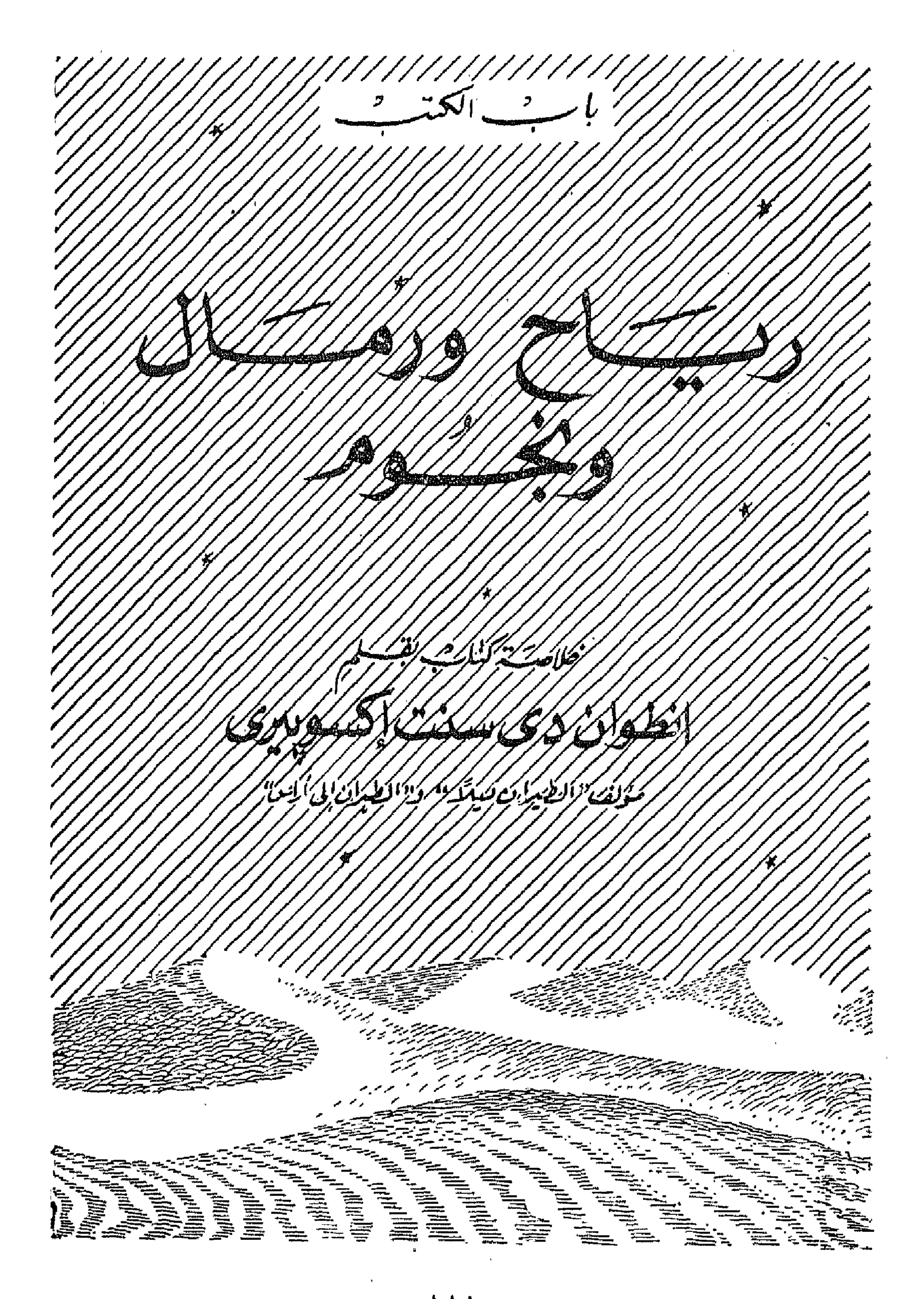
وعلاوة على أعمال التموين والخدمة يأتى التدريب ، ففى العام الماضى أتم القائمون بخدمة الجيش تدريب أكثر من ٢٠٠٠ وحدة من وحدات الخدمة ، من فرق

مكوّنة من ثلاثة يشرفون على الأنوار الكاشفة ، إلى فرق مكونة من ٧٠٠٠ رجل من المهندسين الذين يشتركون فى أعمال الغزو المائية البرية . والغزو لا يحتاج إلى مقاتلين فى الأرض والسماء فحسب ، بل يحتاج كذلك إلى العمال ، من فرق للخبز ، وفرق لغسل الملابس ، ووحدات للإنشاء وبناء المطارات ، ووحدات من المهندسين لإصلاح الموانئ بعد أن خرّبها الألمان تخريباً منظما . وهو يشمل وحدات للسكة الحديدية لتصلح ما يستولى عليه الجيش ، وتشرف على عمل قطارات لنقل المؤن من الثغور إلى داخل البلاد . ووحدات لقطع الأخشاب ونشرها ، وفرق لاطفاء الحريق ، وجماعات لتسجيل المقابر ، وأخرى لترميم الدبابات .

أنشأنا من أجل الغزو مستودعات للرجال ، وفصائل متنقلة للتسجيل مزودة بآلات سريعة فى جرارات كبيرة . وهمّ رجال المستودعات لتصنيف الرجال المعدّين للطوارئ ، فحين تحتاج فرقة من فرق الجنرال أيزنهاور إلى عمال فى شق الطرق وتمهيد الأرض ، أو خبراء فى أنابيب الزيت ، فسرعان ما يجهزه رجال هـذه المستودعات بما يلزم .

ولا يزعم إلا أحمق أن أعمال القوات التى تخدم الجيش سليمة من الأخطاء ، فنحن نعلم أننا وقعنا فى أخطاء كثيرة ، فرزم بعض المأكولات التى كنا نرسلها لم يكن على ما يرام ، وثمة أخطاء أخرى ، ولكن إذا اعتبرنا مدى عملنا الواسع اتضح لنا أن هـذه الحالات قليلة ، والذين لا يرتكبون أخطاء لا يصنعون شيئاً .

ولقد قضينا شهرين فى العام الماضى فى زيارة ميادين القتال لكشف الأخطاء والبحث عن علاجها ، ثم جمعنا قائمة بالمشكلات الشائعة ، وقد بلغت الأعمال التى يلزم أن نعملها أو أن نتقنها أو أن نحصر فكرنا فيها ٣٥٩ عملا . وبرغم كل ما نرسم من الخطط ، فلن نستطيع أن نغير الطبيعة الإنسانية ، ولا أن نبدل طبيعة الحرب ، فالحرب كثيرة التقلّب حافلة بالمفاجآت ، والغزو يخلق الطوارئ . ولا شك فى أن الأشهر القليلة المقبلة ستأتى بأعمال تقتضى السرعة والكتمان ، لا عهد لنا قبل بضخامتها وإلحاحها ، وستتغلب عليها بطريقة ما . وقد يقع الخطأ فى تفصيلات التموين ، ولكن التموين بوجه عام ، سواء فى الميدان الذى نحارب فيه هتلر أو فى الميادين التى نحارب فيها اليابانيين ، لا يمكن أن يقال فيه : إن « المقادير قليلة » أو « وصلت متأخرة » .


باب الكتب
رياح ورمال
ونجوم
خلاصة كتاب بقلم
انطوان دى سنت إكسوبيرى
مؤلف "الطيران ليلاً" و"الطيران إلى العلا"

رياح ورمال ونجوم

[هذه أكثر من قصة شخصية لطيار عظيم ، فإنها قصة عالمية لرجال يريدون أن يحيوا — وأن يموتوا أيضاً — فى سبيل قضية ، ورواية أخطار فى صور شتى ، من ثلوج الأند ، إلى خنادق إسبانيا ، وبيان لشىء فى الإنسان يسمو فوق الخطر .

وينظر أنطوان ده سنت أكسوبيرى إلى تجاربه الواسعة نظرة الفيلسوف ، ولا يقتصر على نظرة الرجل الذى يكابدها . ويلقى على الحرب نظرة تنفذ إلى البواعث الإنسانية الكامنة وراء الحروب كلها] .

فى سنة ١٩٢٦ اتخذتنى شركة لاتيكوير — التى خلفتها شركة « إيرفرانس » على الخط الجوى بين تولوز فى جنوبى فرنسا ، ودكار فى إفريقية الغربية الفرنسية — تلميذاً طياراً . وكنت أتعلم هذه الصناعة ، وأتدرب على ما يتدرب عليه الطيارون الشبان قبل أن يسمح لهم بحمل البريد . فكنا نقوم بدورات فى الجو للتدريب ، وبرحلات صغيرة متواضعة بين تولوز ، وبربنيان ، ونتلقى دروساً جافة فى الظواهر الجوية فى حظيرة يجمد من بردها الدم ، ونعيش فى خوف من جبال إسبانيا التى سيكون علينا أن نجتازها ، ورهبة وإجلال لمن هم أقدم منا .

وكنا نرى هؤلاء الطيارين المحنكين فى مطعم المطار — وهم جفاة وليس من السهل أن يتبسطوا ويرسلوا النفس على السجية — فكنا ، بعد أن يهبطوا إلى الأرض وقد غمرهم الماء ، وجاءوا بعد الموعد من اليكانتى أو الدار البيضاء ، نسأل أحدهم فى أدب عن رحلته . وكانت أجوبته الوجيزة فى تلك الأيام العاصفة تصلح أن تكون مادة كافية يصاغ منها عالم خرافى غاص بالشراك والفخاخ ، وبالجبال التى تبرز فجأة من الضباب ، وبتيارات الهواء التى يبلغ من قوتها أن تقتلع ضخام الأشجار . وكان يحدث أحياناً أن يتخلف عن العودة واحد من هؤلاء الطيارين الذين تنطوى لهم القلوب على الإجلال .

ثم كانت ليلة دعيت فيها بدورى إلى غرفة مدير المطار .

فقال : « عليك أن تسافر غداً » .

وما كدت أخرج من تلك الغرفة حتى ذهبت أعدو إلى صديقي جويوميه، فإنه يعرف الطريق وقد طار فوقه من قبل ، ويعرف كل الحيل والوسائل التى تضع فى يد الطيار مفاتيح إسبانيا .

فلما دخلت عليه صعد طرفه إلىّ وابتسم .

وقال : « إنى على علم بالأمر ، فلا تقلق فإن الأمر أهون مما تظن » .

وكان يشع بالثقة والاطمئنان كما يشع المصباح بالضوء ، وقد جاوز فيما بعد كل ما سبق من السرعة فى الطيران بالبريد فى الأند والمحيط الأطلسى الجنوبى . أما الآن فكان جالساً ، فى ضوء المصباح ، مرتدياً قميصه المطوى الكمّين ، وإحدى ذراعيه فوق الأخرى ، وعلى فمه ابتسامة ليس أشد منها تشجيعاً ، وقال لى ببساطة :

« ستضايقك العواصف والضباب والثلج ، من حين إلى حين ، فإذا أحسست بالضيق ففكر فيمن تغلبوا على هذه المصاعب قبلك ، وقل لنفسك إنى أستطيع أن أفعل ما فعلوه » .

فبسطت خرائطى وسألته متردداً هل يسمح بشرح الطريق لى . وهكذا انحنيت فى ضوء المصباح ، وكتفى إلى كتف هذا الطيار المحنك ، وشعرت بما يشعر به التلميذ السعيد المطمئن القلب .

وياله من درس تلقيته فى الجغرافية ! لم يتحدث جويوميه عن الأقاليم والمدن ، وإنما تحدث عن ثلاث أشجار برتقال على حافة مدينة: «احذر هذه الأشجار ، ويحسن أن تضع علامة لها على الخريطة » فصارت أشجار البرتقال هذه من الآن فصاعداً أعلى فيما أتوهم من جبال سييرا نيفادا .

وكانت التفاصيل التى نشرناها وأخرجناها من ظلمة الخفاء مما لم يعن جغرافى قط بارتيادها . فهناك مثلا نهر إبرو ، وهو يمر بمدن كبيرة، فلهذا يعنى به من يرسمون الخرائط، ولكنا تحدثنا عن جدول صغير يترقرق سرًّا بين أعشاب الماء إلى الغرب من موتريل :

« كن على حذر من هذا الجدول . فإنه يجتاز المهبط كله. ضع له علامة على الخريطة » آه ، سأظل أذكر أبداً ذلك الأفعوان الذى ينساب بين الحشائش . فما كان يبدو كأنه موجود ، ولا كان خريره الخافت أعلى من نقيق طائفة من الضفادع ، ولكنه ينام وإحدى عينيه مفتوحة . وكان يجرى بين الحشائش فى ذلك المهبط الذى اتخذ للطوارئ، فكأنه متربص لى على مسافة ألف ميل منى حيث أنا جالس ، ولو أتيحت له فرصة لأحالنى إلى شمعدان موقد .

وهذه الشاء الجريئة الثلاثون المستعدة

للحمـــالة عليّ ، على ســفح تل ! الآن وقد عرفت أنها رابضة هناك فسأتشدد للقائها !

« يبـــدو لك وأنت فى الجو أن المرعى لا شيءَ به ، وإذا بثلاثين شاة فى إثرك » فلم أقدر على أكثر من ابتسام الدهشـــة حين سمعت هذا النذير القاسى .

وصارت إسبانيا على خريطتى — شيئاً فشيئاً — كالأرض المســحورة ، وصارت العــلامات التى وضــعتها للأماكن المأمونة والفخاخ ، معالم ومنائر للهداية . وسجلت أشجار البرتقــال ، والغنم ، والجـــدول ، وشعرت أن جويوميه قد جعل من البـــلاد صديقاً لى .

* * *

وكانت الساعة الثالثة صباحاً حين أيقظونى فارتديت ثيابى وقعدت أنتظر السيارة القديمة التى ستقلنى . فلمـــا جاءت ، انحشرت بين حارس من حراس الجمارك ، يغالب النوم ، وموظف حكومة كالح الوجه . وكانت السيارة تفعم الخيشوم بمثل رائحة العفونة ، ورائحة تراب مكاتب الحكومة التى تهوى فيها حياة الإنسان كما تغيب الأرجل فى الرمل الوعس . وكانت السيارة تقف كل خمسمئة ياردة لتأخذ موظفاً آخر ، وحارساً آخر ، ومفتشاً آخر .

وسمعتهم يتكلمون همساً عن المرض ، والمـال ، والمتاعب المنزليـة التافهة . . . ألا يا أيها الموظف القــديم الجالس إلى جانبى ، إنك لكالنمل ، تبنى ســعادتك بأن تسـد بالأسمنت كل كوة وفتحة يمكن أن ينفذ منها الضــوء ، وتطوى بعضــك على بعض حتى تصبح كالكرة ، وتلف حولك اطمئنانك وتتـــدثر بعملك الآلى الذى لا يختلف ، وتشتمل بالتقاليد الخانقة للحياة الإقليمية ، وترفع سوراً ضئيلا يحجب الرياح والأنواء والنجوم ، وقد آثرت أن تكون بمنجى من المسائل الكبرى ، وحسبك من المتاعب أن تنسى مصيرك كإنسان . أما أنا فقد فتح لى سحر الطيران عالماً سأواجه فيه ، قبل الفجر ، الأفاعىَ السود ، والقمم المتوّجة لسديم من البروق الزرقاء . ومتى جاء الليـــل ، فإنى سأهتدى فى طريقى بالنجوم .

* * *

بعد هـذا « العماد » الفنى شرعت أنقل البريد الجوى بانتظام ، وكانت الرحلات فى الأغلب خاليــة من الحوادث ، وصرنا كالغواصــين الذين يهوون فى سكون إلى أغوار المحيط .

وكان الطيران يبدو لنا على العموم سهلا ، ومع ذلك مرت بنا رحــلات كنا نحس فى خــلالها فجأة أن على كل امرئ أن يعنى بنفسه ، ويبـــدو لنا أننا اجتزنا تخوم عالم الحقيقة ، ونكون على مسافة ساعتين ليس إلا

من الميناء الجوى ، فنشعر أننا دخلنا عالماً محظوراً سيكون من العسير جدا علينا فيه أن نعود منه .

فمثلا لما عبر ميرموز جنوبى المحيط الأطلسى للمرة الأولى ، وقد مالت الشمس للمغيب ، وقع فى بلية من « منطقة الحجر الأسود » على مسافة من إفريقية فقد واجه إعصاراً يهيج بمثل العمد نحو السماء ويرتفع شيئاً فشيئاً كما يرتفع الجدار ، ثم جن الليل على هذه البوادر فطواها جنحه وغابت فيه ، فلما دخل بعد ساعة فى أطواء السحب كان كأنما خرج إلى عالم خيالى .

فقد كانت هناك أمثال عمد الهيكل فى ثباتها ، من الماء الفائر المندفع فى الهواء ، وتضخمت رءوسها فكأنها تحمل عقداً مسفا من العاصفة ، وكانت هناك فجوات فى هذا العقد تبدو منها « ألواح » من الضوء ، وكان القمر فى ليلة السواء يرسل أشعته الفضية اللألاء من بين العمدان ، على البحر الذى كأنما فرش بقرميد متجمد . فكان ميرموز يأخذ طريقه بين هذه الخرائب المهجورة وينزلق مائلا من مجرى ضوء إلى آخر ، ويدور حول هذه الأعمدة الضخمة التى لا بد أن يكون ما جاش واندفع من البحر يجلجل فيها ، وظل أربع ساعات يطير مجتازاً دهاليز ضوء القمر إلى المخرج من المعبد . وبلغ من روعة هذا المنظر وعمق وقعه فى النفس أنه ما أدرك أنه لم يكن خائفاً إلا بعد أن خلف « الحجر الأسود » وراءه .

والطائرة التى يخيل إلى الإنسان أنها أداة لعزل الإنسان عن الطبيعة ، تقذف به فى أعماقها ، فإن المسائل الجوهرية التى تواجه الطيار ، مدارها الجبال والبحر والريح . ومتى صار وحده أمام محكمة السماء العاصفة فإنه يدافع عن بريده ، وينازل هذه العناصر الثلاثة على قدم المساواة .

وأكياس البريد المحفوظة فى مستودعها هى دين حرفة الطيار ، وهى المشعل الذى يناوله ، فى هذا السباق الجوى ، عدّاء إلى عداء . وما قيمة أنه لعله لا يحمل فى بريده إلا ما تخطه أقلام التجار والعشاق ؟ وإذا حدث يوماً أن صاد أحد النجود رجال طائرة ، فإنهم لا يكونون قد قضوا نحبهم فى سبيل التجار أو غيرهم ، بل طوعاً لأوامر ترفع أكياس البريد مقاماً سامياً متى صارت فى الطائرة .

وحتى هذه الأوامر ليست هى التى تعنينا ، وإنما يعنينا الرجال الذين تصبهم فى قالبها .

* * *

وميرموز هذا هو طيار أحد الخطوط .

وجويوميه طيار آخر ، وسأتحدث عنه لتدرك بوضوح ما أعني حين أقول إن طرازاً جديداً من الرجال يصاغون فى قالب هذه الحرفة الجديدة .

كانت حفنة من الرجال ، ميرموز أحدهم ، يرتادون خط الدار البيضاء — دكار ، وكانت السيارات فى تلك الأيام غير ما تعلم ، فأسره رجال القبائل وبقى أسبوعين أسيرا عندهم ، ثم افتدى ، وظل بعد ذلك يطير فوق هذه المنطقة نفسها .

ولما أنشىء خط جنوب إفريقية ، اختير ميرموز — وهو فى طليعة الرواد أبداً — لارتياد القسم الواقع بين يونيوس إيريس وسانتياجو دى شيلى ، فقد كان هو الذى أقام جسراً فوق الصحراء الكبرى ، فالآن وكل إليه أن يقيم جسراً فوق الأند . وأعطوه طائرة أقصى ماترتفع إليه ١٦٫٠٠٠ قدم وطلبوا منه أن يطير بها فوق سلسلة جبال ترتفع إلى أكثر من ٢٠٫٠٠٠ قدم . وكان عليه أن يبحث عن فجوات يمرق منها فى جبال كورديلليرا ، أى أن الرجل الذى درس وجه الصحراء ، كان عليه أن يدرس وجوه النجود التى تتلفع بالثلوج التى تثيرها الرياح ، وتهيج الهبوات فى دهاليزها الضيقة ذوات الجدران الصخرية ، وتكره الطيار على ما يشبه المبارزة .

وقد أقدم ميرموز على الدخول فى هذه الحرب مع العناصر الطبيعية وهو أتم مايكون جهلا بعدوه ، وبمبلغ إمكان الرجوع حيا . وكان عليه أن يقوم لنا جميعاً بهذه التجربة . وقد قام بها ذات يوم فألقى نفسه أسيراً فى الأند .

فقد اضطر ميرموز والميكانيكي الذى معه إلى الهبوط إلى ارتفاع ١٢٫٠٠٠ قدم فوق هضبة تنحدر جوانبها عمودية من كل ناحية ، فظلا يومين عصيبين يبحثان عن مخرج من هذه الهضبة ، ولكنهما كانا كأنهما فى فخ ، فقد كان المنحدر وعراً فى كل مكان ، فجازفا بآخر ما عندهما من حيلة .

وكانا لايزالان فى الطائرة ، فأطلقاها تدور وتقفز هابطة فوق منحدر حتى بلغا وهدة ، واستطاعت الطائرة أن تستجمع ، وهى تهوى من السرعة ، ما تستجيب به للآلات ، فوسع ميرموز أن يحول أنفها إلى نجد وأن يتخطاه ، وكان الماء ينبثق من جميع الأنابيب التى انفجرت بتأثير الصقيع فى الليل ، وأعطبت آلاتها بعد سبع دقائق فقط من الطيران ، ونظر ميرموز فإذا تحته سهل شيلى كأنه أرض الميعاد .

وفى اليوم التالى أعاد الكرة .

وعلى هذا النحو من الارتياد ، اضطر ميرموز غير مرة أن يهبط فى الصحراء ،

تارة ، وفوق الجبال طوراً ، وفى الليل وفى البحر أحياناً ، وكان فى كل مرة يعود سالماً ليستأنف الخروج كرة أخرى . وأخيراً ، بعد اثنى عشرة سنة من الخدمة طار من دكار قاصداً إلى ناتال ، فبعث برسالة لاسلكية موجزة يقول إنه عطل محركه الأيمن . ثم ساد الصمت .

وانتظرنا ، وتعلقنا بالأمل . وطالعتنا الحقيقة شيئاً فشيئاً فأدركنا أن زميلنا لن يعود ، وأنه راقد فى المحيط الأطلسى الجنوبى الذى كثيراً ما جاب سماءه . لقد أدى عمله وانسلّ ليستريح كالحاصد ربط حزمته بعناية ، وانطرح فى الحقل لينام .

وفى أمثال هذه الحالة لا يستقر فى وعينا إلا تدريجاً أننا لن نسمع مرة أخرى ضحك صديقنا ، وأن هذه الحديقة الخاصة قد أوصد بابها فى وجوهنا إلى الأبد . وفى هذه اللحظة يبدأ حزننا الحقيقى ، فما من شىء يحل محل هذا الزميل ، فإن الأصدقاء القدماء لا يستفادون فجأة بالإرادة . ولا شىء يعدل كنز الذكريات المشتركة ، والمحن المجتازة معاً ، والشجار والخلاف والوفاق والوئام والعواطف الكريمة . ومن العبث أن تغرس بذرة فى الصباح وتتوقع أن تستظل بشجرتها عصراً .

وهكذا الحياة ، نظل سنوات نغرس البذرة ، ونشعر أننا أغنياء ، ثم تجىء سنوات أخرى يعمل فيها الزمن عمله ، فإذا مزرعتنا قليلة الشجر سليبته . ويذهب زملاؤنا واحداً بعد واحد ، فنحرم ما كنا نتفيأ من ظلهم .

* * *

وأنت يا جويوميه ، يا صديقى القديم ، سأقول فيك أنت أيضاً بضع كلمات ، ولتثق أنى لن أخجلك بالمباهاة السخيفة بشجاعتك وبسالتك فى عملك ، فإن لى غرضاً آخر مختلفاً جداً من التحدث عن أغرب مغامراتك .

كان الوقت شتاء ، وقد تهت فى الأنديز . وأقبلت من أقصى بتاجونيا لأنضم إلى ديلى فى مندوزا ، وقضينا نحن الاثنين — وكل فى طائرته — خمسة أيام نبحث فى الجبال بلا جدوى . طائرتان اثنتان ليس إلا ! لقد كان يخيل إلينا أن مئة سرب تطير مئة عام ليست بكافية للبحث فى هذه السلسلة التى لا آخر لها ، والتى تذهب قممها فى السحب وتغيب . وفقدنا كل أمل ، ونصح لنا موظفو حكومة شيلى بأن نكف ونيأس من العثور عليك ، وقالوا : « إن هذا قلب الشتاء ، فحتى لو نجا صديقكم عند هبوطه فإن الليل فى هذه الدروب يحيل الإنسان لوحاً من الثلج » .

وكان يخيل إلى وأنا أقوم بهذه

الأبحاث العقيمة، أنى لم أعد أنشدك، وإنما أنا جالس مع جثمانك فى سكون معبد الثلج. ومضى على غيابك أسبوع وإذا بنبأ يجيء فجأة: « لقد وجدوا جويوميه! ».

وما هى إلا عشر دقائق حتى كنت فى الجو ومعى اثنان من الميكانيكيين، وبعد أربعين دقيقة هبطت إلى جانب طريق، فقد عرفت وأنا فى الجو، السيارة التى حملوك فيها من سان رفاييل. وأتذكر أننا بكينا كالبلهاء، وطوقنا جويوميه الحى — مؤلف آيته ومعجزته! وفى تلك اللحظة نطقت بأول جملة مفهومة — فكانت كلمة بارعة بما انطوت عليه من الاعتداد بالإنسانية.

« أقسم أن ما احتملت لم يكن يستطيع حيوان أن يحتمله ».

ثم رويت لنا بعد ذلك قصتك، فعلمنا أن عاصفة ألقت ما ارتفاعه ١٥ قدماً من الثلج فى ثمان وأربعين ساعة على الأرض، فكان هذا فخاً وقعت فيه، وتجاذبتك تيارات فظيعة، فصارت الطائرة تتقلب كأنها قبعة فى الطريق، وهبطت بها أخيراً على الثلج.

وقلت لى: « ولما خرجت منها وقفت، فضربتنى الريح فألقتنى على الأرض، ثم نهضت واقفاً مرة أخرى، فصرعتنى الرياح ثانية، فزحفت حتى صرت تحت مقدمة الطائرة، وحفرت لنفسى مخبأ فى الثلج، وأحطت نفسى بعدة أكياس بريد، ورقدت هكذا يومين وليلتين، ثم سكنت العاصفة، فشرعت أسير ملتمساً لى مخرجاً، وقد سرت خمسة أيام وأربع ليال ».

ولكن ما ذا كان قد بقى منك يا جويوميه؟ لقد وجدناك حقاً، ولكنك كنت هزيلا معجوفاً، كأنك امرأة عجوز، وكان منظرك وأنت على سرير المستشفى، فظيعاً، وكنت شقيا لأنك فقدت أداة عملك الجميلة، وكانت يداك قد خدرتا وهرأهما البرد وسلبهما الفائدة، ولما جلست على حافة سريرك تدلت قدماك الجامدتان كأنهما كتلتان ميتتان، ولم تكن قد فرغت من الرجعة إلى الحياة، فقد كنت لا تزال تلهث وتكافح وتجاهد.

وكنت، وأنت تقص علينا قصتك المروعة أراك بعين الخيال تجر رجليك بغير عصى، أو حبال أو زاد، وتتوقل نجوداً ترتفع إلى ١٥٫٠٠٠ قدم، وتزحف فوق صخور عمودية، وكفاك، وقدماك، وركبتاك، تدمى فى جو تهبط فيه درجة الحرارة إلى عشرين تحت الصفر، وتزف دمك شيئاً فشيئاً، واسترقت قوتك، وطار لبك، فمضيت على وجهك بمثل عناد النملة، تكر راجعاً لتدور حول عقبة معترضة، وتنهض نفسك متحاملا عليها بعد كل عثرة، وتصعد فى المراقى التى تفضى إلى مهاو، ولا تكف

عن السير والحركة ، ولا تغمض لك عين ، لأنك لو كنت نمت لما قمت أبداً عن فراش الثلج .

وقاومت ما يغريك . وقلت لى : « إن الإنسان بين الثلوج : يفقد غريزته التى تدفعه إلى المحافظة على ذاته . فبعد يومين أو ثلاثة أو أربعة من المشى والسعى ، تعود وليس لك هم إلا النوم . وكانت نفسى تنازعنى أن أرقد ولكنى كنت أقول لنفسى : « إذا كانت زوجتى لا تزال تعتقد أنى على قيد الحياة ، فإنها ولا شك تعتقد أنى على قدمى . وكل زملائى يعتقدون أنى على قدمى لأنهم يثقون بى . فلا بد أن أستمر » .

على أنه حدث مرة أن زلت قدمك ، فألفيت نفسك منطرحاً على الثلج ، فنفضت يدك يائساً .

وقلت : « لقد بذلت غاية وسعى ، فأخفقت فلماذا أستمر ؟ » .

وشعرت أن كل ما عليك أن تفعله لتفوز بالراحة هو أن تغمض عينيك ، فما أقل ما كان الأمر يتطلب لتطوى صفحة هذا العالم المؤلف من الوعور والثلوج ! .

وبدأت تذوق الراحة المستفادة من هذا « المورفين » ، ولكن وخز الضمير أهاب بك من أعماق وعيك : « ففكرت فى زوجتى وكيف أنها ستصبح معدمة إذا لم تستطع أن تقبض مبلغ التأمين » .

ذلك أن الرجل حين يختفى ، يؤجل تقرير وفاته رسمياً أربع سنوات ، وقد كان هذا الخاطر الرهيب حسبك ، فمحى كل ما عداه ، وكنت راقداً واقعاً على بطنك ، ووجهك إلى الثلج الذى يكسو مرتقى وعراً . ومتى جاء الصيف وذاب الثلج هوى جسمك مع ما يسيل من الماء والتراب ، وغاب فى واحد من آلاف الشقوق فى الأند . وكنت تعرف هذا ، ولكنك كنت تعرف أيضاً أن على مسافة خمسين ياردة أو نحو ذلك صخرة ناتئة من الثلج : « فخطر لى أنى إذا نهضت ، قد أستطيع أن أصل إليها ، وإذا استطعت أن أستند إلى هذه الصخرة ، فقد يجدوننى عندها فى الصيف المقبل » .

وصرت على قدميك مرة أخرى ، فذهبت تجرها وتمشى ليلتين وثلاثة أيام ، ولكنه لم يكن يدور بخلدك عندئذ أن فى وسعك أن تحتمل فوق ما احتملت .

« إن الذى ينقذ الإنسان هو أن يخطو خطوة ، ثم خطوة أخرى » .

وأخيراً ، فى تلك الغرفة ، نمت نوم المتكسر الذى أضمره الكلال ، فقلت لنفسى إن مكان جويوميه فوق الشجاعة وفوق تلك الفضيلة العادية التى تسمى التواضع ، فإن عظمته الأدبية مرجعها إلى شعور

بالتبعة فقد كان يدرك أنه مسئول عن نفسه ، وعن البريد ، وعن تحقيق آمال زملائه ، وكان في يديه حزنهم وسرورهم ، وهو مسئول عن ذلك العنصر الجديد الذي ينشئه الأحياء ، والذي يشترك في إنشائه .

لقد كان جويوميه أحد أولئك الرجال ذوي الجرأة والأريحية الذين فرضوا على أنفسهم أن ينشروا ظلهم فوق آفاق شاسعة . ومعنى أن يكون المرء رجلا ، هو أن يكون مسئولا ، وأن يشعر بالزهو من جراء انتصار فاز به زملاؤه ، وأن يحس حين يضع لبنته أنه يساهم في بناء العالم .

عرفت شاباً انتحر ، ولا أتذكر أية خيبة أمل له في الحب أو غيره أغرته بأن يطلق رصاصة على قلبه ، ولا أدري أي باعث أدبي صدر عنه حين وضع على يديه قفازين ناصعي البياض قبل أن يطلق الرصاصة . ولكني أتذكر ، حين علمت بهذه الحادثة المؤسفة ، أني لم أشعر بنبل فيه ، بل بنقص في الكرامة . فوراء هذا المحيا الوسيم ، إذن ، وفي هذا الرأس الذي كان ينبغي أن يكون صندوق كنز ، لم يكن هناك شيء ما على الإطلاق .

ولما سمعت بهذا المصير العقيم التافه ، تذكرت رجلا آخر مات ، وكان بستانياً ، وكان يقول وهو على فراش الموت : « لعلكم تعلمون أني كنت أحياناً أتصبب عرقا وأنا أعمل بالفأس ، وكان الروماتزم يأخذ في ساقي فيجهدني الوجع ، فأسخط على نفسي وأقول إني عبد رق ، والآن أقول لكم إني أشتهي أن أعمل بالفأس وأعمل ، فإنه لعمل جميل ، والإنسان يشعر أنه حر حين يعمل فأسه . ثم إني أتساءل من ذا عسى أن يقلم أشجاري بعد موتي ؟ » .

وكان الرجل سيخلف وراءه أرضاً بورا ، وكانت في قلبه علائق حب لكل أرض تزرع ولكل أشجار العالم . فهذا رجل كريم القلب ، رجل سخي النفس ، رجل نبيل ، رجل يصارع الموت باسم الخلق ، ويستحق ، مثل جو يوميه ، أن يوصف بأنه شجاع !

* * *

لقد كان ميرموز ، وجويوميه ، والبستاني المسكين — رجالا أحراراً حقاً . ويحضرني الآن ذكر رجل آخر ، وضيع المنزلة، ولكنه فاز بالحرية من طريق آخر . وقد عرفته لما كنت أعمل في إفريقية ، واسمه بارك ، وهو عبد مسترق .

« خبئني في طائرة مراكش ! » .

وكان يتقدم إليّ بهذا التوسل ليلة بعد ليلة في رأس « جوبي » . وكان اسمه ، قبل زمن طويل ، محمد بن الحسين وكان راعياً

فى تلك الأرض السوداء ذات البيوت القرمزية اللون ، ولكن بغاة الرقيق سطوا على الأرض وحملوه وأطلقوا عليه اسماً مسيحياً « بارك » ، وباعوه . وكانت زوجته وأبناؤه الثلاثة فى مراكش ، وكانوا لا يزالون ولا شك على قيد الحياة .

ولم يحقد علىّ من أجل أنى رفضت بالصمت أن أجيبه إلى طلبه ، وأنى أخرت رجعته إلى الحياة . ولم أكن فى نظره إنساناً ، بل قوة يدعوها ويتوسل إليها ، أو ريحاً طيبة ، قد تعيد إليه حسن الحظ وإشراق الحياة .

وكنت أنا لا يساورنى مثل هذا الوهم فيما يتعلق بقوتى ، وهل أنا إلا طيار بسيط يتولى ، بضعة شهور ، رياسة المطار فى رأس جوبى ، ويعيش فى كوخ من الخشب كل أثاثى فيه : حوض ، وإناء للماء ، وسرير أقصر منى ؟

« سنرى يا بارك » .

فيبتسم بارك ويبين لى بصوت كالهمس كيف أستطيع أن أخبئه فى الطائرة ، ولكنى أخشى ما عسى أن يفعله رجال القبائل بنا على سبيل الانتقام وغسل الإهانة .

وقد حاولت فعلا أن أشتريه ، ولكنه لم يكن مما يحدث كل يوم أن يجد رجال القبائل أوربياً يريد أن يشترى عبداً ، فاغتنموا هذه الفرصة .

« عشرون ألف فرنك » .

« إن هذه سخافة » .

« ولكن انظر إلى ذراعيه القويتين . . »

ومضت شهور قبل أن يهبطوا إلى رقم أستطيع بمساعدة أصدقائى أن أجده .

ولما اشتريت بارك ، حبسته ستة أيام فى كوخى ، لأنه لو كان قد خرج قبل أن تصل الطائرة ، لكان رجال القبائل قد خطفوه بلا شك . ورأى الميكانيكيون أن من العار أن يقذف ببارك على الدنيا وهو خالى الوفاض ، فجمعوا له مبلغاً من المال .

« وداعاً يا بارك ! وكن رجلا » .

وانتفضت الطائرة استعداداً للصعود ، وألقى بارك نظرة أخيرة على رأس جوبى وما حوله من محل ، ووقف حول الطائرة مئتان من رجال القبائل ليروا كيف يكون الرقيق حين يقف على عتبة الحياة ، وما كانوا ليحجموا عن خطفه واستعادته ، لو أن الطائرة بعد ذلك بقليل اضطرت إلى الهبوط .

ووقفنا حول وليدنا الجديد الذى يبلغ من العمر خمسين عاما ، وقد ساورنا بعض القلق لأنا نلقى به فى تيار الحياة .

* * *

وآخر ما اتصل بنا من أخبار بارك ، هو ما رواه لنا عبد الله ، الذى رجونا منه

أن يعنى به فى أغادير ، فعلمنـا أن الطائرة وصـلت إلى أغادير فى الصباح ، ولـكن الطائرة الأخرى التى كان سيواصل رحلته عليها لم تسافر إلا فى المساء . فقضى بارك نهاره على النحو الآتى :

بدأ بالتجول فى المدينـة وهو صامت لا يستقر ، فقد فاز بهذه الحرية فجأة ، وكان من الصعب أن يتكيف بسرعة ، ثم جلس فى مقهى عربى وطلب لنفسه ولعبـد الله شاياً ، وكان هذا أول عمل أتاه من أعمال السادة . وكان هذا خليقاً أن يبدو مستغرباً فى عيون الناس ، ولـكن الخادم صبّ له الشاى بلا استغراب ، ومن غير أن يدرى أنه بذلك يحتفى برجل حر .

وقال بارك : « تعال نذهب إلى مكان آخر » ، فذهبا إلى القصبة ، وهى حىّ فيه نسوة مرخص لهن ، فتناولت فتيات البربر يده ، وكان مشغولا برسالته فشرع يقص عليهن قصة بعثه ، فابتسمن ابتسامة العطف ، وأراد هو أن يزيد دهشتهن فقال : « اسمى محمد بن الحسين » .

ولـكن هذا لم يكن مما يدهشهن ، فإن لـكل رجل اسما ، وما أكثر الذين يعودون من بلاد بعيدة ، ولـكنهن مع ذلك أدركن أن هذا الرجل تعذب ، فحاولن أن يكن لطيفات مع هـذا المسكين . فشـكر لهن لطفهن ، ولـكن قلقه لم يكن قد سكن لأنه لم يكن قد استرد دولته .

فرجع ومعه عبد الله إلى المدينة ، ووقف ينظر إلى البحر ، ويقول ويكرر إنه يستطيع أن يذهب كما يشاء فى أى اتجاه ، وأنه حر . ولـكن هذه الحرية خالطها بعض المرارة ، وكان أقوى ماوقع فى نفسه منها أنه لا يربطه بالعالم شىء .

وأقبل فى تلك اللحظة طفل ، فمسح له بارك خده الغض ، فابتسم الطفل ، فاستيقظت نفس بارك ، وشعر أنه صار أكبر شأناً فى هذه الأرض ، ونظر إلى طائفة من الصبيان يلعبون على مقربة منه ، ثم قصد إلى دكاكين اليهود ، فلما عاد مثقلا بالهدايا غضب عبد الله .

وقال : « يا أحمق ! أهكذا تبدد مالك ؟ »

فلم يعبأ به بارك شيئاً ، ودعا إليه الصبية واحـداً بعد واحـد ، وارتفعت الأيدى الصـغيرة وامتدت إلى اللعب ، والدمالج ، والخفاف المخيطة بخيوط الذهب ، وكان كل طفل بعد أن يأخذ هديته ، يذهب يعدو ، وعاد بارك إلى دكاكين اليهود .

وسمع صبيان آخرون فى أغادير بالأمر فتجمعوا عليه ، واحتشدوا وراء هذا الإله الأسود ، وتعلقوا بثوبه البالى ، وصاحوا مطالبين بنصيبهم ، فأنفق عليهم بارك ، فى فرحته ، آخر درهم .

وكان عبد الله لا يشك فى أنه جن ، وقال بعد ذلك : « جن من الفرح » . ولكنى أميل إلى الاعتقاد بأن بارك لم يكن بشاطر غيره فيضاً من السعادة ، فقد كان حراً ، ولكن ما خير هذا المال متى كان مطلبه الذى يلح على نفسه إلحاح الجوع هو أن يكون رجلا فى أسرة رجال تربطه وشائج متينة بغيره .

وكانت فتيات البربر قد أولينه عطفاً ورقة ، ولكنهن لا يحتجن إليه ، وقد احترم عاملُ المقهى ، والمارة فى الشارع ، وأصحاب الدكاكين ، هذا الرجل الحر الذى هو بارك ، ولكنه ما من أحد منهم بدا عليه أن به حاجة إليه .

لقد كان حراً ، ولكن حريته كانت بلا حد ، ولم يكن يدب على الأرض ، بل يسبح فوقها ، وأحس أنه تنقصه العلاقات الإنسانية التى تعوق خطوات الرجل ، ومع ذلك تربطه بغيره .

ولهذا ذهب بارك يخوض الحياة فى تيار من الطفولة المتجمعة حوله ، كما كان يفعل فى بحر من النعاج . وسيعود فى اليوم التالى إلى فقر أسرته ، وإلى التبعة عن حيوات كثيرة لعل ساعديه الهرمين لا يقويان على الكفية لها . على أنه شعر وهو بين هؤلاء الأطفال بجذب نفسه الحقيقية ، فرد نفسه إلى الحرية بفضل ألف طفل يحتاجون أشد الحاجة إلى الخفاف الذهبية .

* * *

ولما كان الإنسان ، لا الطيران ، هو الذى يعنينى أكثر مما يعنينى سواه ، فسأقص قصة رجل يتحسس طريقه إلى كمال نفسه ، كما شهدت ذلك فى الشهور الأولى من الحرب الأهلية فى إسبانيا ، حيث كنت أنشد جواب هذا السؤال : كيف يحدث أن نرى الرجال أحياناً راغبين فى الموت مستعدين له ؟

وكنت فى مدريد فشهدت ضربها بالقنابل ، فكأنما كان ينبغى أن تنفجر قوة هذا الرعد كله على الطريق الكبير لتزهق روحاً إنسانية واحدة ! روحاً واحدة ليس إلا ! وكان المارة قد نفضوا عن ثيابهم التراب وغيره ، وكان غيرهم قد تبعثروا وذهبوا يعدون ، ولما تقشع الدخان وجد الخطيب — الذى نجا بأعجوبة فلم يصبه خدش — عند قدميه خطيبته التى كانت ذراعها إلى ما قبل هنيهة ملتفة بذراعه ، قد صارت إسفنجة ممتلئة دما ، وكتلة هامدة من اللحم والخرق .

فركع ، وهو غير مدرك شيئاً ، وهز رأسه ببطء كأنما يقول لنفسه : « لقد حدث أمر غريب » .

وكان هـذا الشيء الغريب المنطرح على الرصيف ، لا يشبه فى شيء تلك التى كانت حبيبته وخطبه . وكان التعس أليم البطء فى احتوائه عليه ، فظل ثانية أخرى مذهولا ، يدير نظره وهو حائر باحثاً عن ذلك القد المشوق كأنما كان هو على الأقل ينبغى أن ينجو ، ولكنه لم يكن ثم إلا هـذه الحزمة من خليط من الدم واللحم والتراب .

وانطفأت شرارة الإنسانيـة الضعيفة . وبينما كان الرجل تتلجلج فى حلقه تلك الصرخة التى لا أدرى ماذا منعها أن تنطلق ، فكر فى أنه لم يكن يحب هاتين الشفتين بل رَسمهما ، لا بل ابتسامتهما ، ولا عينيها بل نظرتهما ، ولا ثدييها ، بل رقة إشرافهما . وتسنى له أن يدرك أخيراً مصدر الألم الذى ادخره الحب له ، وأن يعرف أنه كان ينشد مالا ينال ، وأنه لم يكن يشتهى أن يعانق جسما بل روحاً وشرارة ، أوالملك الروحانى الذى يسكن البدن .

ولست أعبأ شيئاً بأصول الحرب وقانون الانتقام ، أما الفائدة الحربيـة التى تجنى من مثل هذا الضرب بالقنابل فشيء لا أستطيع أن أفهمه ، ولقد رأيت زوجات مبقورات البطون خارجات الأحشاء ، وأطفالا مشوهين ، وبائعة متجولة عجوزاً ، تطرح عن بضاعتها المخ الذى انتثر فوقها . ورأيت امرأة بواب تخرج من قبوها وتريق دلو ماء على الرصيف المتسخ . ولا أزال عاجزاً عن أن أفهم الفائدة التى تجنى فى الحرب من هذا المجازر .

أم ترى الغرض معنوى ؟ ولكن الضرب بالقنابل يهيج النفوس على الضارب ! فإن كل قنبلة سقطت على مدريد حصنت شيئاً فى المدينة ، وأقنعت الذى كان واقفاً موقف الحياد والتردد بأن يخف إلى نجدة المدافعين ، والطفل المقتول يكون أثقل فى الميزان حين يكون طفلنا . وقد تبينت بجلاء أن ضرب مدريد لم يشتت أبناءها بل وحّدهم ، فإن الفظاعة تجعل الناس يعضون على النواجذ وينضم بعضهم إلى بعض .

* * *

وفى مرة أخرى وقفت ذات ليـلة مع ثلاثة رجال أو أربعـة محتمياً بجـدار أمام خنادق الأنصار ، وكانت خطوط العدو على الناحيـة الأخرى من الوادى المظلم حيالنا ، فأوقدت عود ثقاب لأشعل سيجارة ، فدفعت يدان قويتان رأسى إلى تحت ، وانحنى كل امرىء وسمع صفير رصاص .

وقال أحدهم : « يظهر أن القوم هناك أيقاظ » .

« أتظن أنهم سيتكلمون الليلة ؟ » .

« إن أحدهم ــ أنطونيو ــ يتكلم أحياناً » .

« ناده » .

فنهض ووضع كفيه على جانبي فمـــه ، وملأ صـــدره هواء ، ونادى بصوت عال « أنـ . . . طو . . . نيو . ! » .

فذهب الصوت يتموج وينتشر ، ويسبح فوق الوادى ويرتد إلينا صداه .

وقال جارى : « يحسن أن تطــأطىء رأسـك ، فإنهم يرمون بالرصاص أحياناً حين نناديهم » .

ووقفت أتخيلهم على جانبهم من الوادى إذ يسمعون هذا الصوت الآدمي الذى لم يستثر غضبهم لأنهم لم يطلقوا رصاصــة . وصحيــح أنهم لم يجيبوا ، ولـكن ما أشد يقظة هؤلاء القوم الصامتين الذين كان إشـعال عود كبريت واحد كافياً لتحريك أصابعهم على الزناد .

وملأ الرجل صدره بالهواء مرة أخرى وصاح :

« انطونيو ! إنى أنا ليو أناديك ! »

وذهب الصوت فى الوادى كأنه سـفينة تنزل إلى الماء — مسافة ثمانمئة ياردة ، إلى الشاطىء الآخر ، وارتد إلينا صداه مجتازاً ثمانمئة ياردة . فإذا أجابوا فستمضى خمس ثوان بين أسـئلتنا وأجوبتهم . خمس ثوان من الصمت ينقطع فيها كل قتال .

« ا و و و . . . . . »

صوت بعيد كالموجة الضعيفة يقبل علينا ليموت على شاطئنا ، وقد أقبـل مرة أخرى « وقت . . . النوم ! »

هؤلاء الرجال الذين أطلقـوا نارهم على ضـوء عود الـكبريت ، قد ملأوا الآن صدورهم بالهواء ليبعثوا إلينا بنصيحة أبوية .

«اسكنوا ! ارقدوا ! جاء وقت النوم ! »

فتتحرك نفوسنا لذلك . وقد تظن أيها القارىء أن هؤلاء الرجال إنما كانوا يلعبون لعبة ، وإنهم ليفعلون ذلك على معنى من المعانى ، ولـكن الألعاب قد تستر شيئاً عميقاً قوياً . وههنا لعبة تركت قلوبنا تخفق بشدة .

واعتـــدل الفلاح الذى أغرى أنطونيو بالـكلام وجعل من نفسه سفيراً لنا ، وأخرج من صدره الـكبير هذا السؤال الذى ينطوى على كل سؤال :

« ياأنطونيو ! لماذا تقاتل ؟ »

وينبغى أن أقول هنا إنه هو وأنطونيو يخجلهما أن تحمل كلامهما على محمل الجد ، وأنهما خليقان أن يؤكدا لك أنهما يمزحان ، ولـكنى كنت هنـاك وهو واقف ينتظر ، ونفسه متلهفة على الجواب .

« فى سبيل إسبانيا . . . »

ثم سمعت :

« وأنت ؟ »

وتلقى جوابه ، وسمعته يقذف به فى الهواء ،

« قوت إخوتنا ! »

ثم هذه التحية المدهشة :

« عم مساء ياصديقى ! »

ثم الجواب من الجانب الآخر من العالم :

« عم مساء ياصديقى ! »

ثم السكون .

لم تكن ألفاظهم واحدة ، ولكن الحقائق كانت متطابقة .

* * *

وجلست أتعشى ذات ليلة فى جبهة مدريد بغرفة تحت الأرض مع ضابط شاب ونفر من رجاله ، فدق التلفون وصدر الأمر إلى الضابط بالاستعداد للهجوم قبل طلوع الصبح ، وكانت خطوط العدو على بضع ياردات فقط ، وكان الهدف عبارة عن عشرين منزلا فى هذه الضاحية الصناعية ، وكان على المهاجمين أن لا ينتظروا تعزيزاً ، وأن ينسفوا المنازل واحداً بعد واحد بالقنابل اليدوية ويحتلوها .

وخالجنى شعور غامض وأنا ألقى نظرة أخيرة على هؤلاء الرجال الذين لا يلبثون أن يلقوا بأنفسهم فى التهلكة ، فتتناثر أشلاؤهم قبل أن يبلغوا الجانب الآخر من الطريق ، وكانوا يتناولون الأمور فى يسر ، ولكن الضابط عاد من التلفون وهو يهز كتفيه ، فدفع بيده قدحين وزجاجة براندى وقال للشاويش :

« ستقود الصف معى ، فاشرب قدحاً ونم قليلا » .

فشرب الشاويش ونام . وكنا اثنى عشر جالسين حول المائدة وقد سدت جميع الثقوب والنافذ ، فما من خيط من الضوء يمكن أن يتسرب ، وكان البراندى حلواً ، ينفى النفس ، وطعمه غير سائغ كالمطر فى مطلع الصبح . وكان بعضهم إلى يمينى يقص قصة مضحكة ، وكان يتكلم بسرعة فلم أفهم أكثر من كلمة واحدة من كل ثلاث كلمات .

ودخل رجل يترنح قليلا من السكر ، ووقف يحك ذقنه وينظر إلينا بعينين ناطقتين بالمودة ، وأخذت عينه الزجاجة ، فالتفت إلى الضابط وألقى إليه نظرة رجاء وتوسل .

فضحك الضابط فى فتور ، فعظم رجاء الرجل فضحك مثله ، وسرت نفحة خفيفة من الضحك فى الغرفة الغاصة بالرجال ، ومد الضابط يده ودفع الزجاجة إلى حيث لا تصل إليها اليد ، فنمت نظرة الرجل على اليأس ، وبدأت لعبة صبيانية ، أو رقصة صامتة فى ضباب من دخان السجاير وضجر السهر وما سيتلوه من الهجوم ، فكان ذلك كله كأنه حلم . وجلست مسحوراً بجو السهر الذى ينتهى ببطء ، على حين كانت أصوات القنابل فى الخارج تزداد شدة وعنفاً .

وبعد قليل سيذهب هؤلاء الرجال ويطهرون أنفسهم من العرق والبراندى وأقذار السهر ، بمياه الحرب ! فشعرت أن فيهم شيئاً يكاد يكون صفاء لا تشوبه شائبة ، أما الآن فإنهم يرقصون رقصة السكير والزجاجة ، وقد آلوا أن يستغرقهم هذا أتم استغراق ، وكانوا يطيلون الحياة إلى أقصى ما يتيسر ، ولكن هناك على رف ساعة منبهة ، وقد ضبطت لتدق الوقت المعين للهجوم ، ساعة الصفر — ولم يكن أحد يرفع طرفه إليها ، ولكنهم جميعاً سيسمعونها على التحقيق !

وستدق الساعة ، وسينهض الرجال ويتمطون على نحو غريزى فى كل رجل يوشك أن يعالج مسألة البقاء ، ثم يرتدون أشياءهم ويحملون سلاحهم ، ويسحب الضابط مسدسه من كيسه ، ويفيق السكران ، ويخرجون جميعاً واحداً وراء واحد إلى الدهليز ، ثم يقذفون بأنفسهم تحت النجوم .

* * *

وما كاد الأمر بالهجوم يلغى بالتلفون ، وما كاد هؤلاء الرجال يدركون أنهم منحوا يوماً آخر يدبون فيه على هذا الكوكب الجميل بأحذيتهم الخشنة ، حتى بدأوا معاً يندبون حظهم .

« أتراهم يحسبوننا جماعة من النساء ؟ »

« أهذه حرب أم ليست بحرب ؟ »

« ما أبدعها من هيئة أركان حرب ! »

« لا تستطيع أن تستقر على رأى ! »

وهكذا جعلوا يشكون ساخرين .

وكان من الجلى أنه قد لا يعود منهم أحد بعد أن يهجموا فى ضوء القمر ، وأنه كان ينبغى أن يسرهم أنهم بقوا أحياء ، وأن فى وسعهم أن يتذمروا من القيادة العامة . على أن قدرة سخطهم لم تكن عن حماقة ولا عن زهو ، فقد كانوا جميعاً مستعدين أن يموتوا ببساطة .

لقد ارتفع هؤلاء الرجال حقاً من الأعماق ، وبدأوا فى الواقع حياة جديدة . وقد حدقت فيهم وفى الشاويش ر . على الخصوص ، وكنت معهم حين أيقظوه ، وكان يعلم حق العلم أنه سيكون أول رجل يبرز إلى خط النار المقذوفة من أوكار المدافع الرشاشة ، فكان استيقاظه كاستيقاظ السجين فى غرفة الموت .

« قم يا شاويش » .

فزفر زفرة قوية كالموجة ، وكأنه التلميذ المعاقب نسخ الناقوس الملح حلمه بعالم لا مدارس فيه ، فشرع يحس ببرد اليقظة .

ومد يديه ، ثم رجليه ، واحدة واحدة ، وكانت عليه ثيابه وأدوات حرفته : الأحزمة

والبندقية،وحزام الطلقات ،والقنابل اليدوية الثـلاث وهى تتدلى من حزامه وتعـوق الضربات الأخيرة التى يضربها هـذا السابح فى بحر النوم . وأخيراً فتح عينيـه وجلس على الفـراش وهو يتمتم : « هوه ! هل نمضى ؟ » .

ومد يده وهو يتكلم ، إلى البندقية .

فقال الضابط : « كلا . فقد ألغى الأمر بالهجوم » .

ودعنى أقل لك أيها الشاويش أننا قدمنا إليك حياتك هدية ، كأنما كنت واقفاً أمام الكرسى الكهربائى . والله يعلم أن حبراً كثيراً يراق فى وصف أثر العفوعن المحكوم عليه بالقعود على الكرسى الكهربائى . وقد جئناك بالعفو عنك فى اللحظة الأخيرة ، ما فى هذا شك ، فاغفر لى فضولى ، فقد حدقت فى وجهـك ، ولن أنساه أبداً . كيف يتلقى المرء ياترى هبة الحياة ؟ الجواب عندى : يجلس ساكناً ، ويخرج شيئاً من الدخان ، ويهز رأسه ببطء ، ويصعد عينيه إلى السقف ويقول : « هذا يوافقنى » .

والآن أيها الشاويش المطمئن ، أراك تغمس خبزك فى قهوتك ، وأنت كالصبى الذى قيـل له إنه لن يعاقب . وإنك لمستعد أن تخرج الليلة مرة أخرى . ويدور فى رأسى ، مرة بعد مرة ، ذلك السؤال الذى اشتهيت أن ألقيه عليك منذ الليلة البارحة : « ماذا يجعلك أيها الشاويش مستعداً أن تموت ؟ »

ولكنى أعرف أن من المستحيل توجيه مثل هذا السؤال ، فإنه خليق أن يسئ إلى حيائك وخجلك فلا تعفـو أبداً عنى ، ومن أجل هذا سأحاول أن أهتدى إلى الجواب بأن ألقى عليك أسئلة تبدو كالعبث :

« قل لى ، لماذا تطوعت ؟ » .

وإذا كنت قد فهمت ما قلت فإنك أنت لا تكاد تدرى ، فقد كنت كاتب حسابات فى برشلونة ، ولم تكن تعنى كثيراً بالحرب ، ثم تطوع صـديق لك ، ثم ثان ، فأقلقك أنك تعانى تطوراً غريباً ، وبدت لك أعمدة أرقامك فى دفاتر حساباتك عقيمة ، وكأنما مسراتك ، وعملك ، وأحلامك كلهـا من مخلفات عصر آخر .

وحتى هذا لم يكن ذا قيمة،حتى كان يوم قتل فيه صديق لك على جبهة ملقة ، ولم يكن صديقاً تفديه بحياتك ، ومع ذلك هب عليك الخبر كأنه ريح من البحر . وفى ذلك الصباح نظر إليك صـديق وسأل : « أتتطوع أم لا تتطوع ؟ » فقلت : « نتطوع » .

ولم تفكر قط تفكيراً حقيقياً فى هـذا الهاتف الذى أهاب بك ، فلم يسعك إلا أن تستجيب له ، وإنما تقبلت حقيقة لا تستطيع أن تعبر عنها ، ولكن بداهتها استولت عليك

وقهرتك ، وبينما كنت أصغى إلى قصتك ، تمثلت لذهنى صورة ففهمت .

فحين يرحل البط البرى أو الإوز البرى فى موسم هجرته يرتفع مدٌّ غريب فى المناطق التى تجتازها ، فترى الدواجن تثب فى الهواء قدماً أو قدمين وتحاول أن تطير كأنما سحرها السرب العظيم ، وكأنما يدعوها صوت البرية ويخزها بمثل سن الحربة ، وتسرع دماؤها فى عروقها من بقية وحشية كامنة فيها . وكذلك الإنسان ، يستحوذ عليه شعور خفى بالحقيقة الأصيلة ، فيفطن إلى باطن حياته الآمنة الوادعة .

وهذا الذى أهاب بك فحرك نفسك يعذب الناس جميعاً ، وسواء أسميناه التضحية أم الشعر أم المغامرة ، فإنه هو الصوت بعينه . وقد أجبت نداءه أيها الشاويش دون أن تعنى نفسك بمحاولة فهمه ، ودقت الساعة التى لا بد أن ترتفع فيها إلى السماء ، وشعرت ، كما شعرت دواجن المزرعة ، أنك قد جرفتك تلك الهجرة الباطنية التى لم ينبس أحد قط بكلمة عنها لك .

وماذا كنت تبغى ؟ ماذا كانت أيها الشاويش الأحلام والصور التى تراءت لك ، وسوغت عندك المخاطرة بحياتك فى تلك المغامرة ؟ حياتك التى هى كل ما تملك !

لقد ثارت بك الريح هوجاء ، واستولدتك الأمير النائم الذى تكنه — الرجل الذى تنطوى عليه . وإنك لند للموسيقى الذى يصوغ لحنه ، وللعالم الطبيعى الذى يوسع نطاق المعرفة ، ولكل هؤلاء الذين يمهدون الطريق التى نجتازها إلى النجاة والخلاص ، وأنت الآن حر ولك أن تقامر مع الموت ، وماذا معك الآن مما تخشى عليه الخسارة ؟

* * *

ما من إنسان يستطيع أن يتنفس نفساً حراً إذا كان لا يشاطر غيره من الناس مثلا أعلى نزيهاً مشتركا . وقد علمتنا الحياة أن الحب ليس أن ينظر بعضنا إلى بعض ، بل أن نمد بصرنا معاً فى اتجاه واحد . وليس ثم زمالة إلا إذا كان هناك اتحاد فى جهد سامٍ واحد . وهذا لا بد أن يكون كذلك حتى فى عصر رخائنا المادى ، وإلا فكيف نفسر السعادة التى نشعر بها حين نقتسم آخر كسرة من الخبز مع غيرنا فى الصحراء ؟ وما من عالم اجتماعى يستطيع أن ينقض هذه الحقيقة . وكل طيار خف إلى نجدة زميل له منكوب يعرف أن كل المسرات عبثٌ بالقياس إلى هذا .

ولعل هذا هو السبب فى أن العالم اليوم يتداعى وينقض حولنا ، وهذه الغاية التى تعدنا بها أدياننا هى التى تلهب نفوس الناس اليوم . وكلنا يعرب بألفاظ ينقض بعضها بعضاً

عن هـذا الباعث السامى بعينه . وليست غاياتنا هى التى تثير الخصومة بيننا — فإنها كلها تستوى وتتماثل فى النهـاية — بل أساليبنا التى هى ثمرة التفاوت والاختلاف فى تفـكيرنا .

وإذا كانت غايتنا أن نفهم الإنسان ونوازعه ، فإنه ينبغى أن لا نضع حقيقة إنسان ضـد حقيقة إنسان آخر . وإذا أردنا أن ننجح فى فهم ما هو جوهرى فى الإنسان ، فإن علينا أن ننحى الأهواء والشهوات التى تفرقنا . وليس أسهل من أن نقسم الناس إلى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ، وإلى حُدب ومستقيمى الظهور ، وإلى فاشيين وديمقراطيين — وهـذه تمييزات صحيحة كلها ، ولـكنا نعرف أن الحقيقة تؤدى إلى الجلاء والبيان لا إلى الإختلاط والغموض . والحقيقة هى اللغة المعبرة عن الروح العالمى .

ولهذا لا فائدة من البحث فى المذاهب . والذى نحتاج إليه جميعاً هو أن نتحرر ، والرجـل الذى يضرب بفأسـه الأرض ، يطلب أن تكون لضربته ثمرة ومؤدّى . وثم فرق بين ضربة فأس من يد سـجين وضربة فأس من يد باحث منقب ، لأن ضربة السجين ليست بذات معنى . وليس السجن مجرد قيد فظيع ، وإنما استعمال الفأس لغير غاية هو السجن .

وكلنا تنازعنا نفوسـنا أن نهرب من السجن ، ويشعر الناس جميعاً ، على تفاوت بينهم فى الإدراك ، بالحاجة إلى أن يكونوا أحياء ، ولـكن معظم الوسائل إلى ذلك ليست سـوى شراك وأوهام . وفى الوسع ابتعاث الحيـاة فى النـاس بإلباسهم أزياء عسكرية ، ودهوزة أناشيد الحرب فى أشداقهم ، وهذه إحـدى الوسـائل لمؤاكلة الزملاء ولمعرفة ما يبتغون ، وهو الشعور بشىء عام عالمى . ولـكن للموت جنوداً من هذا الخبز

ومن السهل التنقيب والـكشف عن أصنام خشبية ، ونشر أساطير عتيقة مثل الجامعة الجرمانية أو الأمبراطورية الرومانية .

ولـكن هذه الأصنام من أكلة اللحوم . وإن الرجل الذى يلقى حتفه فى سبيل تقدم العلم أو ليشفى المرضى ، ليحيى فى موته ، أما الحرب الحديثة فتهدم ما تزعم أنها تغـذيه وتربيه . ولم تعـد الحرب التى اتخذت من الغازات والقنابل سلاحاً ، حرباً بل صارت نوعاً من الجراحة الدموية ، فإن كل فريق يحتمى بجدار من الأسمنت المسلح ولا يعرف عملا أولى به وأخلق من أن يرسل ليـلة بعـد ليلة ، أسراباً من الطـائرات تضرب الفـريق الآخر وتمزق أحشاءه ، وتنسف مصانعه ، وتشل إنتاجه ، وتعصف بتجارته .

وهـذه حرب يكسبها من يكون آخر

من يبلى — ولكن الفريقين فى النهاية يصيبهما البلى :

ونحن نحنّ إلى الزمالة والإخاء فى عالم صار صحراء ، وإن مذاق الخبز الذى نأكله مع الزملاء والرفقاء لهو الذى يجعلنا نتقبل قيم الحرب ، ولكن هناك وسائل أخرى غير الحرب تكسبنا دفء السباق ، كتفاً إلى كتف ، إلى غاية واحدة . ولكن الحرب أوقعتنا فى شركها ، وليس بصحيح أن البغضاء تضيف شيئاً إلى مجد الجنس .

لماذا يبغض بعضنا بعضاً ؟ إننا جميعاً نحيا لغرض واحد ، وقد ولدنا على كوكب واحد ، ونحن جميعاً نواتىّ ، سفينة مفردة . ويكفى لتحرير الإنسان أن يساعد بعضنا بعضاً لندرك أن هنالك غاية يسعى لها البشر جميعاً ، فلماذا لا نسعى لها معاً ما دامت هى التى توحد صفوفنا جميعاً ؟ إن الجراح لا يجعل باله إلى توجع مريضه ، لأنه ينظر من وراء هذا الألم إلى الرجل الذى يحاول أن يشفيه ، وهذا الجراح يتكلم لغة عامة ، وكذلك العالم الطبيعى حين يتدبر تلك المعادلات التى تشمل الكون كله من الذرة إلى السديم . حتى الراعى البسيط الذى يجعل غنمه قيد عينه تحت النجوم قد يهتدى ، متى فهم الدور الذى يؤديه ، إلى أنه أكبر من خادم ، وأنه حارس ، وكل حارس من الرجال مسئول عن الدولة كلها .

ولن نشعر بالسعادة إلا متى عرفنا دورنا فى الحياة مهما بلغ من هوان شأنه ، ولن نحيا فى سلام ونموت فى سلام إلا بهذا الإدراك ، لأنه هو الذى يكسب الحياة والموت معناها .

* * *

وليس من الضرورى — لكى يبلغ الإنسان رشده ويستوفى حظه من النضج — أن يقتل حول مدريد ، أو أن يقود طائرة بريد ، أو أن يجاهد وهو كليل مجهود فى الثلج ، احتراماً لمقام الحياة وكرامتها . فإن الرجل الذى يستطيع أن يرى الإعجاز فى قصيدة ، ويستصفى السرور من الموسيقى ، ويؤاكل الزملاء ، ويفهم — مثل بارك العبد — حاجة الأطفال إلى الخفاف الذهبية ، هذا الرجل يفتح نوافذه لنفس الريح المنعشة من البحر ، ويتعلم هو أيضاً لغة الرجال .

ولكن ما أكثر الذين لا يوقظون ! فما يخلق الرجل إلا الروح متى جرى نفسها على الطين !



RCA تقـــدم

أحدث مبتكراتها

مصباح علاء الدين فى المستقبل القريب : تقوم صمامات RCA الاليكترونية بمعجزات فى الصناعة والعلم ... إنها ترى ، وتشعر ، وتشم ، وتذوق ، وتعد ، وتسمع ، وتتذكر ، وتتكلم . وهناك صمام RCA اليكترونى خاص لكل غرض . وهذه الأدوات تستعمل الآن لتأييد قضية الأمم المتحدة ولكنها ستشارك فى تأييد السلام وإنشاء عالم أفضل فى الغد القريب .

الفتنة دائماً جديدة : فتنة ديانا دوربن نجمة شركة وارنر السينمائية وكذلك الشخصيات المحبوبة الأخرى تسجل فى هوليود ثم تعرض فى مسرحك المفضل باستعمال أجهزة RCA فوتوفون . إن المهارة الهندسية التى أتقنت صمامات RCA الاليكترونية وسائر أجهزة الراديو الحديثة تطبق فى أساليب RCA لتسجيل الفيلم والصوت بالمسرح .

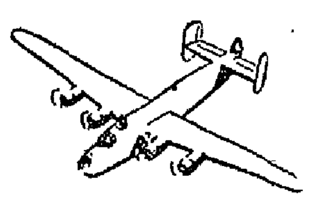
يمكنها أن تهز منزلك : صنعت RCA أجهزة تهتز اهتزازاً قوياً ، لتبين مواطن الضعف فى الأجهزة اللاسلكية للطائرات وتوقيها . فكذلك تستطيع شركة RCA أن تتقن الأجهزة اللاسلكية للطائرات قبل استعمالها . وهذه الأجهزة لها أعظم شأن في توسيع آفاق المواصلات والمخاطبات .



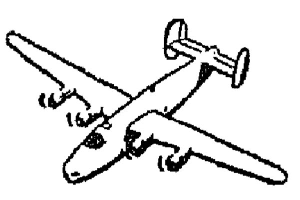
RADIO CORPORATION OF AMERICA

RCA Victor Division, Camden, N. J., U. S. A.

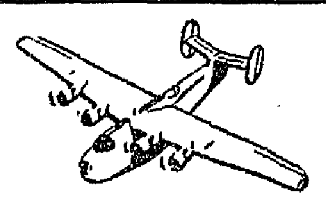
من "الجيب" الطائر إلى سفن الهواء الضخمة



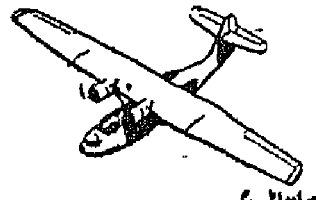
ليبريتور — قاذفة بأربعة محركات



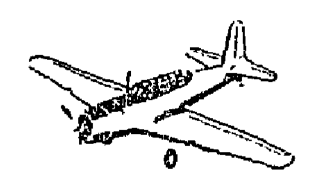
ليبريتور اكسبرس — طائرة نقل



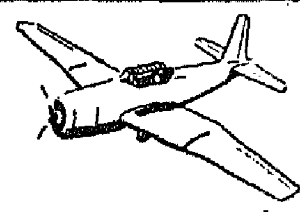
كورونادو — قاذفة داورية



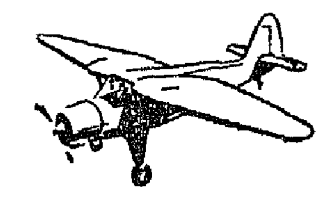
كاتالينا — قاذفة دورية



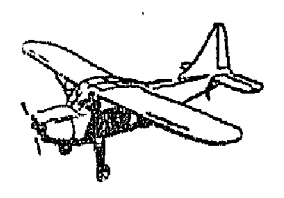
فاليانت — طائرة تدريب أساسية



فنجنس — قاذفة انقضاض



ريليانت — طائرة تدريب للملاحة



سنتينل — « الجيب » الطائر

حين نحرز النصر ، ستكون شركة كونسوليديتيد فولتي للطائرات قادرة على أن تنتج لعالم ما بعد الحرب ، الطائرات التي تعادل هذه الطائرات ، من الصغيرة التي يملكها أفراد لاستعمالهم الخاص ، إلى الضخمة التي تعبر المحيطات حاملة البضائع والركاب .

CONSOLIDATED VULTEE AIRCRAFT

San Diego, Calif.
Vultee Field, Calif.
Tucson, Ariz.

Fort Worth, Texas
New Orleans, La.
Louisville, Ky.

Wayne, Mich.
Dearborn, Mich.
Allentown, Pa.

Nashville, Tenn.
Elizabeth City, N. C.
Miami, Fla.

عضو في مجلس إنتاج الطائرات الحربية

القطن المصرى

ذو الشهرة العالمية

فخر شركة مصر للغزل والنسج

فإن مصانعها العظيمة بالمحلة الكبري تستهلك حوالى نصف مليون قنطار من القطن المصرى وهى تعمل ليلا ونهاراً لسد حاجة المدنيين فتقدم لهم أفخر الأقمشة وأمتن الملابس الداخلية والجوارب والقطن الطبي والبطاطين وبكر الحياكة، خلاف منسوجات الصوف والكتان الفاخرة .

وهى مصانع ضخمة مشيدة على أكثر من ٧٠٠٫٠٠٠ متر مربع ويعمل بها ٢٦٫٠٠٠ عامل مصرى باشراف مهندسين مصريين .

وعندما يعم السلام ستعمل شركة مصر للغزل والنسج على توفية جميع الطلبات المتزايدة على منتجاتها فى مصر والأقطار العربية الشقيقة .



س.ت ١٠ سرى

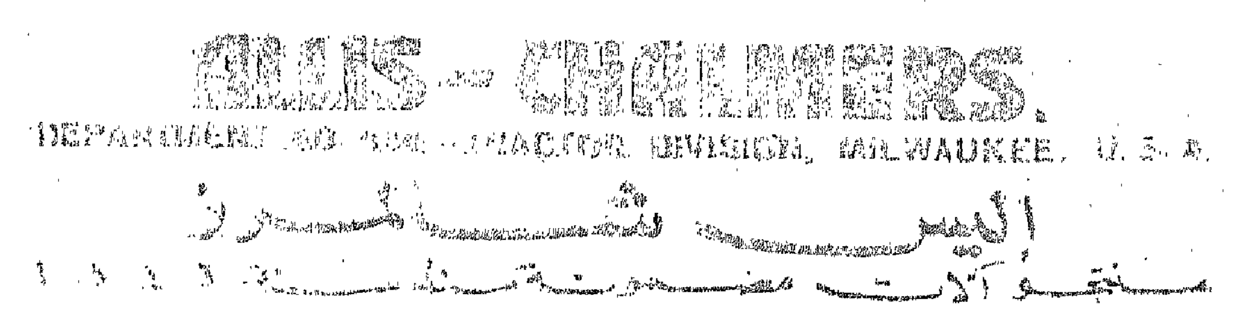
الإنجاز المحكم.. في الحرب والسلم

إنّ تصميم وبناء الجرار الحربي "M - 4" بالاشتراك مع قسم المهمات بالجيش الأمريكي لمثل واحد على ما أتيح لنا من ضروب المساهمة في سبيل النصر.

وإن المهارة الفنية والموارد التي مكنتنا من تلبية طلبات الجيش الدقيقة في أقصر مدة، لتتجلى في زحاف ديزل «أليس شالمرز» ذي الدورتين الذي يعمل دون توقف حيثما وجدت طرق جديدة للتمهيد والرصف. وتتبين أيضاً هذه المهارة في آلاف من جراراتنا الزراعية وآلات الحصاد وغيرها، التي تعمل الآن في إنتاج الأغذية التي تمس إليها الحاجة في كثير من أنحاء العالم.

وقد تعلمنا من بناء الآلات للحرب أشياء كثيرة مما سيساعدنا على بناء آلات أجود للسلم. وسوف يتمكن «أليس شالمرز» عن طريق استخدام أساليب جديدة في الصناعة، وطرق مستحدثة، وسبائك معدنية طريفة، من إنتاج جرارات وآلات تضرب أرقاماً قياسية أخرى في الكفاية والمتانة وطول البقاء.

إن بيع وتوزيع آلات «أليس شالمرز» التي تبني الطرق، وآلات الزراعة، هي فرص عظيمة في وقت السلم للمتعهدين الممتازين الذين يرغبون في تمثيلنا، ونحن نرحب بكافة الاستعلامات.





في صف الأمم المتحدة في هذه الحرب سلاح لم يفطن إليه عدونا . ذلك هو القوى العاملة ... التي تتيحها الآلات الأمريكية القوية التي تقلب التربة وتذلل عقبات الوقت .

ولقد وصف ضابط أمريكي كبير ، جرارات الديزل من «ممهدات الطرق» بأنها «أثمن أسلحة الحروب» . فإن هذا السلاح الذي يتحمل العمل الشاق ويؤدي كل الأعمال، قد مكن قواتنا المحاربة من إدراك النصر ليس مرة بل مراراً . فليس لدى ألمانيا أو اليابان ما يشابهه . وقد بنت جرارات ديزل كاتربيلار مرة إثر أخرى المطارات في أيام ، حين كان اليابانيون يبنونها في شهور محاولين إنجاز العمل باليد والفأس والجاروف والسلة وعربات اليد . ومع ذلك فإن الجرار ليس إلا بعض مما تقدمه شركة كاتربيلار للقوة الحربية .

إن ممهدات ديزل كاتربيلار والآلات والمعدات الكهربائية تشترك أيضاً في القتال ، وهي تعمل بأمانة عملا يمكن الاعتماد عليه ، ليلا ونهاراً ، في ميادين الحرب حول العالم .

إن القوى العاملة ترجح كفة النصر .

CATERPILLAR DIESEL

شركة جرارات كاتربيلار — بيوريا ، الينوى



AUTO-LITE

إن خبرة أوتو ـ ليت التى اكتسبها خلال ٣٢ عاما سواء تجلت فى دقة الأجهزة المكونة من أسلاك معقدة ، أو ضمان عدادات الضبط المحكمة ، تساعد على تقوية أجنحة طيارى الأمم المتحدة .

وهناك ستة فروع كبيرة لمنتجات أوتو ـ ليت تصنع الآن كميات كبيرة من آلات الضبط لأغراض الحرب . وتتجلى فى هذه المعدات نفس المهارة والدقة الهندسية التى جعلت من اسم أتو ـ ليت ، أشهر اسم لأجود المعدات الكهربائية الآلية .

وينظر أوتو ـ ليت اليوم إلى الوقت الذى يمكننا فيه النصر النهائى من وقف مواردنا الضخمة على إنتاج أدوات السلم ، لسيارتك الخاصة ، أو سيارة النقل ، أو جرارتك .

THE ELECTRIC AUTO-LITE COMPANY
(Export Division)
Chrysler Building, New York 17, N. Y., U. S. A.

شموع • بطاريات شحن • أسلاك
أجهزة للقيام والاضاءة والاشعال

٨٠ جنيهاً

لتشجيع طلاب الصحافة العربية

تقدمها مجلة "المختار"

معهد الصحافة

كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول بالقاهرة

تمنح مجلة « المختار » جائزتين ماليتين قيمة كل منهما عشرون جنيهاً ، بالشروط التالية :

١ — يعين الدكتور محمود عزمى مدير المعهد وفؤاد صروف رئيس تحرير المختار ، موضوعين لبحثين ، يتبارى فى الكتابة فيهما خريجو المعهد .

٢ — يذاع موضوع البحث الأول فى ١٥ أكتوبر ١٩٤٤ وتقدم الرسائل فيه قبل ١٥ ديسمبر ١٩٤٤. يذاع موضوع البحث الثانى فى ١٥ فبراير ١٩٤٥ وتقدم الرسائل فيه قبل ١٥ أبريل ١٩٤٥

٣ — تكون لجنة المحكمين من الأساتذة خليل ثابت بك ، وأنطون الجميل بك ، وإبراهيم عبد القادر المازنى .

٤ — يمنح صاحب الرسالة الأولى فى الحالين مبلغ ٢٠ جنيهاً مصرياً .

قسم الصحافة

كلية الآداب والعلوم ، الجامعة الأمريكية بالقاهرة

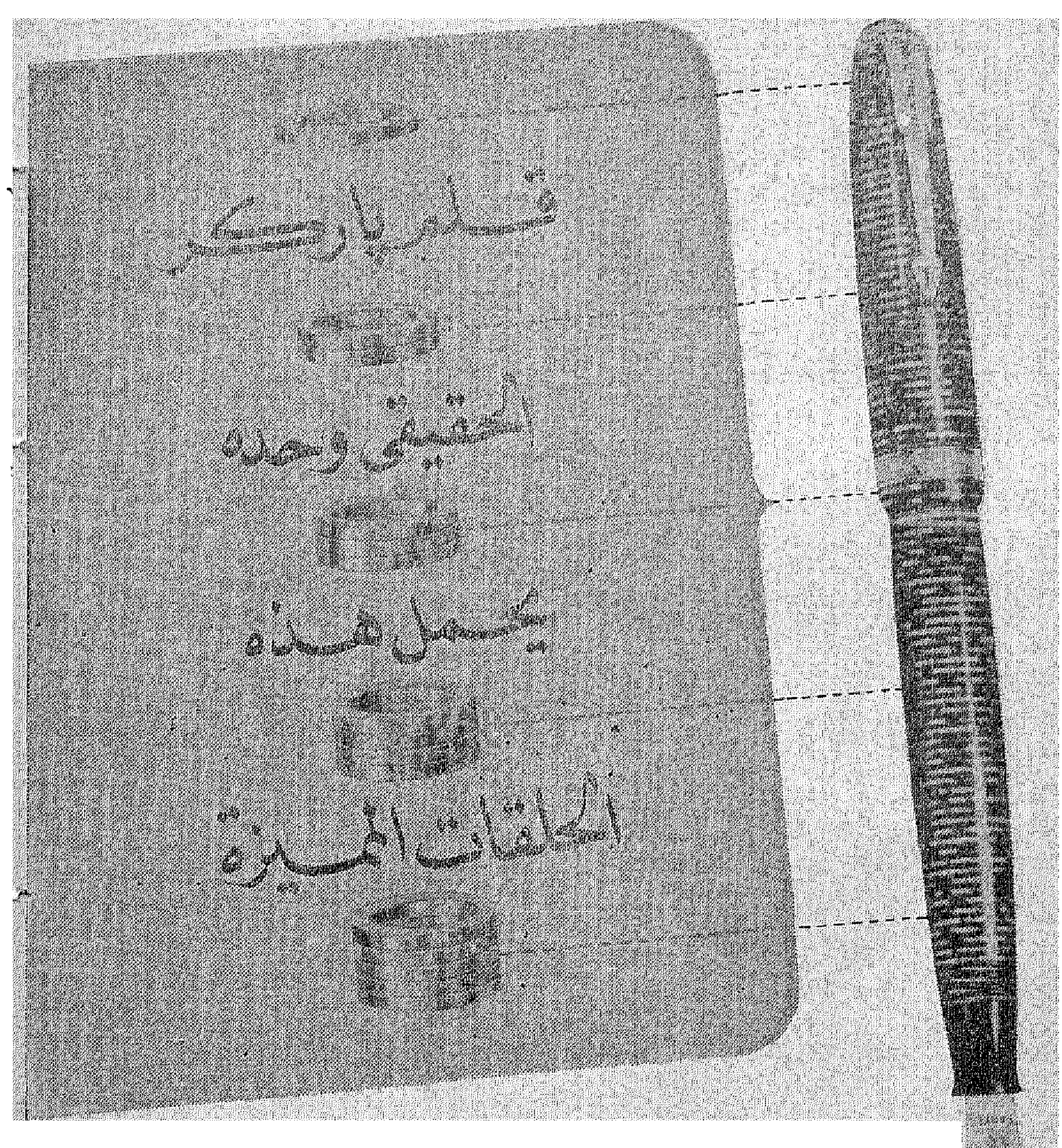
تمنح مجلة « المختار » جائزتين ماليتين قيمة كل منهما عشرون جنيهاً لطالبين من طلاب الصحافة العربيـة فى قسم الصحافة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة بالشروط التالية :

١ — على كل طالب (أو طالبة) يرغب فى الالتحاق بالسنة الأولى من قسم الصحافة ، أن يكون حائزاً على التوجيهية المصرية أو « ماتريكوليشن » جامعة لندن أو ما يعادلها .

٢ — إذا كان حائزاً على شهادة « ماتريكوليشن » أو ما يعادلها فيجب أن يثبت لإدارة الجامعة أنه يجيد اللغة العربية .

٣ — تقدم الطلبات إلى مكتب التسجيل فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة قبل منتصف شهر سبتمبر ١٩٤٤ فتختار إدارة الجامعة أولى الطلاب بهاتين الجائزتين وتخصم قيمتهما من المصروفات المدرسية .


أشياء لا تتغير أبدًا
خلال ٣٠ عامًا
كانت إطارات "چنرال" دائما
جديدة بما في ثمنها من زيادة
شركة چنرال تير أند رابر اكسپورت
اكرون . اوهايو . الولايات المتحدة
تلغرافيا : جنتيروكو اكرونوهايو
مصانع في الولايات المتحدة
وكندا . ومكسيكو . وفنزويلا . وشيلي . والبرتغال
The
GENERAL
TIRE



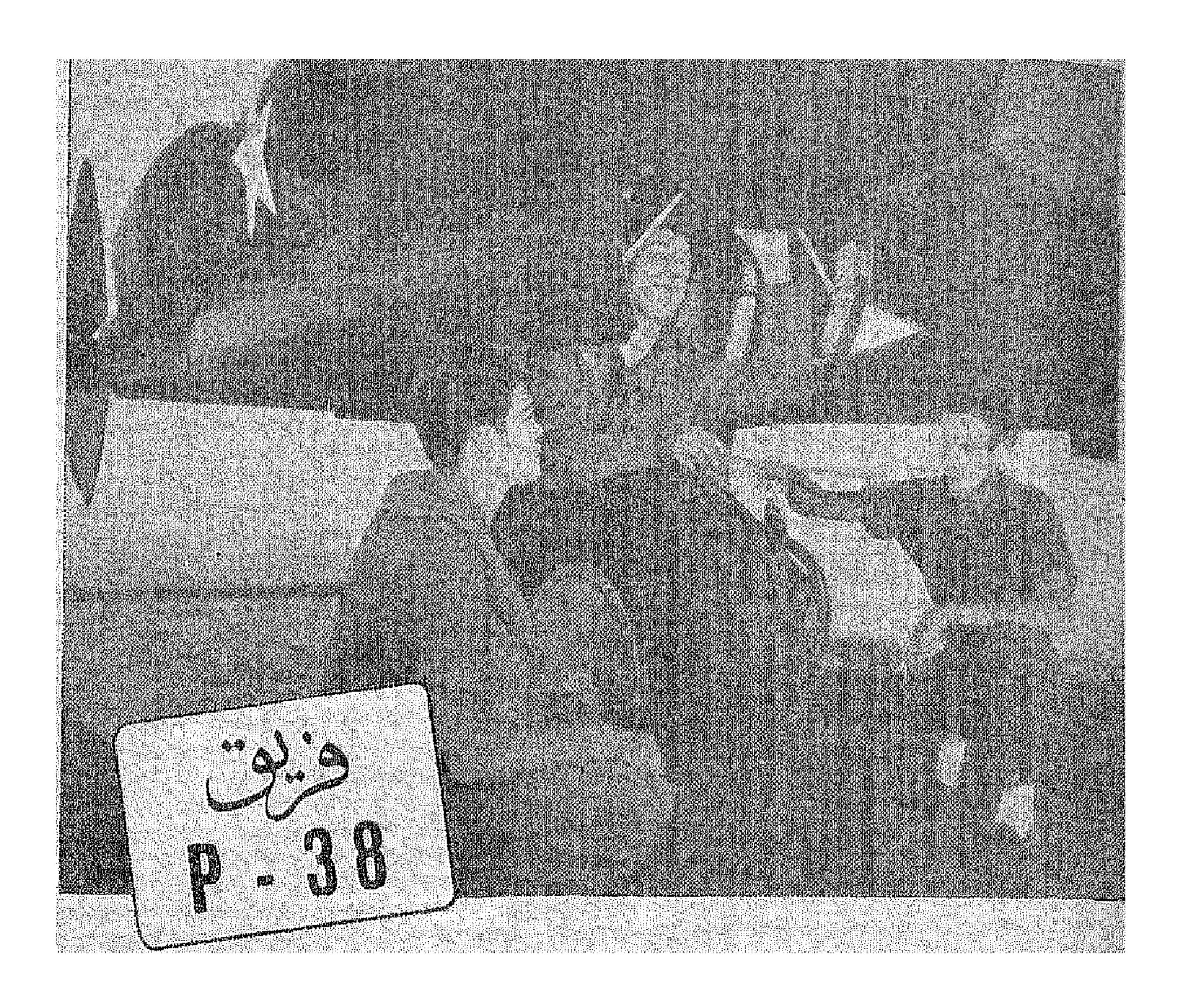
لا يمكنك أن تخطئه! ذلك أن قلم « باركر » ڤاكوماتيك هو الوحيد ذو الحلقات المميزة التي تحيط بخزانه اللامع نصف الشفاف فيمكنك أن ترى دائماً كمية الحبر الكبيرة التي يحتوي عليها . هذا القلم لا يلزم أن يجف أبداً .

وطرف ريشة قلم « باركر » ڤاكوماتيك مصنوعة من الأسميريديوم الثمين فهي ناعمة كالحرير ، متحفزة للكتابة في اللحظة التي تلامس فيها الورق وهذا يعني حرية مجيدة جديدة وسهولة في جميع كتاباتك .

واليوم دع موردك يريك هذا القلم المشهور شهرة عالمية . ولك أن تختار بين خمسة ألوان جميلة ، وتذكر أن الماسة الزرقاء على مشبكه معناها ضمان منا أن يخدمك مدى الحياة .

PARKER

THE PARKER PEN COMPANY
JANESVILLE, WIS., U. S. A.



طائرة ، وطيار ، ورجال القوة الارضيّة
يجب أن يتعاونوا لكسب المعركة

لا شك أنك سمعت الكثير عن طائرات P - 38 والطيارين الذين يقودونها ، ولكن تحت تأثير الظروف القاسية الناشئة عن الحرب الحديثة ، لا يمكنهم الاستمرار فى ذلك دون مساعدة الفريق الثالث — وهم رجال القوة الأرضية — الرجال الاخصائيون الذين يجددون قدرة الطائرات على القتال ، فقد تدربوا فى المصانع ليس على إصلاح طائرات وحسب بل على إصلاح طائرات لا يتنتج .

إن شركة لوكهيد هى أول شركة للطائرات تولت إنشاء مدرسة لتدريب أفراد القوات الأرضية . وهناك أكثر من ١٤ر٠٠٠ رجل دربتهم شركة لوكهيد ، وهم متفرقون فى أنحاء الأرض لإصلاح طائرات P - 38 . ورسائل الأنباء أبلغ منا فى بيان العمل المتقن الذى يؤدونه .

تذكر أن *Lockheed* رمز للسبق والتفوق

LOCKHEED AIRCRAFT CORPORATION, BURBANK, CALIFORNIA U. S. A.

في الحرب كما في السِّلم
فورد في الخدمة

إن الهدف الذى يتجه اليه نظام فورد فى الوقت الحاضر هو الاستمرار فى خدمة الجمهور بأقصى ما يمكن من الاتقان ، نعم إن احتياجات الدفاع الوطنى تأتى أولا ، الا أنه قد اتخذت جميع الخطوات العملية لضمان بقاء تسهيلات خدمات فورد فى درجة عالية من الاتقان طوال مدة الحرب . فى مصر توجد كميات وافرة من قطع الغيار الأصلية والنقص فيها يعوض باستمرار . وما زال مشروع فورد لاستبدال المحركات والقطع يسير بنجاح . وليتأكد ملاك سيارات فورد وجرارات فوردسن وسيارتى ميركرى ولنكولن زفير تمام التأكد من أن نظام فورد سيواظب على تقديم الخدمات المتقنة لهم .

Ford

FORD MOTOR COMPANY (EGYPT) S.A.E.

Rue Soter, Mazarita — Alexandria

R. C. 4542 س.ت. ٤٥٤٢

الصنوبر التي تدلى منها الجاويش سكوت إلى الصبح . . . وثم الخور الذى أغمى فيه على الملازم واطسون وقضى ساعات فى الماء البارد .

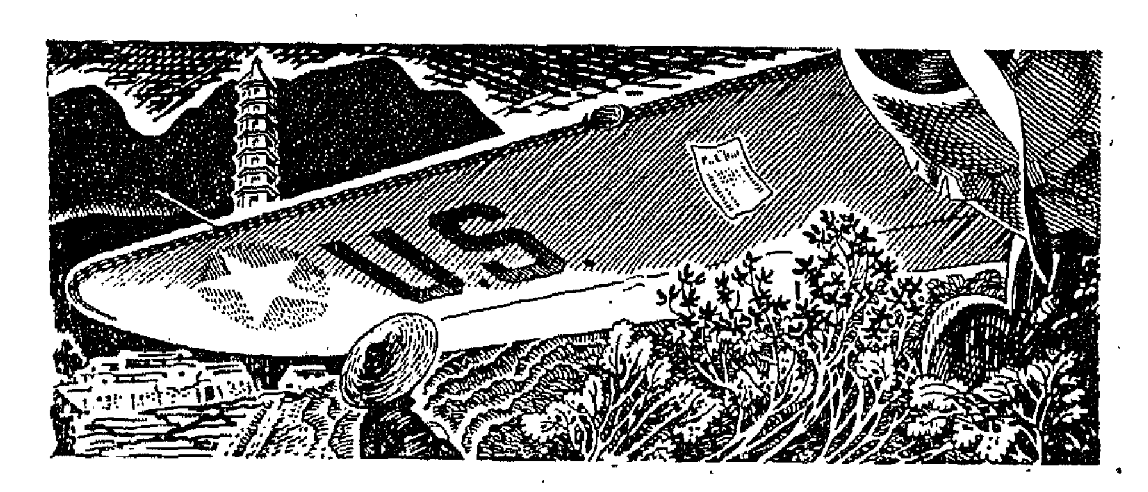
وقال المعلم : « لقد أطعمنا الأمريكيين ونقلناهم إلى حيث يكونون فى مأمن ، ليتسنى لهم أن يقذفوا طوكيو بالقنابل مرة أخرى ، ثم جاء الغزاة الأقزام ، وقتلوا أبنائى الثلاثة ، وقتلوا زوجتى ، وأضرموا النار فى مدرستى ، وأحرقوا كتبى ، وأغرقوا أحفادى فى البئر » . وزمهرت عيناه وهو يقول « وزحفت خارجاً من البئر فى الليل ، حين سكروا ، وقتلتهم بيديّ هاتين — قتلت واحداً منهم بكل واحد من أسرتى ذبحوه » .

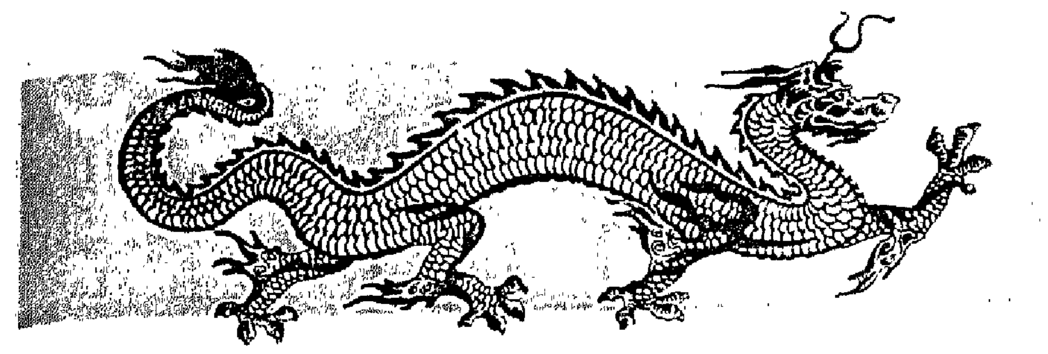
وقعد على جناح الطائرة ، وقال وهو يربت بكفه على الحروف السود الغليظة التى ترمز إلى الولايات المتحدة (U.S) « إن هذا رمز — جسر بين شعبينا — وعنوان لآمال الشعوب فى العالم كله » .

وخفقت قصاصة ورق على جناح النسيم ذلك المساء ، فالتقطتها . وإذا بموجة سرور تسرى فى بدنى ، فقد كان رمزاً آخر — صفحة من غلاف مجلة ريدرز دايجست الصادرة فى أبريل سنة ١٩٤٢ . وقد طارت من إحدى طائرات النقل الأمريكية الآتية إلى الصين ، عن طريق طوكيو فى ١٨ أبريل سنة ١٩٤٢ — ذلك اليوم التاريخى . وقرأت فى فهرسها هذه العناوين : « بابا الصغير لتفينوف » ، « يثمرون ثمارهم — ويحيون حياة أطيب » ، « صورة أمريكى » ، « اسمه المستعار أندى هاردى » . . . هذا إذن ينبوع « ذاكرة » صاحبنا معلم إهوانج العتيق !

وابتسم وقال : « نعم . لقد وقعت على سرى . فإن هذه الطائرة التى غرست بذور الموت فى طوكيو ، قد غرست أيضاً بذور المعرفة هنا فى إهوانج » .

وقد احتفظت بغلاف المجلة وعدت به إلى الولايات المتحدة . ولكن المجلة نفسها لا تزال فى الصين ، فى كوخ معلم هرم ، ولا تزال بضاعتها من الفهم والأمل تنتشر بين الناس فى تلك الجبال الموحشة .





جسر بين الأمم الحرة

[قسيس بلجيكي المولد ، زاول التعليم في الصين في السنوات السبع الماضية وأكتسب الجنسية الصينية]

في خريف سنة ١٩٤٢ قمت برحلة إلى إهوانج ، وهي قرية جبلية موحشة في إقليم كيانجسي الشمالي بالصين ، وقد دعاني صديقي وانج بوفانج الحلاق ، بلطف إلى القعود على كرسيه الجديد الذي اتخذه بديلا مما لا سبيل إليه ، وهو عبارة عن مقعد قاذف القنابل في طائرة من طراز ب ٢٥ ، وبينما كان يقص لي شعري ويسويه ، سمعت أعجب حوار عالمي ، بين القرويين الذين لم يذهب منهم أحد قط إلى ما وراء أقرب تل .

وكان أحدهم يتكلم عن لتفينوف السياسي الروسي ، وآخر يبدي رأيه في برنامج زراعي أمريكي ، وثالث يتحدث عن ناثان هيل وأسفه لأنه ليس له سوى حياة واحدة يفتدي بها وطنه ، ورابع يلهج وهو يضحك بسيرة ميكي روني الغريبة في السينما — وينطق اسمه « مي شي لوني » .

ولما أعربت عن دهشتي لاتساع نطاق معارفهم اعترف لي معلم التربية — وهو في الثمانين من عمره ، أبيض اللحية ، ويتكلم الإنجليزية — أنه هو الذي عرّفهم بكل هذا « من الذاكرة — من الذاكرة ليس إلا » وضحك وقال : « ولكن تعال معي ، إلى قمة رأس الفينكس لترى هناك المركبة الطائرة الأمريكية » .

وكان طريق الجبل الذي سلكناه ملتوياً كالأفعى ، تكسو نجوده أشجار الصنوبر والأعشاب ، وتشرف على أودية سحيقة تتدفق فيها مياه الشلالات . وأشار المعلم العتيق فجأة وقال : « هذه هي ! » فنظرت فإذا أجنحة القاذفة الفضية تلتمع تحت أشعة الشمس الغاربة ، وقد جثمت الطائرة على وسادة من الخضرة اليانعة . نعم . هناك شجرة

[التتمة على الصفحة السابقة]

مطبعة مصر